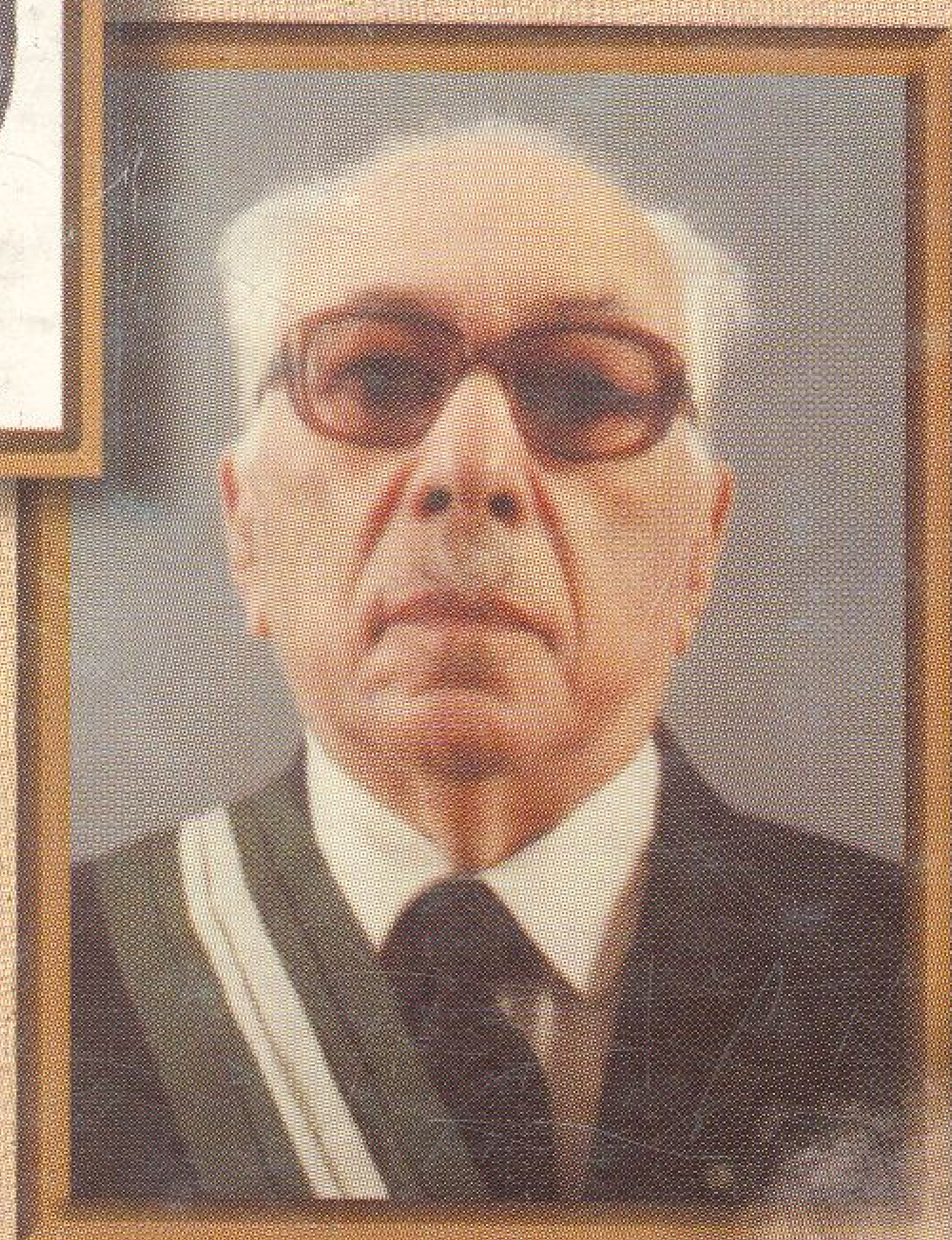
سيرة الرواد



يرويها :

المستشار شمس الدين خفاجي



١٩٠٨ _ ٢٠٠٠

سيرة الرواد

مهداة إلي التعاونيين المصريين والعرب

١٩٠٨ - ٢٠٠٠

يرويها المستشار

شمس الدين خفاجى

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل رب زدني علما

صدق الله العظيم

إهــــداء

(ن والقلم وما يسطرون)

صدق الله العظيم

إليك يا قلمى

كرم الله القلم أول ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم تكليفا بالرسالة السماوية آخر الرسالات على آخر الرسل.

وكرم الرسول صلى الله عليه وسلم القلم عندما جعل تعليم عشرة من المسلمين فدية لكل أسير ..وما أداة التعليم إلا القلم لقوله تعالى:

"اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بـــالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"

إن رسائل الرسول إلى الملوك والقياصرة كانت أداها القلم ورسائل الخلفاء إلى الولاة بالحكمة والموعظة الحسنة كانت أداها القلم، لو قلت أن القلم ابن من أبنائى لشرف بذلـــك أبنائى ..ولو قلت أن القلم صديقى لشرفت بذلك صداقتى.

أقول أن القلم أنيسى وجليسى وقرة عينى من مطلع الفجر الأول حتى يتبين الخيـــط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

هل يدون السلف والخلف القرآن الكريم والسنة المطهرة والمعرفـــة والحكمـــة إلا بالقلم؟

أليس القلم وسيلة الموسيقى لحنا وتنغيما وأداء فيما دونته النوتة الموسيقية؟ وما أدراك بالأناشيد والأغانى!!..

هل علمتم غير القلم رسولا بين المحبين؟

وقرار الحرب من أجل السلام وقرار السلام من أجل التنمية وقرارات التنمية مـــن أجل الرفاهية ألم تكن كلها فى سن قلم..؟؟

القلم هو الحقيقة الوحيدة التى تؤمن بها كل الشعوب واللغة الوحيدة التى تعرفها كل الأمم.

٦

تعـــريف

المستشار شمس الدين خفاجي ..شخصية فذة متعددة المواهب ..ويعتبر بكل المقـاييس من رواد الحركة التعاونية المصرية والعربية العظام ..عمر لطفي ..ومحمد فريـد ..وإبراهيـم رشاد والدكتور كمال أبو الخير..

لقد انطلقت شرارة التعاون فى مصر من صفوف الحزب الوطنى ..الذى كان عمـــر لطفى أبو الحركة التعاونية المصرية من قياداته ..ومحمد فريد الذى كان يؤمن بدور التعاون فى تغيير المجتمع ..ويعمل على تأسيس الجمعيات التعاونية، وشمس الدين خفاجي كان واحدا من قيادات الحزب الوطنى ..وتعرض للسجن بتهمة العيب فى الذات الملكية ..قبل الثورة.

بدأ كفاحه التعاونى من مسقط رأسه فى الفيوم ..حيث أسس الجمعيـــات التعاونيـــة والاتحاد التعاونى الإقليمى ..وأصدر مجلة صوت التعاون.

شمس الدين خفاجي على امتداد أكثر من نصف قرن نهر من العطاء للحركة التعاونية المصرية ..بصماته فى كل مراحل مسيرتها.

هو بحق كما يسميه الأستاذ محمد إدريس هرقل التشريع التعاونى ..فهو وراء كـــل القوانين التعاونية التى صدرت بعد ثورة ٢٣ يوليو ابتداء من القانون ٣١٧ لســنة ١٩٥٦ إلى قانون التعاون الاستهلاكى رقم ١٠٩ لسنة ١٩٧٥ وقانون التعاون الإنتاجى رقم ١١٠ لسنة ١٩٧٥ إلى قانون التعاون الإسكانى رقم ١٤ لسنة ١٩٨١ .وقانون الاتحـاد العـام للتعاونيات.

هو بحق عميد التشريع التعاونى فى مصر والعالم العـربى ..ومـهندس التشـريعات التعاونية..

المستشار شمس الدين خفاجي فكر ..وتطبيق ..لم يكتف بأفكاره التعاونية ..بل عمـل على تطبيقها وتعهدها بالرعاية والمتابعة حتى أصبحت مشروعات تخدم المجتمع.

المستشار شمس الدين خفاجي يعتبر من جيل البنائين العظام فى مصر، هـو طلعـت حرب الحركة التعاونية.

شارك فى تأسيس وتطوير الاتحاد التعاونى الاستهلاكى لمحافظة القاهرة ..وأسس الاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى ..والجمعية التعاونية العامة للسلع الاستهلاكية والاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى ..الذى بدأ اجتماعاته ـ لعدم وجود مقر ـ فى مبنى نقابة المهندسين.

له دور بارز فى الإعلام التعاونى ..فهو مؤسس مجلة صوت التعاون التى صدرت فى بدايتها عن الاتحاد التعاونى الإقليمى بالفيوم، ثم عن الاتحاد التعاونى الاستهلاكى بالقاهرة وأسس مجلة "برج التعاون" التى تصدر عن الاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى ..وأسس المطبعة التعاونية.

وفى الفيوم كان وما زال له دور بارز فى جمعية المحافظة على القرآن الكريم وجمعية تعمير المساجد وهو المؤسس والرئيس الأول لاتحاد مناطق البر والإحسان وعضو بارز فى المجلس البلدى ورئيس جماعة ندوة الأدباء وسكرتير جماعة باكورة الثقافة التى التحق بها الطالب بكلية الحقوق جمال عبد الناصر عندما نقل نشاطها إلى الجامعة.

وفى الفيوم كذلك له دوره فى تأسيس النقابات العمالية واتحاد عمال الحكومة والخدمة السابرة ونضاله مع جوزيف كافورى صاحب شركات الأتوبيس والسكك الحديدية تسجله محاضر جلسات لجان التوفيق والتحكيم التى أقامها وترافع فيها واستخلص حقوق العمال منها.

كما ساهم مع الكاتب الصحفى والمؤرخ المرحوم الأستاذ محمد صبيح والمرحوم التعاونى الرائد المهندس محمود فوزى فى تأسيس دار التعاون للطبع والنشر وتشكيلها كجمعية تعاونية تساهم فى رأسمالها الجمعيات التعاونية الزراعية.

وله دور كبير فى تأسيس المعاهد التعاونية ..والجمعية المصرية للدراسات التعاونية وكان أمينا عاما لها لسنوات طويلة ..وأسس جمعية القادة والإعلاميين التعاونيين الغرب التى يرأسها ..وتمارس دورها فى خدمة الحركة التعاونية المصرية.

المستشار شمس الدين خفاجى كما يصفه صديق عمره ورفيق كفاحه الدكتور كمال أبو الخير شخصية رائدة وشامخة وشجاعة ..وله دوره البارز فى كل مجالات العمل التعاونى..

وكما وصفه الرائد التعاونى الأستاذ أحمد أبو الغار شخصية لا تهــدأ ..ويجــد نفســه فى المشروعات التعاونية الجديدة وأستاذ لا يبارى فى مجال التشريع التعاونى.

يتميز المستشار شمس الدين خفاجى بالجرأة والشجاعة ومواجهة كــل الصعــاب وحلها ..وخاض معارك ضارية مع عدد من وزراء التموين والإسكان عندما كان رئيسا لكل من الاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى والاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى ..بسبب محاولة تدخلهم وسيطرتهم على العمل التعاونى، واختار أن يترك رئاسة الاتحادات حتى لا يتخلى عن مبادئه وقيمه.

إن القلاع الشامخة فى الحركة التعاونية المصرية التى أسسها شمس الدين خفاجى ستظل شاهدا على عظمة هذا الرجل.

المستشار شمس الدين خفاجى كما يصفه الدكتور أحمد عبد الظاهر رئيس الاتحــاد العام للتعاونيات والأمين العام للاتحاد التعاونى العربى أسس "أكاديمية خفاجى التعاونية" التى تخرج منها مئات القيادات التعاونية التى تتولى اليوم قيادة القطاع التعاونى فى مختلف أنشطته.

وقال الدكتور أحمد عبد الظاهر أنه يفخر أنه أول خريج فى أكاديمية خفاجى التعاونية.

المستشار شمس الدين خفاجى ..ثورة دائمة ..مقالاته نارية ..صريحة ..قوية وشجاعة.. لا يهدأ ..عقله يعمل دائما ليقدم الجديد للحركة التعاونية.

وهو الحاضر الغائب فى كل التنظيمات التعاونية ..بعد أن تركها ..وتفرغ للمحاماة.. والدفاع عن مصالح الجمعيات التعاونية وأعضائها بعد أن قضى ربع قرن فى الدفــاع عــن قضايا الدولة وقرارات الثورة.

المستشار شمس الدين خفاجى هو أول من دعا إلى تأسيس اتحاد تعاونى عــربى عــام ١٩٧٥ .وإصدار قانون تعاونى عربى موحد كما سافر إلى فلسطين بدعوة من قيادتها لوضــع مشروع قانون للتعاون.

المستشار شمس الدين خفاجى تعهد ابنه الأكبر المستشار أحمد خفاجى نائب رئيــس مجلس الدولة بالرعاية الكاملة بعد تخرجه فى كلية الحقوق ..واصبح اليــوم موســوعة فى التشريع التعاونى وخليفته ..فهو يقوم اليوم بدلا منه بتدريس مادة "التشريعات التعاونيــة"

لطلاب المعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية ــ ولطلاب دبلــوم إدارة الجمعيــات التعاونية بكلية التجارة جامعة عين شمس.

والمستشار أحمد خفاجي يشارك فى كل أنشطة الحركة التعاونية وتستعين به المنظمات التعاونية المصرية فى تعديل مساراقما ..ويقدم الفتوى القانونية لكل من يطلبها.

المستشار أحمد خفاجي بعلمه وأخلاقياته الرفيعة ..هو الإنجاز الأول للمستشار شمــس الدين خفاجي ..وهو موضع تقدير واحترام الحركة التعاونية المصرية وهو الرجل بلا خصوم.

وقد شارك المستشار شمس الدين خفاجي فى وضع مشروع قانون التعــاون لدولــة البحرين ولدولة فلسطين، تقديرا لدوره القومى العربى فى خدمة الحركة التعاونية العربية.

<u>ومن أبرز أفكاره التعاونية:</u>

- التعاون فرع من فروع علم الاقتصاد ــ ذلك أن نظام التعاون يهدف إلى رفع المستوى *الاقتصادى للأفراد المتعاونين*، وهو *بالتالى يتفرع على العلوم* الاجتماعية التى يعد علــم الاقتصاد أكثرها أهمية.
- إعداد قانون للتعاون يتطلب تضمينه المبادئ الرئيسية كتعريف للغاية من التعاون ومنح الجمعية الشخصية الاعتبارية، والنص على الأبواب التى يتعين تضمينها النظام الداخلى، وبيان الحد الأدنى للعضوية، وتعيين سلطات الجمعية العمومية، وتحديــــد حـــد أدنى للاحتياطى، وحصة محددة للخدمات الاجتماعية والتعليم، وقواعد توزيع العائد بنسب المعاملات، ووضع حد أعلى للفائدة على رأس المال، وتعيين أنواع المسئولية وأقصـــى أجل لمسئولية الأعضاء المنسحبين وبيان طريقة المراجعة السنوية،وطريقة توزيع فــائض التصفية، وأسباب الحل بالطريق الإدارى أو القضاء، وبيـــان المخالفـــات التعاونيـــة والعقوبات التى ترد عليها، على أن يحال فى غير ما تقدم على النظام الداخلى الـــذى يضعه المؤسسون.
- صلة التشريع بالتعاون هى صلة الإطار العام الذى يضم الموضوع علـــى أســـاس أن التشريع يمثل القواعد المنظمة للعلاقات فى ميدان التعاون بين *الجمعية التعاونية والأفراد*، وبين الجمعية التعاونية والدولة، وبين الجمعية التعاونية وأعضائها، ثم بـــين الجمعيـــة

التعاونية وغيرها من التشكيلات التعاونية الأخرى المرتبطة بها فى البنيان التعاونى على مستوى التوازى أو الصعود، وكل من هذه الروابط يحتاج إلى تنظيم.

- أن الدولة ترعى التعاون، وهذه الرعاية تختلف من بلد إلى بلد تبعا لنوع المجتمع الذى يعمل التعاون فى ظله، وبعبارة أخرى فإن دور الدولة فى رعاية التعاون تختلف باختلاف النظام الاقتصادى السائد فى البلاد بين ما إذا كان اقتصادا حرا أو اقتصادا موجها.
- غير أن صلة الدولة بالتعاون ـ ما زال يثير جدلا بين التعاونيين، فالبعض يرى أن الأساس فى التعاون هو الاعتماد على النفس، وأنه لقيام حركة تعاونية جادة يجب أن تتخلى عنها الدولة.
- التشريع فى دراسته ليس بالجمود الذى يحسبه البعض ..ذلك أن القانون كعلم يدخل فى باب العلوم الاجتماعية يأخذ منها ويعطيها، وهو فى هذا المجال يخدم المجتمع الذى يصدر أو يعمل فى ظله ..القانون إذن فى خدمة المجتمع كما أن العلم فى خدمة المجتمع كلاهما يعبر عنه ويحيط به ليحميه.
- والتشريع ينبض بحياة المجتمع الذى صدر لينظم العلاقات الاجتماعية التى يحياها، وفى التعاون تعد دراسة التشريعات التعاونية من أهم البرامج التى تدرس فى الجامعات فى المجتمعات التى تحل التعاون محلا مختارا من ضميرها وهو ما فطنت إليه مصر اعتبارا من سنة ١٩٥٦ .حين بدأت دراسته فى معهد الدراسات التعاونية، ثم انتقلت إلى كليات الحقوق، واستقر به المقام ضمن مقررات دبلوم الدراسات العليا فى التعاون بكلية التجارة بجامعة عين شمس منذ سنة ١٩٦٢.
- وفى مصر اتصل التشريع بالتعاون منذ لحظة ميلاده ..وفى ٣٠ يناير سنة ١٩٠٩ استجابت الجمعية الزراعية المصرية لنداء الأستاذ عمر لطفى المحامى فشكلت لجنة من الأخصائيين لدراسة النقابات الزراعية التعاونية واختيار أحسن النظم وأكثرها ملاءمة لمصر.
- وقد استطاع عمر لطفى بجهوده داخل اللجنة أن يستخلص منها تقريرا أهم ما اشتمل عليه إصدار قانون التعاون.

- إن الجمعيات التعاونية وبخاصة جمعيات المنتجين الزراعية وجمعيات العمال وما شاكلها تنشأ لفائدة الطبقات المتوسطة والفقيرة من القرويين والبسطاء ممن هم في وضع اجتماعي يفرض المشروع أن يعنى بأمرهم عناية خاصة فيقيد كل نظام يرمى إلى منفعتهم بالقيود التي تقيهم شر انقلاب هذا النظام وبالا عليهم.
- ضرورة التزام التخطيط العلمي كواحد من المبادئ الرئيسية التي يقوم عليها البنيان التعاوني ..وإدخال عنصر الإدارة العلمية في الحساب.
- من المفيد أن يعهد إلى جهة علمية على أعلى المستويات ــ كالجمعية المصرية للدراسات التعاونية ــ بإعادة النظر في نطاق وقواعد ومفهوم المبادئ التعاونية بما يتلاءم مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع العربي وبخاصة في محيط الإنتاج، ولا بد من إعداد تشريع تعاوني ملائم لمجتمع الأمة العربية.
- التعاون ليس إلى الرأسمالية، ولا إلى الاشتراكية في موضع القلب، وإنما هو نظام اقتصادى مستقل يمكن تطبيقه في مجتمع خاص يكون التعاون فيه كفء لتغطية جميع النواحي الاقتصادية.
- ولكن لكي يسود النظام التعاوني، يتعين أن يكون ذلك في مجتمع متقدم من الناحيتين الثقافية والفكرية بحيث تصل دعوته ببساطة إلى الجماهير.
- ففي مجتمع رأسمالي يمكن أن يستعان بالتعاون كعنصر ملطف لحدة الرأسمالية وكثيرا ما ساهم قادة هذا المجتمع من غلاة الرأسماليين في السماح بقيام حركة تعاونية على أن تظل تلك الحركة محصورة في نطاقها لا تتعداه بحيث تصبح دائما في خدمة الرأسمالية لا سيفا مسلطا عليها كصورة من صور الإصلاح التي يتقبلها المجتمع الرأسمالي تنفيسا عن سخط الجماهير وضغط النظام الحر.
- وفي مصر ــ في ظل مجتمع رأسمالي ــ تسرب الإقطاعيون إلى التعاون الزراعي فجمدوه واعتصروا كل قطرة فيه إلى جانبهم ..وبسطوا سيطرتهم عليه، وأحكموا حوله الحلقات، فلم يعد تعاون الفلاحين، بل كان تعاونا على الفلاحين ــ حتى إذا ما وضعت الدولة ــ في يقظة ضميرها ــ نظام الائتمان عن طريق بنك التسليف ظلت الخدمات وقفا على ملاك الأرض دون مستأجريها أو العاملين عليها إلى أن كانت سنة ١٩٥٦ حين أعد

نظام الائتمان الزراعى التعاونى على قاعدة خدمة الحائزين بغير اشتراط ضمان الملاك.. فبدأت ثورة جادة فى طريق العمل التعاونى.

- التعاون ليس هدفا ولكنه وسيلة تهدف إلى تحقيق مجتمع الرفاهية فى ظل الكفاية والعدل.
- نشطت الدولة لحل مشاكل عمال التراحيل عن طريق إنشاء الجمعيات التعاونية وهى صورة أخرى من صور النشاط التعاونى فى مجالات العمل ..صور إنسانية وضعت الخاتمة السعيدة لشقاء عشرات السنين من السخرة التى استنزفت دماء الآلاف من العاملين وحولت حبات عرقهم إلى ثروات هائلة تروى قصة استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وهى القصة التى طال تمثيلها على مسرح هذه الأمة حتى فجر ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢، فأسدل عليها الستار إلى الأبد.
- إذا كان الغرض من نشر التعليم التعاونى هو تدريب التعاونيين ــ فى المرتبة الأولى ــ على إدارة المنظمات التعاونية وفق قواعد وأصول، فإن التشريع التعاونى هو الذى يعين هذه القواعد ويقنن هذه الأصول.
- الاتحادات التعاونية ــ وهى تمثل القمة فى البنيان التعاونى، أداة تعليمية ينفسح المجال أمامها للإشراف والرقابة والتنظيم والتعليم، وهى فى نفس الوقت أداة تشريعية بفضل مساهمتها بالرأى فى لجان إعداد القانون.
- التشريع التعاونى اتخذ وسيلة لخلق حياة تعاونية فى مواجهة كل قوى الشر فى مصر من استعمار جاثم على صدرها إلى حكومات متعاونة مع الاستعمار إلى إقطاع متربع إلى رأسمالية مستغلة إلى احتكارات باغية هى أداة طيعة فى يد الشعب ليأخذ مكانه من السيطرة على مقدراتها، وبديهى أن هذا التشريع لا يأخذ فاعليته ولا ينتج أثره إلا من خلال الإيضاح والذيوع وهى وسائل تعليمية.
- ليس المقصود بالدراسات التعاونية كما يبدو للوهلة الأولى تخريج طلاب مؤمنين بالمبادئ التعاونية وحدها ــ وهو فى حد ذاته كسب للحركة التعاونية ــ وإنما الغرض الأساسى هو إعداد خريجين حاصلين على دراسات فنية فى النواحى التنظيمية والإدارية بكافة فروعها بما يشمل ذلك من قواعد الرقابة وأصول المحاسبة والتسويق والتشريع على أن يباشروا هذا الاختصاص بروح تعاونية وبأسلوب تعاونى.

- التعاون فى أوسع معانيه ــ هو اتحاد موارد فرد وقدرته مع موارد وقدرة آخرين وتنسيقها بحيث تكون مجهودا واحدا مشتركا بغية الوصول إلى نتائج يسعى إليها مجموعهم ..وهو نوع من السلوك الإنسانى شوهد فى العصور البشرية كافة ــ حتى أقدمها عهدا.
- والتعاون شكل من أشكال التنظيم يرتبط فيه جماعة من الأشخاص ارتباطا اختياريا بوصفهم أناسا على أساس المساواة لتحسين أحوالهم الاقتصادية.
- الجمعية التعاونية مؤسسة عادلة ينشئها الأفراد لتبادل المساعدة بقصد رفع مستواهم الاقتصادى والاجتماعى.
- فى ظل هذه المرحلة أصبح من واجب السياسة التشريعية التعاونية تبنى إصدار تشريع واحد فى الدولة الواحدة بحيث يتم فيه تقنين المبادئ التعاونية بصورة موحدة، وبصفة خاصة تقنين مبدأ ديمقراطية الإدارة بشكل يحقق الإدارة الذاتية للتعاونيات ومبدأ التعاون بين التعاونيات بصورة تحقق تيسير التكامل بين فروع النشاط التعاونى على تعددها.
- ولقد كانت مصر سباقة فى اتباع سياسة التشريع التعاونى الموحد منذ مطلع هذا القرن حتى عام ١٩٧٥ الذى بدأ فيه تقسيم الحركة التعاونية بين سبعة تشريعات تعاونية هى قانون التعاون الاستهلاكى، وقانون التعاون الزراعى وقانون التعاون الإنتاجى وقانون التعاون الإسكانى، وقانون الثروة السمكية وقانون المعاهد التعاونية وقانون الاتحاد العام للتعاونيات، فضلا عن القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ الذى لم تلغه تماما أى من هذه التشريعات.
- ولما كانت مصر سباقة فى اتباع سياسة التشريع التعاونى الموحد فقد تبعتها سائر الدول العربية فى الأخذ بنظام إصدار تشريع تعاونى موحد فى كل منها وذلك ما حدث فى كل من سوريا والعراق والكويت واليمن والسودان والصومال.
- ولعل فى إيجاد تشريع تعاونى موحد ما يحقق الثبات النسبى للتشريع على نحو يضمن الاستقرار فى التطبيق، والأمان فى الممارسة، والاطمئنان على طريق الإنجاز.

- إذا كان العالم العربى يشكل ـــ بغير شك ـــ قومية عربية واحدة تتماثل داخل بلدانها عناصر الإيجاب والسلب ـــ أى عناصر الدعم والمقاومة ـــ بالنسبة للحركة التعاونية، فإن التشريعات التعاونية فى دول العالم العربى ينبغى أن تتقارب تمهيدا لتوحيدها ذلك التوحيد التشريعى الذى يمكن أن يحقق غايات هامة تنظيمية واقتصادية.
- رجل التشريع التعاونى هو فى الواقع كمصمم الأزياء الذى ينبغى أن يراعى طبيعة ومواصفات جسم الإنسان الذى يصمم له الرداء ـــ أو كمهندس البناء الذى يجب أن يراعى ظروف المناخ الذى يقام فيه المبنى واحتياجات الإنسان الذى يعيش فى رحابه.
- من أخطر ما يمكن أن يصيب الحركة التعاونية فى دولة ما أن يسند تصميم التشريع التعاونى بها إلى غير قومى مختص ومتخصص.
- التعاون الإسكانى هو ذلك الفرع من العون المتبادل الذى يستهدف به المتعاونون توفير المساكن اللازمة لانتفاعهم والخدمات اللازمة لتكامل الانتفاع بها.
- إن التعاون واحد من سبل الحياة التى تشحذ الهمم وتنمى الذكاء فى المجتمع حسبما يقول دكتور وليم كنج.
- حتى ينمو التعاون فى مجتمع ما فى صورة منظمة ومشروعة فإنه يلزم أن يعمل وفقا لضوابط قانونية توضح أسلوب تأسيس الجمعية التعاونية والقواعد التى تعمل وفقا لها والمبادئ التى تسير عليها وكذلك أوجه النشاط التى تباشرها ووسائل التمويل اللازمة لها وكيفية إدارتها والرقابة عليها.
- عندما مارس التعاون الاستهلاكى مشروع مكافحة الغلاء بدعم من الدولة انقلب هذا المشروع فى بعض دوائره نهبا لقادة الحركة التعاونية الاستهلاكية خارج نطاق خدمة الجماهير.

وهذه ت سريعة من مسيرة الرائد ونى العظيم ر شمس الدين جى

- تخرج فى كلية الحقوق سنة ١٩٤٠ واشتغل بالمحاماة إلى أن قامت الثورة فتقرر تعيينه محام أول للحكومة حيث دافع أمام القضاء عن أهم قرارات الثورة.

- تدرج فى المناصب القضائية بهيئة قضايا الدولة إلى أن تولى منصب رئيس قسم الاستئناف العالى فرئيس قسم القضاء الإدارى بها ثم وكيلا للهيئة.
- فور بلوغ سن المعاش عاد لممارسة المحاماة أمام محكمة النقض، ثم قرر التفرغ لخدمة الحركة التعاونية.
- بدأ فور تخرجه فى كلية الحقوق ـ أى منذ نحو نصف قرن ـ فى الدعوة إلى الحركة التعاونية فكرا وتطبيقا فأسس بالفيوم باكورة التعاونيات الزراعية والاستهلاكية والإسكانية وانتخب رئيسا لها، واشترك فى تأسيس الاتحاد التعاونى لمحافظة الفيوم وتولى رئاسته منذ سنة ١٩٤٦.
- اشترك فى تأسيس المركز الثقافى بالإسكندرية فى الأربعينيات وتولى عضوية مجلس إدارته وشارك مشاركة فعالة فى تدريب القيادات الفلاحية التى أسندت إليها مناصب قيادية فيما بعد.
- اشترك فى عضوية اللجنة العامة للمؤتمر التعاونى العام فى سنوات ١٩٥٥، ١٩٥٦، ١٩٥٧ وهى المؤتمرات التى شهدها وألقى بيانات الحكومة أمامها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.
- أسس مجلة (صوت التعاون) وظل رئيسا لتحريرها منذ سنة ١٩٤٦ حتى الآن، وكانت هذه المجلة منبرا للفكر التعاونى والوطنى.
- نشر فى مجلة "صوت التعاون"سنة ١٩٥١ مقالا سياسيا بعنوان "أحمد عرابى يعود" اعتقل على أثره بتهمة العيب فى الذات الملكية والتحريض على قيام ثورة مسلحة وأحيل إلى محكمة الجنايات وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ أعيد اعتقاله.
- عقب قيام الثورة وتعيينه محام أول للحكومة، اشترك فى تأسيس الاتحاد التعاونى لمحافظة القاهرة وتولى رئاسته.
- اشترك فى تأسيس مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر وتولى الكتابة فى صحفها منذ تأسيسها سنة ١٩٥٩ وحتى اليوم وانضم عضوا بنقابة الصحفيين.
- تولى عضوية مجلس إدارة المجلة المصرية للدراسات التعاونية فى باكورة صدورها وشغل منصب مدير التحرير.

- تولى عضوية مجلس إدارة مجلة التعاون التى كانت تصدرها مصلحة التعاون وظل يكتب بابا خاصا بها طوال سنوات صدورها.
- انتدب مستشارا للهيئة العامة للإصلاح الزراعى سنة ١٩٥٧ وساهم فى وضع قوانين الإصلاح الزراعى وتنظيمات الجمعيات التعاونية للإصلاح الزراعى واشترك فى اللجنة العامة لمؤتمر الفلاحين وقدم فى المؤتمر تفسيرا فى مائتى سؤال وجواب لقانون العلاقة بين المالك والمستأجر اتخذ أساسا للقرارات التى أصدرتها اللجان القضائية فى أربعة آلاف قرية، وأعد مشروع عقد إيجار نقدى وعقد إيجار بطريق المزارعة أهداهما لدار التعاون التى طبعت منهما ووزعت على الفلاحين من ملاك ومستأجرين عشرات الآلاف من النسخ حصلت منها على مقابل أضيف إلى مواردها ثم عاد مستشارا للجمعية التعاونية العامة للإصلاح الزراعى سنة ١٩٦٧ حيث أعد بهذه المناسبة مشروع القرار الوزارى الصادر بإنشاء المجلس الأعلى للتعاون الزراعى على غرار القرار الوزارى الذى أعده من قبل بإنشاء المجلس الأعلى للتعاون الاستهلاكى واختير عضوا فى كل منهما.
- انتدب مستشارا للمؤسسة العامة التعاونية الزراعية منذ سنة ١٩٦٠ وساهم فى وضع القواعد التنظيمية للجمعيات التعاونية الزراعية وأشرف على الانتخابات فى خمسة آلاف جمعية فى يناير ١٩٦١.
- انتدب مستشارا لجهاز الحرفيين والتعاون الإنتاجى للمساهمة فى تطبيق القانون رقم ١١٠ لسنة ١٩٧٥ فور صدوره والذى رأس لجنة إعداده.
- مؤسس ورئيس الجمعية التعاونية الاستهلاكية لأعضاء هيئة قضايا الدولة وسكرتير عام نادى الهيئة.
- مؤسس ورئيس الاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى حتى مارس ١٩٨٦.
- رئيس الاتحاد التعاونى الاستهلاكى لمحافظة القاهرة حتى مارس ١٩٨٦.
- مؤسس ورئيس الاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى.
- نائب رئيس الاتحاد العام للتعاونيات منذ تأسيسه وحتى مايو ١٩٨٩.
- وقع عليه الاختيار من المنظمات التعاونية المصرية التسع المنضمة إلى الاتحاد التعاونى العربى ليكون ممثلا عن مصر فى عضوية مجلس إدارته، وذلك تقديرا لدوره الريادى فى

الدعوة إلى تأسيس هذا الاتحاد بمناسبة انعقاد المؤتمر التعاونى العراقى الثانى فى بغداد سنة ١٩٧٤، واختياره عضوا فى اللجنة التحضيرية بوصفه رائد التشريع التعاونى فى مصر والبلاد العربية.

- اختاره السيد الأستاذ الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الأراضى عضوا فى لجنة وضع استراتيجية التعاون الزراعى.
- كذلك كان عضوا باللجنة العامة لمؤتمر الفلاحين ومستشارا لها.
- عضو لجنة خبراء التعاون العرب بجامعة الدول العربية.
- رئيس المؤتمر التعاونى العربى المنعقد فى القاهرة فى مارس سنة ١٩٨٤ والذى استقبل رؤساء الوفود المشاركة فيه السيد رئيس الجمهورية.
- أمين عام الاحتفال بالعيد الماسى للتعاون سنة ١٩٨٤ الذى عقد بمقر اللجنة المركزية وتولى السيد الدكتور رئيس مجلس الوزراء توزيع شهادات التقدير على القيادات التعاونية بكافة صورها وأسماء المتوفين منهم ممهورة بتوقيع السيد المستشار الذى وافق مجلس الوزراء على طلبه إصدار عملة تذكارية فضية وطابع بريد يحمل صورة المغفور له عمر لطفى بهذه المناسبة.
- دعا إلى الاحتفال بمضى ثمانين عاما على نشأة الفكرة التعاونية فى مصر فى رمضان الماضى فى حفل شهده السيد المهندس وزير التعمير والإسكان ورئيس الاتحاد العام للتعاونيات ورؤساء الاتحادات التعاونية المركزية والقيادات التعاونية المختلفة حيث تم تكريم القيادات الشعبية والتنفيذية، وقام مجلس إدارة الاتحاد الإسكانى بتكريمه بالاشتراك مع السيد المهندس الوزير.
- رئيس لجان وضع التشريعات التعاونية:
  - قانون التعاون الزراعى الأول.
  - قانون التعاون الاستهلاكى رقم ١٠٩ لسنة ١٩٧٥.
  - قانون التعاون الإنتاجى رقم ١١٠ لسنة ١٩٧٥.
  - قانون التعاون الإسكانى رقم ١٤ لسنة ١٩٨١.
  - أعد مشروع قانون الاتحاد العام للتعاونيات رقم ٢٨ لسنة ١٩٨٤.

- أعد مشروع التشريع التعاونى لدولة البحرين.
- أعد مشروع التشريع التعاونى لدولة فلسطين.

له عدد من المؤلفات العلمية فى التشريعات التعاونية ومنها كتبه فى شرح:

- قانون التعاون الاستهلاكى.
- قانون التعاون الإنتاجى.
- قانون التعاون الإسكانى.
- قانون التعاون الزراعى.
- التشريع التعاونى العربى.
- تنظيم الملكية الزراعية، وتشريعات الإصلاح الزراعى.
- تاريخ ومبادئ التعاون.
- التعاون الاستهلاكى بين الشرق والغرب.
- التعاون فكر وقانون.

- زار وتعرف على الحركات التعاونية فى الدول العربية (الكويت، البحرين، العراق، لبنان، سوريا، فلسطين المحررة، السودان، المغرب، دولة الإمارات العربية المتحدة) كما زار وتعرف على الحركة التعاونية فى كل من ألمانيا الاتحادية وألمانيا الشرقية، وإنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وقبرص، والاتحاد السوفيتى، ورومانيا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر وفنلندا والسويد والنمسا، والدانمارك، والولايات المتحدة الأمريكية، والهند وشارك فى المؤتمرات والندوات العلمية التى عقدت بها، كما عقد عدة اتفاقيات مع كثير من الدول والمنظمات الدولية فى المجالين الاستهلاكى والإسكانى.
- مثل مصر فى مؤتمرات الحلف التعاونى الدولى واختير عضوا فى لجنته المركزية.
- أول سكرتير عام للجمعية المصرية للدراسات التعاونية التى دعا إلى تأسيسها وسجل نظامها بوزارة الشئون الاجتماعية كوكيل عن المؤسسين.
- مستشار المعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية.

- أستاذ التشريعات التعاونية بالدراسات العليا بكلية التجارة بجامعة عين شمس منذ سنة ١٩٦٢.
- أستاذ التشريعات التعاونية والملكية الزراعية بالمعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية والمعهد العالى للتعاون الزراعى منذ سنة ١٩٦١ ولمدة ٢٥ عاما، وساهم مساهمة أساسية فى تأسيسهما وعضوية مجالس إدارتهما.
- كان مستشارا لأمانة التعاون بالاتحاد الاشتراكى العربى منذ عام ١٩٦٥.
- كان عضوا باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى سنة ١٩٧١.
- عضو لجنة التنمية الشعبية ولجنة السكان ولجنة التموين بالحزب الوطنى الديمقراطى.
- وقع عليه اختيار السيد الدكتور المشرف على المجالس القومية المتخصصة عضوا بلجنة الحكم المحلى ومقررا للجنة التعاون التى فوض فى اختيار أعضائها من بين القيادات العامة المتخصصة فى هذا المجال وهى اللجنة التى أعدت بحثا علميا تطبيقيا مستفيضا عن الآفاق المستقبلية للحركة التعاونية فى مصر.
- ألقى كلمات ومحاضرات تعاونية فى المؤتمرات القومية والإقليمية والتى عقدها على مستوى الجمهورية والزيارات الميدانية التى شملت قرى ومراكز ومحافظات البلاد.
- كان له الدور الكبير والرائد فى إنشاء المركز الثقافى التعاونى الملحق بالاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى والذى افتتح لأول مرة سنة ١٩٨٣ ومركز التنمية التعاونية والإدارية الملحق بالاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى الذى افتتحه السيد الوزير سنة ١٩٨٧ وأسس مدرسة التدريب على استخدام الحاسب الآلى وإنشاء المكتبة التعاونية الجامعة ومطبعة مجلة "برج التعاون" التى يصدرها الاتحاد وتولى سيادته رئاسة مجلس إدارتها فضلا عن رئاسته للجنة الفتوى بالاتحاد الإسكانى.
- يعد المستشار القانونى لكافة النواحى التعاونية، وكان له دور بارز فى دعم دفاع قيادات الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى عندما تعرضوا لمحنة قادتهم ظلما إلى محكمة الجنايات وكان لهذا الدعم القانونى أثره فى حكم البراءة التى توجت به هذه القضية.
- وفى مجال التعاون الإنتاجى كان له الجهد الكبير فى دعم الجمعية التعاونية الإنتاجية لقبانى مينا البصل حيث تولى ترشيد نشاطها وتطويره وترافع عنها أمام محكمة

القضاء الإدارى بمجلس الدولة بما أسفر عن حكم أدمجت بمقتضاه جميع مكـــاتب القبانية بالإسكندرية فى هذا التنظيم الوليد الذى أصبح الآن قبلة أنظار المصدريـــن والمستوردين من مصر ودول العالم وبخاصة البلاد العربية بالنسبة للوزن والتفتيـــش والمراجعة حتى أصبحت لها مكاتبها فى كل من طوكيو ولندن ونيويورك ومعـــامل تحليل ومعهد للدراسة والبحث العلمى.

- تكريما لسيادته قرر الاتحاد التعاونى العربى منح سيادته شهادة التقدير وميدالية الريادة التعاونية التى تمنح لأكبر قيادات الحركة التعاونية فى العالم العربى.
- احتفل قادة الحركة التعاونية الشعبية والعلمية فى مصر ببلوغ سيادته سن السبعين وفى هذا الاحتفال قدم إليه السيد الأستاذ الدكتور عميد المعهد العالى للتعاون الزراعـــى شهادة تقدير باسم مجلس إدارة المعهد عرفانا بفضل سيادته فى مجال تأسيس المعـــهد ودوره الرائد فى خدمة الحركة التعاونية، وأعلن الأستاذ محمد رشاد رئيس تحريـــر جريدة التعاون أنه بصدد إصدار كتاب بعنوان "المستشار شمس الدين خفـــاجى فكر وتطبيق"(١)
- من أجل ذلك كله قرر مجلس إدارة الاتحاد التعاونى الإســـكانى المركـــزى بجلســـة ١٩٨٨/٨/٢٢ بالإجماع اختيار سيادته للحصول على أعلى مستوى من التكـــريم جزاء جهوده العلمية والتعليمية والتدريبية وفى التأليف وتخريج القيادات وإنشـــاء المراكز الثقافية ومراكز التدريب وفى التشريع وفى تأسيس الاتحـــادات التعاونيـــة المركزية الاستهلاكية والإسكانية وفى تأسيس معاهد الدراسات التعاونية وتفويـــض سيادته فى اختيار العناصر الأخرى التى تستحق التكريم اتساقا مع قرار مجلس إدارة الاتحاد العام للتعاونيات فى غيبته باختياره رئيسا للجنة التى تتولى اختيار القيـــادات التعاونية على المستوى القومى للتكريم والتى اعتذر فور علمه بالقرار عن رئاستها.
- من أجل الحب العظيم الذى أشاعه فى الحركة التعاونية والنهضة التى صاحبت جـــهاده وجهوده .ومن أجل التكريم المناسب لشيخ التعاونيين ورائدهم الذى تمثل فى احتفـــال

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مؤسسة دار التعاون فى ديسمبر سنة ١٩٩٨

جميع القيادات التعاونية فى مصر بتكريمه فى يوم ١٩٩٨/٦/٢٣ بمناسبة بلوغه سن الثمانين وما زال لديه من العطاء ما تعجز عنه جهود الشباب.

- من أجل الحب والود الذى يربط التعاونيين نحو رائد التعاون وقائد مسيرته الشعبية والعلمية نقدم هذا التعريف.
- وقد توج السيد الرئيس محمد حسنى مبارك هذا التقدير الرسمى والشعبى فتفضل بمنحه نوط الامتياز من الطبقة الأولى فى المؤتمر التعاونى العام الأول.
- وفى ١٩٩٦/٤/١٤ أصدرت نقابة السادة الأشراف بجمهورية مصر العربية الوثيقة رقم ١٣١٦٢ ص ٣٢/٢١٦٨ عام ١٩٩٦ بأن المستشار محمد شمس الدين عبد الحليم حسين رضوان خفاجى يصل نسبه بالسيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- كما منحته رابطة الأدب الحديث الزمالة الفخرية تتمينا لدوره التعبيرى عن هموم الإنسان المعاصر بكلمة صادقة لا تعوزها الشجاعة من خلال أعماله الشامخة موقعا عليها من السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى رئيس مجلس الإدارة والسيد الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف نائب رئيس الرابطة.
- أسس ورأس الجمعية العربية للعلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين.
- وإلى هذه الجمعية عهد الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى عام ١٩٩١ بإعداد مشروع قانون التعاون الزراعى الذى نوقش فى الدورة المشتركة بين الاتحاد الزراعى ومؤسسة فريدريش ناومان التى عقدت بقاعة أحمد يونس بالاتحاد الزراعى.

ألف منفردا المؤلفات الآتية:

١) مجموعة التشريعات التعاونية الصادرة فى مصر منذ عام ١٩٢٣ حتى إعداد المؤلف علم ١٩٦٣، ويعد هذا المؤلف أول مرجع من نوعه، أشير إليه فى كتب من رسائل الماجستير والدكتوراه، كما أشير إليه فى بعض المؤلفات التعاونية.

٢) التعاون فكر وقانون : وهو الكتاب الذى كان يدرس فى الدراسات العليا بكلية التجارة بجامعة عين شمس فى دبلوم إدارة الجمعيات التعاونية.

٣) تاريخ ومبادئ التعاون.

٤) تنظيم الملكية الزراعية وتشريعات الإصلاح الزراعي : وهو أول مرجع فى مادة اتخـــذ أنموذجا لكل من أساتذة هذه المادة التى أنشأها فى سنة ١٩٦٠ وظلت أساســـا لهـــذه الدراسات حتى اليوم، كما اتخذت قاعدة علمية فى دبلوم التنمية بالدراسات العليا بالمعهد العالى للتعاون الزراعى منذ عام ١٩٩١.

٥) التشريع التعاونى المعاصر.

٦) التشريع التعاونى الحديث.

٧) التشريع التعاونى المقارن.

وألف بالاشتراك مع المستشار أحمد شمس الدين خفاجي نائب رئيس مجلـــس الدولـــة المؤلفات الآتية:

١. شرح قانون التعاون الاستهلاكى.
٢. شرح قانون التعاون الإنتاجى.
٣. شرح قانون التعاون الزراعى.
٤. شرح قانون التعاون الإسكانى.
٥. التعاون الاستهلاكى فى مصر والعالم.
٦. البنيان التعاونى فى مصر والعالم العربى.
٧. التعاون المدرسى والتربية التعاونية.
٨. التشريع التعاونى العربى.
٩. قانون التعاون الزراعى (دراسة نقدية).
١٠. التشريع التعاونى والتنمية التعاونية.

- مستشار الاتحاد العام للتعاونيات.

وقد لخص أستاذه الجليل المستشار عبد الحليم الجندى رئيس هيئة قضايا الدولة وعضو مجمع البحوث الإسلامية نضاله بقوله:

"إن شمس الدين خفاجي المحامي المتميز والمستشار القدير والكاتب والمحاضر والمؤلف والإعلامي والتعاوني في مجمله ومفصله ظاهرة لا تتكرر"

كما لخص المستشار أحمد ممتاز رئيس قسم التفتيش القضائى فى أول تقرير تفتيش عنه أن العضو مترافع فذ وأسلوبه فى الكتابة متين.

هذه صورة سريعة لنهر العطاء القانونى والتعاونى .الشخصية الفذة ..المستشار شمس الدين خفاجى ..الرائد التعاونى العظيم، والمحامى الذى وهب حياته لخدمة الحق والعدل والحرية عن الدولة تارة وعن الأفراد والهيئات تارة أخرى.

محمد رشاد عبد الله
رئيس تحرير جريدة التعاون

تشـــريق

فى مطلع شبابى كان لى ولع بقراءة الأدب وفى مقدمة صوره السيرة الذاتية للكبار فى كل مجال من مجالات الحياة، وفى هذا الإطار قرأت (الأيام) للدكتور طه حسين، و (يوميات نائب فى الأرياف) لتوفيق الحكيم ..وبعد عشرات السنين صافحت يدى كتـــابين كريمـــين يتحدثان بألوان مختلفة من ألوان الحديث عن رجل كبير القدر، كبير الهمة، كبير العطاء، هو المستشار شمس الدين خفاجي والكتاب الأول هو كتاب (المستشار شمس الدين خفـــاجي.. فكر وتطبيق).

والكتاب الثانى هو الذى بين أيدينا اليوم.

والحقيقة أننى استمتعت بكل ما حواه الكتابان المذكوران بأشد مما استمتعت بما حوته كتب الفكر والأدب جميعا التى قرأتها طوال حياتى ..ذلك أننى عايشت عن كثب كل مـــا تضمنه الكتابان المذكوران من أحداث ووقائع هى فى حقيقتها أبعد أثرا وأكثر عمقا مما حوته الكلمات وتضمنته السطور لأن الألفاظ المكتوبة تعجز عن وصف ما حوته الأحداث مـــن عمق الصراع الفكرى والنفسى الذى كان يحمله كل حدث مرت عليه الســـطور مـــرور الكرام، لم يكن يسيرا على أطفال ثلاثة فى عمر الزهور، يتعرضون أكثر من مرة لمنظر رجـــال الشرطة وهم يطرقون باب منزلهم الآمن فى جبروت السلطة لينزعوا من بين أحضانهم والدهم الشاب إلى حيث المعتقل الذى لا يعلمون أجله ولا مداه.

لم يكن يخفف على هؤلاء الأطفال وقع هذه الصدمات المرة المتتابعة إلا إيمان الأم بأن والدهم من أبطال مصر الذين يعملون على مقاومة الفساد من القاعدة إلى القمـــة دون أن يبالى فى سبيل ذلك لومة لائم.

كنا أطفالا دون العاشرة، ورغم ذلك كنا مطالبين بأن نكون رجالا نحمل على أكتافنا شجاعة الرجال، وفى قلوبنا صبر الرجال وفى عقولنا إدراك الرجال لحقيقة البطولات التى تســـطر فى بيتنا ومن حولنا حينما كنت أنظر من شرفة المنزل فأجد سرادقا يجلس فيه المواطنون بـــالفيوم من عمال وفلاحين وغيرهم من فئات الشعب على الأرض يستمعون إلى خطابة نارية مـــن

والدهم الخارج لتوه من المعتقل يقول لهم فيها أيها الحفاة العراة الجوعى، إن يوما قريبا سيأتى على مصر تصبحون فيه السادة حيث سيصبح المصريون يومها جميعا هم السادة الأحرار.

أننى أتذكر يوم أرسل مدير الفيوم إلى المحامى الشاب صاحب هذا الكتاب رسالة يطلب إليه فيها أن يقبل قسمة الفيوم مناصفة بينه وبين المدير فيكون للمحامى الشاب الزعامة الشعبية ويكون للمدير الإدارة الرسمية لا ينازع أحدهما الآخر فى نصيبه هذا، ولكن المحامى المجاهد الغيور على دينه وبلده وشعبه رفض هذا العرض وكأنما يتمثل قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمه (والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه).

ولقد أظهر الله الحق بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ التى رفعت المحامى الشاب إلى منصة القضاء وحققت لشعب مصر نبوءة غالية حيث تحققت لأبنائه السيادة والعزة والكرامة.

إننى أشم فى بيتنا عبق التاريخ وعطر القانون بوجه عام والقانون الإدارى بوجه أخص، كما أننى أشم ريح الجنة من خلال روحانية سامية عالية تحف بصاحبها من كل جانب، ولو أن الاستنساخ صحيح شرعا وعلما وقانونا لأردت أن أكون نسخة من أبى ولكنه يأبى على إلا أن أكون أصلا يمكن الاستنساخ منه ..أصل ثابت جذوره فى الأرض وفروعه فى السماء.

بغير قصد منى أى بقصد خلفته أن أخلفه فى القضاء الإدارى الذى كان رئيسا له فى هيئة قضايا الدولة ..وخلفته فى التدريس فى معاهد الدراسات التعاونية العالية وفى الدراسات العليا بجامعة عين شمس ..وأشركنى منذ تخرجى فى الجامعة سنة ١٩٦٣ وحتى هذا الحين فى إعداد وصياغة التشريعات التعاونية ..وما استتبع ذلك كله من التأليف والتصنيف والتدريب والمحاضرة ..وما زلت فيما رسمناه سويا من العمل مستشارا للاتحادات التعاونية المركزية والاتحاد العام للتعاونيات، اتصالا بالندوات التعاونية وحلقات الدرس فى سوريا وفى لبنان وفى العراق وفى الكويت ..ثم فى الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا.

مع كل هذا السير فى ذات الطريق فإنه يأنس لى وأنس له عندما تكون دراسة فى فقه القانون وقضائه .وفى التعاون وآلائه ..والله إنى لأحمده على الحياة فى زمن هو فيه نبراس وأساس ..سيرة عطرة وشجاعة فائقة وحكمة بالغة واجتياز للأزمات غير وجل ولا هياب.

إن الكتابين الموضوعين بين أيدى القراء اليوم هما تسجيل لتاريخ عظيم وأليم فى ذات الوقت لأنه تاريخ صراع بين كلمة الحق التى لا تضعف ولا تستسلم ولا تتقوقع ولا تتلـــون ولا تنحنى وبين أفكار أخرى تطالب بالانحناء للعاصفة ولكنها أفكار مرفوضة ممن آمن وعنده عقيدة صلبة بشعار الحزب الوطنى القديم (أد الواجب ودع ما يكون). وآخر كلمـــاتى أن الحمد لله رب العالمين

المستشار /أحمد شمس الدين خفاجى
نائب رئيس مجلس الدولة

الرواد والدعاة، قادة الحركة التعاونية فى مصر
منذ الأربعينيات والخمسينيات ومطلع الستينيات

ليس من العدل أن نؤرخ للحركة التعاونية فى مصر من خلال نحو عشرين من هذه القيادات ولكنهم الصفوة الذين يكاد أن يدخل نضالهم التعاونى فى دائرة الاحتراف غير المكافأ ولا المأجور وهذا نوع من الاحتراف افتقدته التنظيمات الشعبية فى جيل ما بعد الستينيات.

وهؤلاء القوم الذين تعيهم الذاكرة الآن قمت بتوزيعهم على محافظات مصر من يكن نشاطه تجاوز هذه المحافظات إلى العاصمة سواء فى شكل الجمعية التعاونية للاتجار بالجملة التى كان النضال فى سبيل قيامها أشبه فى بدايته باليوم الذى قاد فيه مصطفى النحاس باشا النواب لتحطيم السلاسل الحديدية الذى أوصد بها صدقى باشا الباب الرئيسى للبرلمان فى وجه النواب بعد أن استصدر قرارا بحله، وإن كانت معركتنا فى يوم تأسيس الجمعية التعاونية للاتجار بالجملة لم تكن دامية مثلما كان يوم النواب حيث صوب رجل الشرطة السونكى الملحق بالبندقية إلى صدر النحاس باشا ليثنيه عن بلوغ الغاية بأى ثمن بينما مد سينوت بك حنا ذراعه إلى صدر النحاس باشا فأدماه السونكى.

ثم كان لهؤلاء الرجال نضال فى تطبيق نظام مكافحة الغلاء الذى دعت إليه الحكومة واعتمدت له الأموال وكان له أكبر الأثر فى وقف جموح الغلاء.

ثم كان هناك نشاط أكبر فى نقل الإشراف على مجلة التعاون من وزارة الشئون الاجتماعية — التى كان بين رؤساء تحريرها الدكتور إبراهيم رشاد والأستاذ عبد اللطيف فهمى عامر — إلى مكانها الطبيعى فى حضن الاتحادات التعاونية التى وإن لم يكن لها اتحاد عام يجمعها إلا أنها فرضت واقعها بإنشاء لجنة تدعى اللجنة العامة للمؤتمر التعاونى العام واتخذت لها مقرا فى عمارة الزهراء بجاردن سيتى.

وتولى محمد إمام الجمال رئيس اتحاد ميت غمر — والدينامو وراء هذا النشاط — رئاسة التحرير مع لجنة شرفتنى بعضويتها.

ثم كان هذا المؤتمر العام الذى رأس جلساته السيد حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية الذى ازدهى به النشاط التعاونى وازدهر فى حين شهد جلساته الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى إطار دعوته إلى الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ومن منبر هذه المؤتمرات كان يلقى الرئيس عبد الناصر بياناته التاريخية.

وللتاريخ فإن الصراع بين المشير عبد الحكيم عامر الذى أحفظه انطلاق شعبية السيد حسين الشافعى فرشح مدير مكتبه السيد محمد توفيق عبد الفتاح ليكون وزيرا تنفيذيا في عهد الوحدة الذى افتعل صراعا مع نشاط المهندس سيد مرعى المشرف بحكم منصبه على الإصلاح الزراعى وجمعياته التعاونية إلى ما أسفرت عنه هذه الصراعات من صدور القانون ٢٦٧ لسنة ١٩٦٠ بإنشاء المؤسسات العامة التعاونية بناء على إيحاء من المهندس سيد مرعى ولهذا القانون الفضل فى:

أولا :دعم الحركة التعاونية على أساس التبعية النوعية لسائر الوزارات بالسحب من وزارة الشئون الاجتماعية.

وثانيا :وفى نفس الوقت تمزيق القيادة التعاونية شر ممزق بفضل هذه التجربة التى أصابت الحركة التعاونية الشعبية فى مقتل.

وللأمانة التاريخية فإنى أقول أننى كنت ضالعا فى إعداد القرار الوزارى بإنشاء المؤسسة العامة التعاونية الزراعية حين وقع على الاختيار مستشارا لهذه المؤسسة.

وأنى أدفع عن نفسى الخجل جانبا وأن لم أدفع المسئولية كاملة عن صدور أول قرار من المهندس سيد مرعى وزير الزراعة ورئيس المؤسسة بتجميد نشاط الاتحادات التعاونية باعتبار أن ٩٠ %من نشاطها يدخل فى دائرة النشاط الزراعى.

وفى نفس الوقت أشعر بالفخر أننى استطعت بالحيل القانونية المتسمة بالسرعة فى التنفيذ فى استخلاص الاتحادين التعاونيين بالقاهرة والإسكندرية إلى جانب النشاط الاستهلاكى.

كما استخلصت ناتج تصفية الجمعية التعاونية للاتجار بالجملة، ذات العضوية الأغلبية الساحقة الزراعية لحساب القطاع الاستهلاكى أخذا فى الاعتبار أن الذى يتكون منه الاحتياطى هو حاصل المعاملات وليس حجم العضوية.

ولما كان نحو ٩٠ %من معاملات الجمعية التعاونية للاتجار بالجملة استهلاكية فقد حسم الأمر فى لقاء بين المهندس سيد مرعى وزير الزراعة والأستاذ محمد عبد الله مرزبان وزير التموين الذى كان لى على وزارته إضافة بإعداد قرار إنشاء المجلس الأعلى للتعاون الاستهلاكى أسوة بما كان لى فى إنشاء المجلس الأعلى للتعاون الزراعى.

ولننتقل الآن إلى بيان الرواد.

أسوان صالح بك مشالى

قنا الشيخ محمد النادى

سوهاج الأستاذ محمود أبو زيد

أسيوط أحمد باشا قرشى

المنيا طه بك مخلوف ــ عامر محمد عامر

بنى سويف عبد الخالق فريد المحامى ــ عبد الحليم سليمان الجندى المحامى
الأستاذ أنور عوض عريان ــ الأستاذ محمد متولى ــ الأستاذ محمد الأمير

الفيوم عبد الستار بك الباسل ــ الدكتور حافظ مؤمن
محمد أمين بك أبو زيد طنطاوى ــ شمس الدين خفاجى
حسن أحمد شبريه

القاهرة	محمد زكى على باشا ــ عباس بك الرمالى ــ عبد الرحيم بك محمود الأستاذ محمود فهمى محمد ــ عبد الله بك فكرى أباظة محمد الحسينى زعلوك ــ الأستاذ سامى حسن أبو العز الأستاذ أحمد محمد أبو الغار ــ الأستاذ أنور حمدى الأستاذ أحمد عيسى عبده ــ الأستاذ حسن العقاد المهندس مصباح العجمى
الإسكندرية	الأستاذ أحمد عبد اللاه ــ الأستاذ حسين عجمى السيد الأستاذ فرغلى حافظ فرغلى ــ السيدة زاهية مرزوق مدام عبد اللاه
البحيرة	المهندس فخرى مهنا ــ الأستاذ كمال سعد المحامى الأستاذ حسن معاذ رميح
الغربية	حسين بك الهرميل
الشرقية	الأستاذ أحمد أحمد أباظة
القليوبية	الشيخ أحمد عبد الرحمن نصير ــ الأستاذ بهجت رمضان المحامى
الدقهلية	الدكتور إبراهيم رشاد باشا ــ حسن بك نافع الأستاذ محمد إمام الجمال ــ الأستاذ حسن الشهاوى الأستاذ محمد إبراهيم المثقف
المنوفية	دكتور صيدلى محمد على حجازى ــ مهندس حسن الشافعى

كفر الشيخ   الأستاذ حلمى السيد

دمياط   الأستاذ محمود زيدان المحامى

الإسماعيلية   السيد على سليمان

وإذ أذكر فإننى أذكر بالخير الصحافة التعاونية الإقليمية التى بدأت بمجلة صوت التعاون بالفيوم ثم مجلة الهداية التعاونية بالقاهرة ومجلة الشعلة التعاونية بميت غمر ومجلة الرسالة التعاونية بالسنبلاوين ومجلة المنصورة بالمنصورة ومجلة أسيوط بأسيوط ومجلة قليوب بقليوب.

تتصدر هذه المجلات مجلة التعاون كما أسلفنا ثم زادت الصحافة التعاونية أهمية بإنشاء مؤسسة دار التعاون بالقاهرة تفريعا على مراقبة الصحافة والنشر بالإصلاح الزراعى ثم استقرارا فى ظل المؤسسة العامة التعاونية الزراعية تارة والاتحاد الاشتراكى العربى تارة أخرى والمجلس الأعلى للصحافة فيما بعد.

رواد الصحافة التعاونية

١ ــ دكتور عبد المنعم أبو طالية

٢ ــ الأستاذ عبد المنعم حماده

٣ ــ الأستاذ محمد صبيح عبد القادر

٤ ــ الأستاذ محمد رشاد عبد الله

فضلا عن رؤساء تحرير المجلات الإقليمية

الوزراء التعاونيون:

الدكتور أحمد حسين باشا

الدكتور أحمد زكى

الدكتور عباس عمار

السيد حسين الشافعى

المهندس سيد مرعى

أساتذة الجامعات والمعاهد العليا وأصحاب المؤلفات التعاونية

عبد الرحمن بك الرافعى

دكتور يحيى الدرديرى

الأستاذ أحمد أبو الغار

الأستاذ أحمد زكى الإمام

الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

الدكتور محمد حلمى مراد

الدكتور محمد زكى شبانه

الدكتور عادل حشيش

الدكتور كمال أبو الخير

الدكتور حسن محمد كمال

المستشار أحمد خفاجى

الأستاذ محمد رشاد

الأستاذ إبراهيم رمزى

المنظمون والمراجعون والمحاسبون التعاونيون والدعاة بحكم مناصبهم:

أشهد الله على أنى وكل الزمرة من القيادات التعاونية التى ذكرت والتى لم أذكر فضلا عن كل القواعد التعاونية فى جميع القطاعات وفى جميع المدن والقرى والنجوع ـ انتقل إليهم الفكر التعاونى من خلال كتيبة من قادة الفكر والتنظيم والإدارة والمحاسبة الذين نطلق عليهم الآن ما ورد فى هذا العنوان:

المحاسب محمد فتحى

المهندس إبراهيم مظهر

المهندس محمود فهمى الحادقة

المهندس السيد المنشاوى

الدكتور إبراهيم رشاد

المحاسب عبد اللطيف فهمى عامر

المحاسب محمد سليمان

دكتور عبد المنعم أبو طالية

المهندس أنور طنطاوى

المهندس حسن حسنى

المحاسب محمد حسن

المحاسب حسين رشدى فرحات

المهندس حسين رشدى شمس الدين

المهندس حسن حلمى

المهندس محمد منير إسلام

المحامى السيد عثمان

المهندس محمد عبد المنعم عثمان

المحاسب حسين القاضى

المهندس حسين عثمان

المهندس محمد رشاد أبو العزم

المهندس أنور العبد

المهندس محمد سليم عبد العزيز

المهندس فاروق السمان

السيدة سهير الصغير

المهندس يوسف الهمشرى

الشاعر محمد الهمشرى

المهندس محمد جمال فهمى

المستشار حسنى أبو السعود

الدكتور يوسف عفيفى

الدكتور فؤاد رضا

الأستاذ سمير رشاد جعفر

السيدة نفيسة عفيفى

المحاسب محمد عبد المنعم كامل

المهندس على البشبيشى

المهندس محمود فوزى

المهندس محمد شوقى مسلم

المهندس عبد المقصود عزت

المحاسب محمد شوقى

المحاسب محمد فؤاد الرملى

المحاسب عبد الخالق حلمى مراد

الأستاذ أحمد مروان

الأستاذ عبد الحميد الشريف

المحاسب فهيم جورجى

المهندس شكرى ذكرى

المحاسب نصيف تادرس

الدكتور عبد الحميد نصر ننيزع

المهندس زكريا لطفى

المهندس حسين سرى

المهندس على عبد الرحمن

المهندس عبد الرحيم صفوت

المحاسب ميلاد شنوده

المحاسب أحمد زكى الإمام

دكتور صلاح العبد

المحاسب عبد الحميد جبرة

المحاسب محمد عبد الغفار عبد الكري

المهندس أحمد حمزة كساب

المهندس أحمد محمد محفوظ

المهندس محمد عبد المنعم ناجى

وليغفر لى ولذاكرتى فى الثمانين من العمر من لم أذكر من الرجال والسيدات ممن لم يقل قدرهم فى الممارسة والتطبيق عمن وعتهم ذاكرتى.

وللإنصاف فقد كان أول من وضع عينى على الفكر التعاونى ووضع قدمى على طريق التعاون هو الأستاذ أمين عامر عمارة منظم التعاون الذى ارتقى فيما ارتقى منصب وكيل وزارة الشئون الاجتماعية وبعد أن أحيل إلى المعاش ارتقى مديرا للمركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية ليكون درة العقد بين أعيان الفكر الذين ارتقوا هذا المنصب.

ولعلنى بذلك أكون قد أوفيت على الغاية ما استطعت، وما توفيقى إلا بالله.

عمـــر لطفـــى

أبو التعاون المصرى

ما من واحد إلا وأخذ من فكره بقبس

ولد عمر لطفى بمدينة الإسكندرية فى سنة ١٨٦٧، وتخرج فى مدرســة الحقــوق بالقاهرة فى سنة ١٨٨٦ ثم عمل مدرسا بها حتى سنة ١٩٠٤ حيث اشتغل بالمحاماة والقضية الوطنية، وفى سنة ١٩٠٨ سافر إلى إيطاليا لدراسة نظام الائتمان التعاونى هناك ثم عاد منــها وهو شديد الإعجاب بأستاذه لويجى لوتزاتى لما تستهدفه أفكاره من إحياء الصناعة والتجارة وتحسين حالة العمال والفلاحين على أساس أن تحسين حالة هؤلاء تساعد على زيادة الـثروة القومية وتدخر لهم ـــ من فائض جهدهم ـــ ما يستنزفه الوسطاء.

وقد سلك "عمر لطفى" سبيل المحاضرة كمحاضر قديم فى مدرسة الحقوق، حاضر فى القاهرة، وفى الإسكندرية، وفى المنصورة، وفى دمياط، وكان خطابه فى المؤتمر المصــرى ٢١ يناير ١٩٠٩ من أهم الخطب التى ألقاها لما انطوى عليه من بيانات عملية وما تضمنه مـــن إحصاءات (يمكن الرجوع إلى ملخص هذه المحاضرات فى كتاب التعاون الدكتـــور يحــيى الدرديرى).

دور الجمعية الزراعية

وفى ٣٠ يناير سنة ١٩٠٩ استجابت الجمعية الزراعية المصرية لندائه فشكلت لجنــة من الأخصائيين لدراسة النقابات الزراعية التعاونية واختيار أحسن النظم وأكثرها ملاءمــة لمصر وتقديم تقرير عنها.

واستطاع عمر لطفى بجهوده داخل اللجنة أن يستخلص منها تقريرا يتضمن اختيــار نوعين من نظم التعاون:

الأول :النقابات الزراعية للتوريد والتسويق.

ثانيا :صناديق التسليف لإقراض الفلاحين ما يحتاجون إليه من النقود حتى لا يضطر الفــلاح إلى بيع حاصلاته بالثمن البخس.

كذلك اقترحت اللجنة:

أولا :إصدار قانون للتعاون

ثانيا :إنشاء لجنة دائمة لتنشيط الحركة التعاونية فى مصر مشابهة لجمعية التأسيس الزراعية فى أيرلندا وصدر بها كشركة مساهمة ــ الأمر العالى فى ٢٧ يناير سنة ١٩١٠ وصـــارت فى أغراضها ووسائلها على غرار بنوك التعاون فى إيطاليا ــ وكانت تلك أولى الهيئـات الـتى وجدت فى مصر من أنواع التعاون فى الإقراض.

وقد واجهت "عمر لطفى" صعوبات قانونية فى تأسيس هذه الشركة على أســـاس تعاونى ما لبث أن تغلب عليها بنفس الأسلوب الذى اتبعه أستاذه لوتزانى فى إيطاليا.

الصعوبة الأولى:

أن قانون الشركات يقضى بتحديد رأسمال ثابت فى قرار إنشاء الشركة بينـــا رأس المال فى الجمعية التعاونية قابل للزيادة والنقصان تبعا للتطبيق العملى لمبدأ بـــاب العضويـــة المفتوح الذى يبيح انضمام أعضاء جدد باكتتابات جديدة واسترداد اكتتابـات الأعضـــاء الذين ينسحبون بإرادتهم من عضويتها.

وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة بالنص فى قانون الشركة على تحديد قيمة ثابتة لرأس المال عند الاكتتاب سددت قيمته بالكامل ثم زيد فى نهاية كل سنة مالية بقـــرار مـــن الجمعية العمومية بمناسبة انعقادها للتصديق على الميزانية بحيث تتسع قيمة الزيادة فى عـــدد الأسهم لتغطية طلبات الأعضاء الجدد الراغبين فى العضوية ــ ثم نص فى المادة الخامسة مـــن القانون على تكليف مجلس الإدارة بإصدار أسهم بكل رأس مال جديد مصرح به أو يصرح به فى المستقبل.

الصعوبة الثانية:

أن قانون الشركات يحتم أن تكون قيمة السهم أربعة جنيهات وهى قيمـــة عاليـــة بالنسبة لما ينبغى أن تكون عليه قيمة الأسهم فى الجمعيات التعاونية التى أنشـــئت أساســـا لاستيعاب قدرات صغار الممولين وبخاصة فى طوائف العمال والفلاحين.

وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة بالنص على إمكان سداد ربع قيمة السهم عند الاكتتاب وسداد الباقى على جملة أقساط يصبح لطالب فى نهاية الوفاء بها عضوا.

الصعوبة الثالثة:

أن القانون يقضى بتعدد أصوات المساهمين تبعا لما يحوزه كل منهم من أسهم فى رأس المال على خلاف مبدأ ديمقراطية الإدارة والذى يتعين معه أن يكون لكل عضو صوت واحد مهما تعددت أسهمه فى رأس مال الجمعية، كما أنه طبقا لهذا النظام لا يجوز أن يتجاوز ما يملكه العضو الواحد على حد أقصى من الأسهم دفعا لاحتمالات سيطرة رأس المال على الجمعية.

وقد أمكن النص فى قانون الشركة على أن كل من بيده من سهم إلى خمسة له صوت واحد ويكون له صوت إضافى عن كل خمسة أسهم أخرى لغاية مائة سهم ثم صوت إضافى عن كل عشرين سهما حتى مائتى سهم ثم لا ترتب أية زيادة فى رأس المال أية حقوق إضافية فى التصويت.

وفيما عدا ما تقدم يمكن القول بأن شركة التعاون المالى المصرية تنطبق مبادئها تماما على مبادئ التسليف التعاونى على أساس بنوك التعاون التى أنشأها الأستاذ زياتى والتى تعتبر — العامل الأساسى للارتقاء الاجتماعى والاقتصادى كما أشرنا من قبل.

هذا وقد قامت شركة التضامن المالى على القواعد الآتية:

(١) الأسهم اسمية — لا لحاملها — ولا يمكن التنازل عنها إلا بقرار من مجلس الإدارة — وبذلك اكتسبت الشركة صفتها كمنظمة أشخاص لا مجموعة أموال كما أمكن مراقبة عدم تسرب أموالها للأجانب.

(٢) الشركة لا تقرض غير الأعضاء إلا فيما زاد على حاجتها.

(٣) لا تقبل الشركة فى عضويتها المفلسين والمحجور عليهم ومن صدرت فى حقهم أحكام جنائية أو ارتكبوا أعمالا يعتبرها مجلس الإدارة ماسة بالشرف.

(٤) يدير الشركة مجلس إدارة تنتخبه الجمعية العامة من بين أعضائها ولجنتان:

أ — لجنة الخصم وهى المكلفة بتقدير قيمة السلف التى يمكن إعطاؤها للشريك أو برفضها.

ب — لجنة التحكيم وهى بمثابة هيئة استئنافية تنظر فى قرارات مجلس الإدارة ولجنة الخصم بناء على شكوى كل ذى شأن، ويعد نجاح شركة التعاون المالى منذ سنتها الأولى باكورة مبشرة لدعوة عمر لطفى فيما بعد.

وقد أجمل الأستاذ عبد الرحمن الرافعى مظاهر نجاح هذه الشركة فيما يأتى:

١ ـــ تضاعف رأس المال المدفوع فى سنتين كدليل على تزايد ثقة المواطنين الراغبين فى العضوية.

٢ ـــ زادت إبداعات غير الأعضاء فى الحسابات الجارية كما زاد التسابق فى صناديق التوفير بما أدى إلى رفع الأرباح إلى ٤.%

٣ ـــ إنشاء احتياطى مناسب مقتطع من الأرباح الصافية.

٤ ـــ تسابقت البنوك فى إيداع جزء من أموالها بالشركة فقدم البنك الشرقى فى سنة ١٩١٢ نحو ٧٠٠٠ جنيه وبنك دى روما نحو ٣٠٠٠ جنيه.

وقد علقت الآمال على هذه الشركة لتصبح مصرفا مركزيا للتعاون يقوم بدور الائتمان للنقابات الزراعية فى البلاد.

٢ ـــ النقابات الزراعية:

أسس "عمر لطفى" النقابات الزراعية لخدمة المشتغلين بالزراعة على أساس الشركات المدنية طبقا لأحكام القانون المدنى لأنها شركات تؤلف بلا حاجة إلى أمر عال أو قيد ملخصها فى المحاكم أو النشر عنها فى الصحف مما يجعل تأسيسها أكثر يسرا.

ويمثل ما صادف عمر لطفى من صعوبات كثيرة أمكنه التغلب عليها ليوائم بين النظام التعاونى الذى اختاره لشركة التعاون المالى، وبين قانون الشركات المساهمة على نحو ما أسلفنا، فقد تغلب كذلك ـــ بصورة قانونية ـــ على كثير من الصعوبات التى صادفها فى تأسيس النقابات الزراعية نجملها فيما يأتى:

(١) نص فى نظام النقابة على عدم جواز حلها لأى سبب من الأسباب قبل الزمن المحدد لها لتلافى حكم المادة ٤٤٥ من القانون المدنى الذى يقضى بحل الشركة المدنية بسبب وفاة أحد أعضائها أو إفلاسه أو الحجر عليه.

(٢) نص فى النظام على أن الأعضاء يتنازلون صراحة عن حقهم فى فسخ الشركة استنادا إلى عدم وفاء شريك آخر بما تعهد به أو لوقوع منازعة قوية بين الشركاء تمنع جريان أعمال الشركة الأمر المنصوص عليه فى المادة ٤٤٦.

(٣) نص فى عقد الشركة على أن المسئولية مقيدة ومحددة بحصة كل عضو فى رأس المال أو تحديد نطاق المسئولية بمثلى رأس المال أو ثلاثة أمثاله، وهكذا ـــ طبقا لما يقرره المؤسسون

وذلك تلافيا لحكم المادة ٤٤٣ التى تجعل مسئولية الشركاء مطلقة بمعنى أن ديون الشركة مقسمة عليهم بحسب عددهم وكل شريك ملزم بحصة منها تساوى حصة كل من الشركاء الآخرين.

مع ذلك فقد اختار الملاربفق٤٥ؤسسون فى النقابات الزراعية فى مستهل التكوين نوع المسئولية المطلقة المتضامنة عن جميع تعهدات النقابة ومعاملاتها مع الغير مع سريان هذه المسئولية لمدى خمس سنوات بعد تاريخ انقضاء العضوية.

وقد اختارت النقابات نوع المسئولية المطلقة التضامنية لتكسب فى مبدأ حياتها ثقة الغير فى الحصول على القروض التى تلزمها لتغطية احتياجاتها، وللتخفيف من أثر هذه المسئولية نص النظام على ما يأتى:

(١) يكون تحديد المبالغ التى تقترضها النقابة من سلطات الجمعية العامة.

(٢) لا يتجاوز ما تقترضه النقابة من غير الأعضاء ١٠٠٠ جنيه مصرى سنويا.

منطقة عمل النقابة:

منطقة عمل النقابة الزراعية محدودة بزمام قرية واحدة أو قريتين متجاورتين وذلك ليراقب الأعضاء بعضهم بعضا فى إطار المسئولية القضائية.

شروط العضوية:

يقبل فى العضوية المشتغلون بالزراعة من ملاك ومستأجرين وعمال زراعة.

كما يقبل فى عضويتها كل شخص لصناعته علاقة بالزراعة بشرط أن يكون مقيما أو مالكا أو مستأجرا لأرض داخل منطقة عمل النقابية أو البلاد المجاورة لها.

مجلس الإدارة:

يدير النقابة مجلس إدارة منتخب من بين المساهمين بطريق الاقتراع السرى فى الجمعية العمومية المكونة من الأعضاء جميعا.

رأس المال:

يتكون رأس المال من حصص اسمية مبينة فى نظام النقابة فتتراوح قيمة الحصة بين عشرين قرشا ومائة قرش ويجوز زيادة رأس المال بقرار من الجمعية العمومية.

ولا يجوز التنازل عن الحصة إلا بقرار من مجلس الإدارة لعضو فى النقابة أو لآخر يقبله مجلس إدارها.

ولا يجوز للعضو المنسحب أن يسترد قيمة الحصص التى أكتتب بها فى رأس المال وإنما تؤول أسهم من يتوفى منهم إلى ورثته أو يوصى لهم بها بشرط أن يكونوا ممن تتوافر فيهم شروط العضوية وإن لم يكن بيعت بمعرفتهم خلال سنة من تاريخ الوفاة وإلا بيعت على حسابهم بالسعر المقرر لإصدار الحصص الجديدة فى تاريخ البيع.

ولا يجوز لعضو أن يمثل حصصا تزيد قيمتها على ٢٠٠ جنيه كما أن لكل عضو صوتا واحدا فى الجمعية العامة مهما بلغت قيمة الأسهم التى يملكها الواحد منهم.

وتتكون أموال النقابات الزراعية عدا حصص رأس المال من التبرعات والإعانات والأموال الاحتياطية التى تتمثل فى نسبة مئوية من صافى الربح السنوى ينص عليها فى نظام النقابة ومما يسقط الحق فى المطالبة به طبقا لنظام النقابة من أرباح الأعضاء.

طريقة توزيع الربح:

يوزع الربح فى النقابات الزراعية على النحو الآتى:

١ ـــ نسبة ينص عليها النظام الداخلى للاحتياطى القانونى.

٢ ـــ نسبة لأصحاب الحصص كأجر لرأس المال.

٣ ـــ نسبة لتكوين صندوق إعانة للأعضاء الفقراء ومساعدة الأعمال التى من شأنها ترقية الزراعة أو بث مبادئ التعاون.

٤ ـــ عائد المعاملات يرد بنسبة تعامل الأعضاء مع نقابتهم.

تعديل النظام الداخلى:

لا يجوز تعديل النظام الداخلى للنقابة إلا بقرار من جمعية عمومية غير عادية يحضرها ثلاثة أرباع الأعضاء وتصدر قراراتها صحيحة بموافقة أربعة أخماس الحاضرين.

ولا يجوز للجمعية العمومية بأى نصاب تعديل شروط مسئولية الأعضاء نحو الغير.

أغراض النقابات الزراعية:

اختار عمر لطفى نوع النقابات الزراعية متعددة الأغراض ــ على خلاف مألوف ما جرى عليه العمل فى النقابات المماثلة فى أوربا وذلك تلافيا من التعدد والازدواج فى العمل فى مستهل الأخذ بنظام التعاون فى الريف المصرى.

وتشمل هذه الأغراض بوجه عام ما يلى:

١ ــ توريد احتياجات الأعضاء من مواد الخدمة والآلات والمواشى.

٢ ــ توفير الآلات الزراعية لتأجيرها للأعضاء.

٣ ــ تسويق حاصلات الأعضاء.

٤ ــ تشييد المخازن والشون والمعامل الكيماوية والمحالج مما يلزم للزراعة.

٥ ــ نشر الوعى التعاونى والإرشاد الزراعى وإعطاء البيانات اللازمة عن أسعار الحاصلات ومواد الزراعة.

٦ ــ تقديم القروض النقدية اللازمة للزراعة وقبول ودائع الأعضاء.

وكانت أول نقابة زراعية قد تأسست فى شبرا النملة ٢٥ إبريل سنة ١٩١٠ برأس مال قدره ٣٠٩,٦٠٠ و ٣٠٩ ج نظير حصص قدرها ١٥٤٨ حصة باعتبار أن قيمة الحصة ٢٠٠ مليم.

٣ ــ شركات التعاون المنزلى

تختلف هذه الشركات عن شركات التعاون المالى فى أن الأولى تكونت فى شكل شركة مساهمة وفقا لأحكام القانون التجارى بينما تكونت شركات التعاون المنزلى فى شكل شركات مدنية وإن يكن الفرق بينها فى ذلك وبين النقابات الزراعية أن مسئولية الأعضاء فيها ليست تضامنية.

كما تختلف بالطبع فى أن الغرض منها هو توفير الاحتياجات المنزلية للأعضاء بسعر الجملة مع ضمان جودة الصنف وكفاية الخدمة فى نطاق الأغراض التى قام عليها التعاون الاستهلاكى على مبادئ روتشديل وكانت أولى هذه الشركات شركة التعاون المنزلى لموظفى الحكومة بالإسكندرية وهى من الجمعيات التى ما زالت تؤدى عملها بنجاح حتى اليوم.

٤ ــ النقابة المركزية العامة للتعاون

فى ٤ نوفمبر سنة ١٩١١ توفى إلى رحمة الله المغفور له عمر لطفى أبو التعاون فى مصر وبوفاته حمل المشعل وسار فى نفس الطريق شقيقه الأستاذ أحمد لطفى المحامى الذى بدأ جهوده الصادقة بتأسيس نقابة عامة تربط بين جهود النقابات الزراعية وشركات التعـــاون المـــالى وشركات التعاون المنزلى وجعل من أغراضها ــ إلى جانب مهمة الربط والتنسيق نشر مبادئ التعاون وتأسيس الشركات والجمعيات وتقديم الإرشادات لضمان حسن سيرها.

الدكتور إبراهيم رشاد

ظاهرة لا تتكرر

إذا كان عمر لطفى هو أبو التعاون فى مصر لأنه أول من نادى بالتعاون ودعا إليه بعد رحلة قصيرة إلى إيطاليا، فإن الدكتور إبراهيم رشاد هو الأستاذ والمعلم والفيلسوف والمشرع والمنظم فأما أنه أستاذ فلأنه أول من درس التعاون فى الجامعة المصرية بدءا بمدرسة الزراعة العليا وأول من ألف فى التعاون كتابين أحدهما عن التعاون الزراعى من جزئين والثانى عن التعاون الاستهلاكى وهما الصورتان اللتان كانتا ماثلتين فى طور التطبيق ومن ذلك فهو كذلك المعلم.

وأما أنه الفيلسوف فلأنه استطاع أن يستوعب الفكر التعاونى على أساس علمى ثم يصوغه مرة فى تعاليمه وكتبه ومرة أخرى فى تطبيقه.

وأما أنه المشرع فلأنه كان وراء القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ الذى صاغ فى مواده الفكر التعاونى كما يجب أن يطبق فى مصر وإن تكن اللجنة التى قامت بالإعداد مكونة من العديد من الشخصيات الاقتصادية والاجتماعية الهامة فى مصر يتقدمهم المغفور له طلعت حرب بك، باشا فيما بعد إلا أنه بوصفه الرجل الرسمى فى التشكيل كمدير لقسم التعاون بوزارة الزراعة، لا بد وأن يكون هو المقرر للمشروع، ومن كريم خلقه أنه مع حرصه على نشر القانون كملحق للجزء الثانى من كتابه، التعاون الزراعى مقارنا بسلفه القانون رقم ٢٧ لسنة ٢٣ الذى كان قاصرا على التعاون الزراعى وحده حرص على أن يسجل أسماء جميع أعضاء اللجنة مرتين حسبما تراءى له من قدر الجهد الذى بذل وليس حسبما حصل عليه الأعضاء من الرتب والألقاب لم يجحد قدر واحد ولم ينسب كل الجهد لنفسه.

وأما أنه المنظم فلأنه كان أول مدير لقسم التعاون ــ الجهة الإدارية المختصة فى عصره ــ ومن خلال هذا المنصب الفريد والجديد أصدر من هذه الجهة الإدارية مجموعة من الكتيبات الصغيرة حول كل صور تطبيق القانون من مراجعة إلى محاسبة إلى تمويل إلى تنظيم الجمعيات العمومية إلى مجالس الإدارة بحيث لا يجد الباحث بعد هذه المجموعة الفريدة والجديدة من جديد يضاف، وهو النهج الذى نهج على منواله فيما بعد الرجل الثانى فى قيادة

الحركة التعاونية من مكتب المدير العام الطيب الذكر عبد اللطيف فهمى عامر الذى لا يذكر اسم الدكتور رشاد إلا دعا له من بعده تلميذا مخلصا ووفيا وقادرا على أن يضيف ويترجم العلم كل العلم إلى عمل نظيف وتطبيق صحيح بحيث يمكن أن تضاف نتائج عمله إلى سجل أستاذه الدكتور إبراهيم رشاد، عمل متصل وجهاد فى سبيل التعاون الذى آمن به الرجلان.

والذى يطالع كتاب الدكتور إبراهيم رشاد عن التعاون الزراعى لا يسعه إلا أن يحنى رأسه لهذا الجهد الجهيد الذى بذله فى المقارنة بين القانون الأول والقانون الذى تلاه، وكأنه بحق وبصدق وبشهادة رجل قانون، رجل قانون من الطراز الأول فضلا عن كونه رجل اقتصاد واجتماع.

ولد الدكتور إبراهيم رشاد فى السنبلاوين محافظة الدقهلية وعندما أتم دراسته الثانوية سافر إلى إنجلترا ليدرس الطب، ولكنه اتجه بفكره وعقله إلى الاقتصاد فقد أدرك الرجل منذ تفوقه الممتاز أن بلدا بلا اقتصاد لن ينهض ولا يحيا ولن يتطور ولو حصل على أكبر نصيب من الاستقلال السياسى أو رأى على الأقل أن الاقتصاد والسياسة هما الجناحان اللذان يتحقق بهما الاستقلال تشهد هذا المعنى وتحسه فى الصفحات الأولى من الكتاب وتحس الإيمان بالتعاون يتمثل سطورا فيها وفيما بينهما علامات على أن يسير فى الطريق الصحيح كان أستاذه الأول هو أستاذ التعاون فى أيرلندا، الذى قاده من باب الاقتصاد الواسع إلى باب التعاون الفسيح.

إبراهيم رشاد، دكتور فى الفلسفة والاقتصاد الزراعى من جامعة أيرلندا، وأستاذ فى الاقتصاد والسياسة من جامعة كمبردج، وبكالوريوس فى العلوم الطبيعية من جامعة برستول، وحائز لدبلوم الزراعة العليا من كليتى سبرلستر ووای.

هذا هو أول مدير لقسم التعاون بوزارة الزراعة فى مصر الذى أصبح أستاذا للتعاون فى مدرسة الزراعة العليا إلى جانب عمله ومن الذين يفخرون بأستاذيته وفضله عليهم فيما سمعت عنهما، المهندس سيد مرعى والمهندس عبد المقصود عزت وصفوة الذين قادوا الحركة التعاونية فيما بعد.

هو أول من فتح نافذة التعاون على أوروبا وفى الفصل الخاص بالتعاون فى مصر رجال التعاون الدولى ص ٦٤ من الجزء الثانى إيضاح وتفصيل.

كما كتب الدكتور رشاد عن التعليم والتعاون فى الفصل الحادى والعشرين بما يجعل كل النجاحات التى حققها التعليم التعاونى فيما بعد إلى حد التفوق نتيجة حتمية لما كتبه الدكتور رشاد سنة ١٩٣٥.

وفيما كتب عن النتائج الاقتصادية والاجتماعية للحركة التعاونية كان أول من ربط بين الاقتصاد والاجتماع كوسيلة فى الأولى وغاية فى الثانية.

إن الرجال العظماء تعرفهم من كتبهم وليست العبرة فيما يكتب هؤلاء الرجال بالكثرة التى تورث التكرار ولكن بالقيمة آلتى تنم عن العبقرية ومن العباقرة فى هذا المجال رجلنا الدكتور إبراهيم رشاد.

الدكتور إبراهيم رشاد هو الذى رشح صديقه الدكتور يحيى الدرديرى ليكون رئيسا لقسم التعاون فى بنك التسليف وهو الذى وضع العلامات الأولى لتحويل البنك إلى بنك تعاونى، ولكن هيهات.

يقول الأستاذ أحمد الدمرداش تونى وهو أحد تلامذة الدكتور إبراهيم رشاد النجباء، لماذا اعتقل الدكتور رشاد ووضع فى معصمه القيد الحديدى فى آخر أيامه..؟!

قال، دعنى أقل لك.

لقد دافع الرجل عن قضيتين أساسيتين الأولى إنشاء بنك تعاونى والثانية إنشاء الاتحاد التعاونى العام، لقد انتهزوا فرصة أنه من المتعاطفين مع جماعة أنصار السلام الموصوفة بالميول اليسارية ووضعوا القيد الحديدى فى معصمه رمزا لتقييد حريته فى التعاون.

الدكتور رشاد قدم للحكومة مشروع القرية السعيدة التى لا ينبغى أن يعيش فيها إلا من هى فى حاجة إليه لقد اتهم الدكتور رشاد لهذا السبب بأنه ينحو نحو المزرعة الجماعية فصادرت الحكومة المشروع.

على الرغم من أن كثيرا من الدول تبنت الفكرة، وإسرائيل فيما بعد بسنوات أقامت نظامها الزراعى على أساس المزارع الجماعية قريبة الشبه بالقرية السعيدة.

كان الدكتور رشاد قد أوصل هذا المشروع قبل إجهاضه إلى الملك فاروق عن طريق إبن أخيه الدكتور يوسف باشا طبيب الحضرة الملكية وليس عن طريق شقيقته ناهد هانم رشاد وصيفة الملكة كما يظن البعض ولكن المشروع لم يقدر له النجاح مرة أخرى للسبب نفسه

كان الرجل سابقا لعصره، وكان شجاعا من الشجعان، وكان يخصني بصداقته رغم فـــارق السن وفارق الرتبة فقد حصل على رتبة الباشوية بمناسبة الاحتفال بتوقيع معــاهدة ١٩٣٦ بصفتة الوكيل المساعد لوزارة الشئون الاجتماعية ولكنه طلب إلى شقيقته التوسط لـــدى القصر لتعديل الصيغة التي منح بها الرتبة إلى مدير عام التعاون الذى كان يشغله قبل الترقيـة وشغله من بعده الأستاذ عبد اللطيف عامر الذى منح يومها رتبة الباكوية.

كان الدكتور رشاد يؤمن بالديمقراطية ويطبقها أول ما يطبقها على نفسه، في ســـنة ١٩٦٥ كنا نعد للمؤتمر التعاوني العام الثاني الذى شهده الرئيس الراحل جمال عبد النـاصر تحت قبة جامعة القاهرة، كنا نشكل ما يعرف باسم اللجنة العامة للمؤتمر التعـــاوني العـــام وكانت تشكل من رؤساء الاتحادات القيادية وكنت وقتها رئيسا لاتحاد الفيوم رغم إقـــامتي بالقاهرة محام أول بإدارة قضايا الحكومة وكان هو رئيسا لاتحاد السنبلاوين الذى أسسه بعد اعتزاله الخدمة ووقع على الاختيار رئيسا للجنة الاتحادات التعاونية، بينما كان الدكتــــور رشاد العملاق عضوا فيها كان الرجل لا يسمح لنفسه بالكلمة إلا إذا رفع إصبعــه طالبــا الكلمة وأعطيتها له في دوره.

لقد تعلمنا من الدكتور رشاد الكثير، من أقرب الناس إلى الدكتور رشاد رجـــلان الأول محمد الجمال الذى قاد الحركة التعاونية الشعبية بشجاعة وكان لحسن الحظ إلى جانبه والأستاذ أحمد زكي الإمام الذى قاد بعبقريته وعلمه كل الأفكار التي كـــانت وراء هـــذه الحركة الشعبية من موقعه بالحكومة.

لقد زرت الدكتور رشاد في قصره بشارع المساحة بالدقي في أيامه الأخيرة وكـــان وقتها يعتزم الانتقال إلى شقة صغيرة وبيع القصر الذى يسكنه، وأطلعني يومها على كثير من المراجع الأجنبية التي كان يستثمر فيها بعض عمله كما أطلعني على النجاتيف الزجـــاجي لأعلام التعاون في العالم الذى حرص على أن ينشر صورهم في كتبه.

كنت أتوق إلى الحصول من الدكتور رشاد على بعض ما في مكتبته من مراجع ولكنه صارحني أنه قرر إهداء مكتبته بالكامل إلى مكتبة جامعة القاهرة حيث تستقر الآن معنونـــة باسمه بينما حصلت فيما بعد على مكتبة أستاذي وتلميذه الأول عبد اللطيف عامر حيـــث تستقر في مكانها بمكتبة الجمعية العربية للعلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين.

تلاحظون أننى لم أكتب عن قادة الفكر والتطبيق التعاونى إلا من خلال زمـــالتى أو صداقتى أو اتصالى بكل واحد منهم واليوم أشهد أننى ما خرجت فى الأمانة من شئ كنـــت صادقا مع نفسى فى نفس الوقت وعذرا لعدم الترتيب فى النشر من حيث الأهمية أو التـلويخ المهم أننى أوفيت بالعهد قبل أن أصبح أنا تاريخا يروى وعندما أتمنى يمثل الأمانة التى الـتزمت بها وسيكون الله شهيدا على ما يقولون شهيدا كما هو على ما قلت شهيد.

وسبحان الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير.

0.

دكتور يحيى الدرديرى

أول من رفع راية التدريب والتعليم التعاونى فى مصر

وسقطت الراية من بين يديه وهو يمارسه

الذى يؤرخ لواحد من أبناء الحزب الوطنى، لا بد أن يؤرخ للمناخ الذى ظهرت فيه دعوى مصطفى كامل الذى وصف منذ اللحظات الأولى ـــ الذى بدأ فيها دعوته ـــ بنبى الوطنية، بمثل ما وصف "روبرت أوين" أول داعية للتعاون بنبى التعاون فى العالم.

ولقد بدأت دعوة مصطفى كامل طالب الحقوق منذ تصدى لناظر مدرسة الحقوق الإنجليزي كما تصدى له الناظر الإنجليزي فجعله يهجر وطنه إلى فرنسا حيث حصل من جامعاقما على ليسانس الحقوق، كما هاجر روبرت أوين إلى أمريكا تحت وطأة الكنيسة التى ألهبت دعوته بالطعنات لا لشئ إلا لأنه دعا إلى التعليم، اللغة والحساب ولكنه لم يدع إلى تعلم الناس الترانيم الكنسية، وإن يكن ما وراء هذا الستار حقيقة أن الكنيسة كانت، وربما ما زالت، فى تحالف مع الرأسمالية، وفيما مضى مع الإقطاع.

المهم أن مصطفى كامل الشاب الورع المتبتل فى حب مصر استطاع أن يقتلع اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر من جذوره من خلال خطبه العنيفة فى أوروبا، فى فرنسا، وحتى فى إنجلترا مركز الاستعمار العالمى فى ذلك التاريخ، استفاد من أحداث دنشواى التى راح ضحيتها العشرات من الفلاحين فوق أعواد المشانق التى نصبت فى القرية الخالدة حتى قبل أن تعقد المحكمة المخصوصة جلساقما، ويتبارى أمامها الدفاع والاقمام، الاقمام ويا أسفاه الذى مثله محام مصرى اسمه إبراهيم الهلباوى الذى أطلق عليه المصريون فى حينه بجلاد دنشواى!!..

مصطفى كامل، محمد فريد، عبد العزيز جاويش، حافظ رمضان، مصطفى الشورى، عبد العزيز الصوفانى، عبد الحميد سعيد، وأخيرا فتحى رضوان وقف إلى جانبهم، وربما فى الصفوف الأولى شاب عف اللسان، نظيف الكفين، طاهر القلب، نقى السريرة، اسمه بالكامل يحيى أحمد الدرديرى.

وسقط مصطفى كامل الذى أنعم عليه الخليفة العثمانى بلقب الباشوية وهو فى مقتبل العمر، سقط الشاب مصطفى كامل صريع المرض الذى أورثه إياه النضال والتراب والعرق والدموع، فسقط المناضل العظيم فى ساحة الشرف بعدما عقدت معاهدة الوفاق بين الإنجليز والفرنسيين على أساس إطلاق يد بريطانيا فى مصر والشام والعراق فى حين تطلق يد فرنسا فى شمال أفريقيا.

سقط الرجل فريسة الحصار البريطانى الفرنسى بعد أن انحسر عن تأييده فجأة الحائط الفرنسى الذى كان قد أسند إليه ظهره.

ورفع العلم من بعده المناضل محمد فريد، المناضل الذى ضحى بمعقد القضاء الوثير وأفنى آخر قرش فى ثروته العريضة، وهاجر إلى أوروبا ليقضى البقية الباقية من حياته القصيرة فى ألمانيا بين فكى المرض المزمن والجوع.

فى هذا الجو العاصف الرهيب، الذى كان قد حكم فيه على الزعيم محمد فريد بالحبس ستة أشهر بسبب المقالات الثائرة التى كان يكتبها فى مصر موجها حرابها لا حروفها نحو المستعمر امتدادا لنضال زعيمه الأول مصطفى كامل، لم يجد شباب الحزب الوطنى مناصا من الفرار بمبادئهم وفكرهم المتميز إلى أوروبا ليحيطوا بالزعيم الثانى للحزب الوطنى، محمد فريد، وبين هؤلاء الشبان يقفز اسم صاحبنا الدكتور يحيى أحمد الدرديرى.

فى سويسرا واصل الدرديرى دراسته فى القانون والاقتصاد، وحصل من هناك على درجة الدكتوراه وكان مثلا للحزب الوطنى فى أوروبا كما كان ضمن الأيدى البيضاء هناك وحين عاد إلى وطنه مصر اعتقله الإنجليز فى معتقل الفيوم فى العشرينيات من القرن العشرين، ولكن هذا الاعتقال لم يزده إلا إصرارا على النضال والنزال من أجل مصر التى قال فيها أستاذه وزعيمه مصطفى كامل ما لم يقله شاعر مجيد فى وطنه.

ثم أرتأى الدكتور /يحيى الدرديرى أن يتوجه إلى الشباب المصرى بأسلوب جديد للعمل فصحت عزيمته مع اثنين من زملائه تاريخهم الوطنى والإسلامى مديد وفريد، هما الشيخ محب الخطيب والشيخ الخضر حسين التونسى الذى دعوه فيما بعد لتولى مشيخة الأزهر عقب قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وهو فى ذات الوقت أول وآخر من استقال من مشيخة الأزهر فأنشأوا جمعية الشبان المسلمين لتكون وسيلة الشباب إلى الحسنيين القوة

الروحية والقوة البدنية، ووجد الرجال الثلاثة أن يقلدوا رئاستها رجلا من رجال الحـــزب الوطنى الأشداء ذوى العزم والمال والصيت والنفوذ فوقع اختيارهم على الدكتـــور عبـــد الحميد سعيد الذى ظل طوال حياته لا يفارق مقعده فى المجالس النيابية لا ينافسه على هـــذا المعقد فى دائرته منافس، وأقامت (الشبان المسلمون) بقيادة الرجال الثلاثة، فى شارع الملكة نازلى الملقب حاليا بشارع رمسيس، الصرح الذى اتخذناه أيضا مقرا لنا نحن أعضاء جماعـــة باكورة الثقافة التى أسسها ورأسها المغفور له الأستاذ محمود المنياوى الطالب بمدرسة الفيـوم الثانوية ومن حوله كوكبة من الشباب فلما حان للكوكبة أن تنتقل إلى القاهرة، وبالذات فى كلية الحقوق انتقلت الجماعة إلى هناك، وفى سنة ١٩٣٦ وكان المغفور له جمال عبد النـاصر الطالب بكلية الحقوق قبل أن يلتحق بعد بالمدرسة الحربية واحدا ممن التحقوا بهذه الجماعـــة كما هو ثابت فى سجلاتها التى تحتفظ بها حتى اليوم، ولم يشأ رئيس الجماعة محمود المنياوى أن يكشف عن هذه الوثيقة طوال حياة عبد الناصر وإن كان سلوك عبد الناصر إزاءه فيما بعد الثورة يفسر الكثير عما كان بين الرجلين من وشائج لم يكن أكثرها أهمية اختيار الرئيس لـــه أول سكرتير عام لنقابة المحامين بعد الثورة فى المجلس الذى اختار الرئيس لرئاسته نقيبا المغفور له الأستاذ عبد الرحمن الرافعى أحد رواد الحزب الوطنى وأحد رواد التعاون فى ذات الوقت.

الدكتور /يحيى الدرديرى اعتقل فى معتقل الفيوم فى العشرينيات من هـــذا القـــرن لأسباب سياسية واعتقل شمس الدين خفاجى فى معتقل الفيـــوم ـــ وهـــذا قـــدر ـــ فى الخمسينيات لأسباب سياسية.

والتحق الدكتور الدرديرى بالحزب الوطنى منذ مطلع شبابه وكذلك فعلت، واشترك الدكتور الدرديرى فى تأسيس جمعية الشبان المسلمين وكذلك كان حظى فى تأسيس جمعيـــق المحافظة على القرآن الكريم وتعمير المساجد وجمعيات البر والإحسان العشرة التى أنشأنا لهـا اتحادا ما زال ينسق بينها حتى اليوم.

واختير الدكتور يحيى الدرديرى رئيسا للاتحاد التعاونى لمحافظة القاهرة بينما خلفتـــه على رئاسة هذا الاتحاد نفسه نقلا من رئاسة اتحاد الفيوم، وكلانا رجل قانون ليـــس هـــذا تقريظا للدكتور يحيى الدرديرى بقدر ما هو تكريم لشخصى، فقد كان هذا قدره وقدرى.

لم تكن دعوة مصطفى كامل دعوة سياسية خالصة للجلاء والاستقلال ولكنها كانت كذلك دعوة للتحرر الاقتصادى من خلال المنظومة التعاونية التى دعا إليها واحد من أتباعه هو المغفور له الأستاذ عمر لطفى المحامى الذى استطاع خلال ثلاث سنوات فقط هى كل حياته التعاونية أن يحدث كل هذا الدوى الذى نعيشه وتستظل بظله الملايين فى مصر، ومن ورائهم الملايين فى شتى البلاد العربية.

لم يكن الدكتور يحيى الدرديرى وحده من أبناء الحزب الوطنى الذى استمسك بالتعاون فقبض عليه كما يقبض المؤمن على دينه، وكما يقبض الفدائى على الجمر.

كان كذلك مصطفى كامل، ومحمد فريد، وعمر لطفى، وأحمد مصطفى، وعبد الرحمن الرافعى الذى أرخ للحركة التعاونية بذات الأسلوب الراقى الذى أرخ فيه للحركة الوطنية فى مصر، والذى يستعيد قراءة ودراسة كتاب النقابات الزراعية للمغفور له عبد الرحمن بك الرافعى يستطيع أن يدرس التعاون من خلال التشريعات التعاونية التى صدرت ومحاولات التشريعات التى لم تصدر، وليعرف الناس أنه بالإمكان توحيد الحركة التعاونية العربية من خلال توحيد تشريعاتها، بل والأجدر توحيد الحركة التعاونية المصرية من خلال توحيد تشريعاتها ذلك أقرب إلى الحق والحق أحق أن يتبع ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أو لا يفقهون!!..

وفى التعليم والتدريب التعاونى يقف الدكتور يحيى الدرديرى فى مكان القيادة والريادة بالنسبة لكل ما بذل من محاولات جادة كتب لها النجاح فيما بعد، إن الدكتور يحيى الدرديرى كتب فى فلسفة التعاون كتابا قررته وزارة المعارف العمومية على طلاب مدارس المعلمين، حين أصبح التعاون يمثل الصفحات الأولى المضيئة فى مادة التربية الوطنية تتصدرها صورة المغفور له الأستاذ عمر لطفى المحامى وابن الحزب الوطنى، والداعية الذى احتوى كتاب الدرديرى على صفحات من خطبه فى نوادى المعلمين فى القاهرة والمنصورة.

يقول المهندس الجليل أحمد الدمرداش تونى أحد تلامذة الدكتور رشاد والدكتور الدرديرى، لقد توجه الدكتور يحيى الدرديرى إلى الدكتور إبراهيم رشاد (بعدما قرأ فى صحيفة مصرية وهو عائد من بعثته فى سويسرا وعند رسو الباخرة التى أقلته على رصيف ميناء الإسكندرية) وقال له كيف تتوجه إلى محافظ القاهرة لتطلب منه إذنا بتأسيس جمعية

تعاونية جديدة، وهل استأذن عمر لطفى السلطان حين أسس جمعية زراعية فى شبرا النملة وأخرى منزلية لموظفى الحكومة بالإسكندرية وثالثة مالية فى القاهرة.

أليس التعاون شعبيا هكذا نشأ وهكذا يظل وهكذا يبقى أبدا!!..

قال الدكتور رشاد رحمة الله عليه .يا صديقى هون عليك، عندما تقضى فى ربوعنا وقتا ستعرف أن الترخيص هذا أمر حتمى هكذا يقول القانون، أما شعبية الحركة التعاونية فلا يفت من عزمها ترخيص، وإنما يفت فى عزمها، بل ويكاد يئدها كذلك تفريط القائمين عليها بعد تكوينها فى حقهم فى إدارة جمعيتهم بأسلوب ديمقراطى، هذا هو واجبنا، وهذه هى غايتنا وإذا حدث يوما ما أن اعتدت السلطة على حق للشعب فى مجال التعاون فاعلم يومئذ أننا نحن ــ وليست السلطة ــ قد تهاونا فى استعمال حقوقنا المبينة بالقانون ــ أو أننا قد انقسمنا على بعضنا البعض، والتعاون حين ينقسم على نفسه تذروه الرياح ولا يلومن إلا نفسه.

هذا يا أصحاب درس يأتينا من الماضى المشرق فى حاضر لوثت أجواءه الغيوم .لقد أصدر المغفور له الدكتور يحيى الدرديرى عن الاتحاد التعاونى بالقاهرة مجلة الهداية التعاونية وتولى رئاسة تحريرها.

كما أنشأ الدكتور الدرديرى نواة معهد التعاون التجارى الذى أداره من مقر الاتحاد بإحدى الشقق القديمة بحى السبتية فى المنزل الذى كان يملكه سكرتير الاتحاد الأستاذ حسن حسنين العامل بمرفق النقل العام بشركة ثورنكروفت البريطانية.

وحافظ حسن حسنين على المجلة كما حافظ على المعهد إثر وفاة المغفور له الدكتور الدرديرى حتى تم الانتقال بكل من الاتحاد و المعهد إلى المقر العتيد لاتحاد القاهرة الحالى ١٦٨ شارع التحرير بباب اللوق المقر الذى استطعنا من خلاله الانطلاق نحو إعداد التشريعات التعاونية وتأسيس الاتحاد الاستهلاكى المركزى والجمعية التعاونية العامة للسلع الاستهلاكية ثم الاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى والجمعيات الاتحادية المنتمية إليه.

إن اسم العامل حسن حسنين يجب أن يسجل على صدر إحدى قاعات الاتحاد التعاونى الاستهلاكى بباب اللوق جنبا إلى جنب مع اسم الأستاذ الكبير أحمد أبو الغار الذى رفعنا اسمه على لافتة نحاسية على صدر قاعة التدريب بهذا الاتحاد وإذا كنت قد استطعت أن

أكتب كلمة التحرير للهداية التعاونية واضع عليها اسم الأستاذ حسن حسنى سكرتير الاتحاد والذى آلت إليه رئاسة التحرير فلقد كانت هذه الكلمات النافذة إلى إصدار مجلة صـــوت التعاون "الفيومية" من "القاهرة" لأتشرف بأن أكون رئيسا لتحريرها امتـــدادا لرئاســـة لتحريرها بالفيوم حيث استأنفت صدورها بقيام الثورة بعد أن عطلتها الحكومة بقرار مـــن مجلس الوزراء.

اسم الدكتور يحيى الدرديرى لا يجب أن يتصدر قاعات التدريب فى كافة الاتحـادات التعاونية والمعاهد التى انطلقت بإرادته من المقر ١٦٨ شارع التحرير إلى آفاق بعيدة فقط!!..

ولكن القليل من الوفاء أن نضع اسم الدكتور الدرديرى على أحد المدرجات فى كل معهد من المعاهد التعاونية بالقاهرة، وشبرا الخيمة، وأسيوط، وفى المركز الثقافى التعـــاونى بالإسكندرية فقد كان الدرديرى هو الكلمة التى انطلقت منذ العشرينيات لتفتـــح أعـــين التعاونيين فى حقيقة أن مبدأ الديمقراطية فى التعاون والباب الواسع إليها هو التعليم التعـاونى الذى يتعرف الفرد من خلاله على حقوقه فيتشبث بها وواجباته فيؤديها يحدوه الصـــدق فى الأداء.

الدكتور الدرديرى ختم حياته وهو يتربع على مقعد المراقب العام لجمعيات الشـبان المسلمين التى كان أجدر الناس بخلافة الدكتور عبد الحميد سعيد على رئاستها .ولكن القدر لم يسعفه، كما أن الزهد الذى يدين به لم يأذن له بتولى الرئاســة، إن الرجـــال يصنعـــون المناصب، ولكن أبدا لا تصنع المناصب الرجال، إلا الضعفاء منهم والمتخاذلين!!..

إن القيم الدينية والقيم الاجتماعية المتمثلة فى التعاون لا تنفصم أبدا، ووحدة القيـــم النبيلة كوحدة الأفكار العظيمة لا تتجزأ.

وفى ليلة من ليالى سنة ١٩٦٥ وكان اجتماعنا على حفل شاى أقيم فى نادى ضبـاط القوات المسلحة بالزمالك ضمن أعضاء اللجنة العامة للمؤتمر التعاونى العام برئاسة الســـيد حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية والعمل فى ذلك الوقت وصاحب العطاء الوافـــر للحركة التعاونية المصرية فى أزهى عصورها فى الخمسينيات .ذلك المؤتمر الذى توجه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بحضوره وإلقاء خطاب فيه من منبر المؤتمر على جماهير المصريـــين، كسابق عهده سنة ١٩٥٥ ولاحق عهده مؤتمر سنة ١٩٥٧.

وبينما وقف الدرديرى يخطب فى الحفل عن أهمية التدريب التعاونى والتعليم التعاونى سقط الخطيب من فوق المنبر طريح الأرض التى يقف عليها وانحنت السيدة نفسيه عفيفى من العناصر النسائية الفاضلة فى مصلحة التعاون حيث تلمست أنفاسه الأخيرة ونبض يده الذى توقف ثم رفعت رأسها وقالت "أنا لله وأنا إليه راجعون".

هذه كانت قصة الدكتور يحيى الدرديرى الذى رشحه الدكتور إبراهيم رشاد باشا رئيس قسم التعاون فى بنك التسليف الزراعى والتعاونى ليكون الرجل الأول الذى أشاع التعاون فى ربوع البنك ونهض بمسئوليته الكاملة فى نقل ملكية أسهم البنوك والشركات والأفراد إلى الجمعيات التعاونية حتى إذا ما أصبح (تعوين) البنك وشيكا وقعت أحداث سنة ١٩٦١ الاشتراكية التى أممت فيما أممت أسهم بنك التعاون الوليد وهو يحبو نحو التعاون الخالص.

بتلك المأساة الدامية التى ما زال التعاونيون يجففون مآقيهم منها حتى اليوم.

ورحمة الله عليك يا درديرى يوم ولدت ويوم قضيت، ويوم تبعث حيا.

عبد اللطيف عامر

(١)

سأكتب إذن عن خليفة الدكتور إبراهيم رشاد وزميله ومعاصره ونده، ووضع تحت "نده" عدة خطوط الأستاذ المعلم عبد اللطيف فهمى عامر أول مدير عام فى مصر يحصل على رتبة البكوية.

ولد فى مدينة إيتاى البارود سنة ١٩٠١ وتوفى بمدينة القاهرة سنة ١٩٧٩.

الطريق إلى عبد اللطيف عامر:

عندما زرت مصلحة التعاون لأول مرة وكان مقرها قصر عتيق من القصور الموشاة حوائطها بماء الذهب، والمحلاة بداخلها بالمرايا البلجيكية الخالصة، وذات الطابع القديم الذى يوحى بالأصالة بشارع جامع الإسماعيلى المتفرع من شارع خيرت بالسيدة زينب.

كان أول ما يصادفك بالطابق الأرضى على يسار المتجه إلى السلالم الخشبية المغطاة بالسجاد الأحمر، غرفة مكتب ذات طابع عريق يجلس خلف المكتب الوحيد الذى يتصدرها شاب أسمر البشرة تختلط بشعر رأسه الأسود خيوط بيضاء له عينان حادتان يجز على أسنانه فى اهتمام وفى عصبية تكشف سمات وجهه عن حدية فى الذكاء، وجدية فى العمل، التقطنى وأنا على أول عتبات الصعود إلى مصلحة التعاون حيث قضينا فترة نتجاذب فيها الحديث، كنت قد عرفت قبل لقائه أن شابا بهذه الأوصاف، وبهذه الصفات لا بد أن يكون بذاته "أحمد زكى الإمام" مراجع الحسابات الذى طاف قرى ودساكر الدلتا والصعيد، مراجعا لميزانيات الجمعيات التعاونية لا أريد أن يسرق أحمد زكى الإمام منى القلم هذه المرة كما اعتاد أن يسرق الكاميرا والميكروفون، وأذان المستمعين إليه، كاتبا، ومحدثا، ومحاضرا، وخطيبا وأستاذا، وعالما، وقصص أخرى يأتى دورها حتما عندما يكون الحديث عن نابغة عصره، وقاموس رفاقه "أحمد زكى الإمام" فالحديث عنه يطول.

لم يكن عبد اللطيف فهمى عامر، صاحب هذه الكلمة موجودا فى مكتبه، ولم يكن موجودا فى مصلحة التعاون على الإطلاق، كان الرجل الأول هو وكيل المصلحة، أو مدير المصلحة بالنيابة الأستاذ الدكتور توفيق أحمد، يكفى أن أقول أنه أهدانى فى أخريات أيامه

مجموعة من المؤلفات التعاونية الفريدة ما زالت تحتل مكانا طيبا فى مكتبتى، لم يكن عبد اللطيف عامر هناك، وما الذى غيبه عن موقعه خليفة للأستاذ الدكتور إبراهيم باشا رشاد..؟!

هذه هى القصة:

تعلمون أن لجنة تأسيسية من رؤساء الاتحادات التعاونية الإقليمية اجتمعت وقررت تأسيس بنك للتعاون فى ظل القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٤٤ الذى كان ينظم الحركة التعاونية فى ذلك الحين ويبشر بإنشاء بنك للتعاون، وهو القانون الذى ينقل نقل مسطرة القانون الذى سبقه رقم ٢٣ لسنة ١٩٣٧ ثانى قوانين التعاون على الإطلاق بإضافات ثلاث:

الإضافة الأولى:

إنشاء الاتحادات التعاونية ونقل اختصاصات الجهة الإدارية إليها وخاصة فى خصوص المراجعة بشرط موافقة هذه الجهة ـــ مصلحة التعاون ـــ وقد تكونت فعلا هذه الاتحادات.

الإضافة الثانية:

إنشاء المجلس الأعلى للتعاون برئاسة وزير العمل والشئون الاجتماعية وعدد من وكلاء الوزارات المرتبطة بالتعاون وعدد من القيادات التعاونية ومقرره مدير عام مصلحة التعاون، فضلا عن مجالس مماثلة على مستوى المديريات والمحافظات برئاسة مدير المديرية وسكرتارية مفتش التعاون، وعضوية عدد من مديرى المصالح المرتبطة وعدد من أعضاء الاتحاد التعاونى الإقليمى.

وللحق لم يكن للمجلس الأعلى أو المجالس الإقليمية أية فاعلية، وقد كنت عضوا فى مجلس التعاون بالفيوم الذى عقد أولى جلساته ولم يعقد جلسة بعدها أبدا.

كذلك كان شأن المجلس الأعلى للتعاون، بل هكذا شأن كل مجلس أعلى، فى المجلس الأعلى للتعاون الاستهلاكى الذى شاركنا فى إنشائه عندما كان الدكتور فؤاد مرسى وزيرا للتموين والأستاذ عبد الرحمن الشاذلى وكيلا لوزارة التجارة الداخلية ومسئولا عن التعاون الاستهلاكى عقد جلسة واحدة وبعدها لم يعقد جلسة أبدا، باستثناء المجلس الأعلى للتعاون الزراعى الذى دعانى المهندس الجليل سيد مرعى من مقر عملى بأسيوط منتدبا للمشاركة فى إعداد مشروعه فقد كانت لهذا المجلس فاعليه وعقد عدة جلسات عمل وكان من أبرز أعضائه المهندس سعد هجرس الذى قدم ورقة عمل لإعادة الاتحادات التعاونية الإقليمية التى

كان قد جددها قرار من السيد المهندس سيد مرعى وزير الزراعة والإصلاح الزراعى المركزى سنة ١٩٦٠ إبان تأسيس المؤسسة العامة التعاونية الزراعية التى اختارنى مستشارا لها منذ نشأتها.

ومن أبرز أعضاء المجلس كذلك المهندس محمود فوزى مدير عام المؤسسة والمهندس عبد المقصود عزت "مقرر المجلس" والأستاذ سامى أبو العز والأستاذ ميلاد شنوده ممثلا للتعاون الاستهلاكى والأستاذ أحمد أبو الغار.

الإضافة الثالثة:

إنشاء بنك التعاون

وعندما نشر عقد تأسيس بنك التعاون فى الوقائع المصرية وأوشك أن يكون حقيقة واقعة، عندئذ تحرك بنك التسليف الزراعى التعاونى حيث أحس خطر المنافسة وقرر تحويل البنك إلى بنك التسليف الزراعى والتعاونى وللواو الفاصلة هذه قصة تروى فى حينها عن مدلولها وأثرها فى معاملات البنك فيما بعد.

وأنشأ البنك قسم التعاون مهمته نقل ملكية الأسهم غير الحكومية ٤٩ %من رأس المال ويملكها الأفراد والبنوك الوطنية وبعض البنوك الأجنبية وبعض الشركات التى كانت مساهمتها فى هذا البنك بضغط شديد من منشئ البنك إسماعيل صدقى باشا حتى يتمكن من تغطية باقى رأس المال.

وتولى الأستاذ سامى أبو العز رئاسة هذا القسم فلما اختير وكيلا للبنك خلفه على رئاسته الدكتور يحيى الدرديرى رئيس اتحاد القاهرة فلما توفى حل محله الزميل الأستاذ أحمد محمد أبو الغار مدير حسابات البنك ومن هنا كانت بداية أحمد أبو الغار التعاونية.

كان مكتبه محلا للزوار التعاونيين، وفى فترة قصيرة تم نقل ملكية ٦/١ رأس المال إلى الجمعيات التعاونية "الزراعية" السائدة على خريطة الحركة التعاونية فى ذلك الزمان.

أول تدخل حكومى فى التعاون:

ولما كان ألبنك يتكون فى شكل شركة مساهمة فطبيعى أن توزع المقاعد على أصحاب رأس المال فكانت الحكومة تملك ٥١% من الأسهم ومثلها من مقاعد مجلس الإدارة، كان أحد أصحاب هذه المقاعد ــ ممثلا لمصلحة التعاون ــ الأستاذ عبد اللطيف فهمى عامر، وعندما

أجريت الانتخابات للمقاعد التعاونية وعددها ثلاثة مقاعد تدخلت الحكومة ــ ولأول مرة في تاريخ التعاون ــ ولهذا التدخل وما أعقبه كتاب خاص يجرى إعداده حاليا ويكشف عن كثير من المآسي والآلام، بل الآثام، تدخلت الحكومة فكلفت مأمورى المراكز بتوزيع نسخة موحدة من محضر جلسة نموذجى بموجبه يتم تفويض جميع جمعيات المملكة المصرية لجمعية واحدة يرأس مجلس إدارتها المهندس سيد مرعى عضو الهيئة العليا للهيئة السعدية وحزب السعديين، وفاز مرشحو الحكومة بمقاعد بنك التسليف التعاونية جبرا عن التعاونيين الذين قاوموا هذه المحاولة بشراسة، الفائز الأول ــ المهندس سيد مرعى ــ ممثل الهيئة السعدية، الفائز الثانى الأستاذ مصطفى الشوربجى من الحزب الوطنى، الفائز الثالث الأستاذ محمد شاهين أحد أقطاب الحزب السعدى كذلك ورحل عن عالمنا الثانى والثالث، وما زال الأول يعيش محلا لاحترام الثورة وتقديرها ليستمع إلى القصة لا ليرويها، عاش محلا للتقدير فيما قبل الثورة وعاش محلا للتقدير والاحترام فيما بعد الثورة ــ والآن يثور سؤال، مسئولية من هذا الذى حدث؟ مسئولية المرشحين، أم هى مسئولية مشتركة؟

ومن عجب أن يكون المهندس سيد مرعى فيما بعد العضو المنتدب للهيئة العليا للإصلاح الزراعى مفوضا باختصاصات الوزير (حيث كان لقائى به فى مكتبه بقصر عابدين لأول مرة) وفى نفس الوقت رئيس مجلس إدارة بنك التسليف الزراعى التعاونى ليصبح فيما بعد ألمع من شارك فى وضع وتنفيذ نظام الائتمان الزراعى التعاونى الذى نقل الحركة التعاونية الزراعية من عهد الإقطاع وضمان المالك إلى عهد المستأجر بضمان المحصول، تلك التجربة التى أثمرت وأثبتت أن الثقة التى وضعها هذا النظام فى الفلاح المستأجر أوفت على الغاية فى السداد بضمان المحصول بنسبة ٩٥ % بينما أوفى نظام ضمان المالك فى السداد بنسبة ٦٧ % ومن هنا كان الضمان الشخصى أحيانا أوفى بالغاية وتحقيق الهدف من الضمان العينى.

من أجل هذه المعركة التى رفعت فيها الحكومة كل أسلحتها لتجهز على الديمقراطية التعاونية، وعلى حرية التعاونيين فى اختيار ممثليهم، أنضم عبد اللطيف فهمى عامر إلى التعاونيين وهو واحد منهم بالفكر، وبالعمل، وبالإيمان، وبالتنظيم فقررت الحكومة الرد على احتجاجه بنقله من منصبه كمدير عام لمصلحة التعاون إلى وظيفة مفتش مالى بوزارة المالية

ومن أجل ذلك فإن الذى يتوجه إلى مصلحة التعاون ليفتش عن الرجل فلن يجده، وسيجد محله الدكتور توفيق أحمد مديرا بالنيابة، هل رأيت موقفا بطوليا فى عهد ما قبل الثورة كما وجدت هذا الموقف؟ وممن؟ من رجل زانت الحكومة صدره برتبة البكوية وهو ما زال بعد فى منصب المدير.

عامر ..وجمعية الاتجار بالجملة:

فى أواخر الأربعينات التقيت على الود والتوافق فى الأفكار مع الأستاذ عبد اللطيف فهمى عامر، دعت القيادات التعاونية إلى تأسيس الجمعية التعاونية للاتجار بالجملة على أنقاض ناتج تصفية الجمعيات العامة على مستوى المحافظات وكنت أتولى شخصيا — بتفويض من جمعيات مديرية الفيوم — تصفية الجمعية العامة بها حيث تم إيداع ناتج التصفية فى بنك مصر.

تحدد يوم جمعة لعقد الجمعية العمومية الأولى لانتخاب مجلس الإدارة بمقر مصلحة التعاون بشارع جامع الإسماعيلى بالسيدة زينب بالقاهرة، كان ذلك باتفاق وترحيب من الأستاذ عبد اللطيف عامر مدير عام المصلحة وتوجه ثلاثة مندوبين عن جمعيات كل مديرية فى الساعة العاشرة صباحا إلى هذا المقر، ولكننا فوجئنا بأن الباب الحديدى الخارجى مغلق بالسلاسل الحديدية ولا أحد ينتظرنا ليفسر لنا الموقف، تبين أن الأستاذ أبو سيف راضى وزير الشئون الاجتماعية والعمل أحس أن مجلس الإدارة المرتقب لن يكون فى الاتجاه السياسى والحزبى للحكومة ففعل فعلته، وكانت هذه مرة أخرى صورة من صور التدخل المباشر من جانب الحكومة التى تمثل أحزاب الأقلية، أما الأولى فكانت معركة انتخابات البنك كما أسلفت، كان على رأس الموجودين الأستاذ عبد الله بك فكرى أباظه وكيل وزارة التجارة السابق ورئيس مندوبى محافظة القاهرة قرر الرجل بعد مشاورات معنا على قارعة الطريق التوجه مباشرة إلى المركز الثقافى الذى كان رئيسا له فى جاردن سيتى وتخلف عن الركب بعض من أصابهم الخوف والوهن.

وفى النادى الثقافى عقد اجتماع الجمعية العمومية وتم تشكيل مجلس الإدارة بالانتخاب وكان الرئيس هو الأستاذ عبد الله بك فكرى أباظة.

لم يكن فى النظام الداخلى منصب لنواب الرئيس ولا لأمين الصندوق فقد ادخرنا ذلك كله للمدير الذى يرأس الجهاز التنفيذى وجعلنا من حقه حضور جلسات مجلس الإدارة وتدوين محاضر جلساته، أما السكرتير العام فنص النظام على أن تكون هناك لجنة للسكرتارية شغلها بالانتخاب أيضا، ولكن بالتزكية كل من شمس الدين خفاجى المحامى ورئيس اتحاد الفيوم ومحمد الجمال المدرس السابق بالمرحلة الأولى ثم الموظف بوزارة الشئون الاجتماعية قبل أن يترك الوظيفة ويتفرغ للنشاط التعاونى فكان الفارس المعلى، واتفق على أن يتناوب التوقيع على محاضر الجلسات عضوا لجنة السكرتارية.

الحكومة تتدخل ضد التعاونيين لثانى مرة:

فى اليوم التالى للاجتماع أصدر الوزير أبو سيف راضى قرارا بإلغاء الاجتماع والنتائج المترتبة عليه، ولكن المجلس تحدى القرار واتخذ مقرا له قاعة فى السلاملك الخاص بقصر رئيسه بقسم السيدة زينب، وهى قاعة حبذا لو تم التفكير فى اتخاذها متحفا للتعاون فى سنيه الأولى.

عبد اللطيف عامر

(٢)

ويشاء القدر أن تسقط الحكومة بعد نحو عشرة أيام من هذا الحدث التاريخى الكبير (الذى يشبه مع الفارق توجه مصطفى النحاس باشا على رأس جميع أعضاء مجلس الأمة الذى حله إسماعيل صدقى باشا لاقتحام قاعة المجلس بالقوة وتحطيم السلاسل الحديدية التى تربط أبواب المجلس، تلك المعركة التى سدد فيها أحد ضباط البوليس السونكى نحو صدر النحاس باشا فتلقاه سينوت بك حنا بذراعه مؤثرا بتره على مصرع زعيمه مصطفى النحاس)، أصابت لعنة التعاون هذه المرة الوزارة فسقطت وتولت وزارة جديدة كان فارس وزارة الشئون الاجتماعية فيها الأستاذ العالم والأديب الكبير الدكتور أحمد زكى رئيس جامعة القاهرة وقتذاك والذى أصدر عقب توليه الوزارة بأيام بيانا شجب فيه قرار الوزير السابق وأضفى المشروعية وبحق على إجراءات الجمعية العمومية وما أسفر عنها من انتخاب مجلس الإدارة كان هذا البيان منظومة أدبية وقانونية وأخلاقية رائعة فأتمنى أن يضعها اليوم الاتحاد العام للتعاونيات على صدر قاعة من قاعاته.

معلوم أن الأستاذ الكبير أحمد زكى اصبح بعد ذلك مؤسس ورئيس تحرير مجلة العربى التى كانت تصدر عن دار نشر كبرى بالكويت أثرى بها عالم الثقافة والأدب فى شتى البلاد العربية، وهكذا الرجل العظيم يبقى عظيما ولو تخلت عنه المناصب أو تخلى هو عن المناصب.(الرجال العظام يصنعون المواقف وينشئون المناصب ولكن أبدا لا تصنعهم المواقف ولا تنشئهم المناصب، سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

حدثت معركةِ حول من يتولى منصب المدير، تم ترشيح الأستاذ سامى أبو العز وكيل بنك التسليف ولكن اعترض عليه بأنه صدر قرار من مجلس الثورة بوقفه عن مباشرة اختصاصه إلى أن تفحص حالته ومعروف أنه كان ينتمى إلى حزب الوفد أى حزب الأغلبية.

ورشح الأستاذ شاهين مدير تموين العاصمة واعترض عليه بأنه ممن أخرجتهم الثورة فى التطهير وعرض اسم الأستاذ أحمد عبد النبى مدير التشريع بوزارة التموين واعترض عليه بذات الاعتراض فقد كان وفديا قبل الثورة، وما زال فى حزب الوفد الجديد حتى اليوم، كان

محمد الجمال وراء هذا الترشيح الآخر وجمعني من أجل ذلك به لقاء فى جروبى سليمان باشا وأوحى إلى الأستاذ عبد اللطيف فهمى عامر بأن أقف إلى جانب ترشيح الأستاذ حسين عجمى السيد عضو مجلس الإدارة عن محافظة الإسكندرية واستطعت أن أكسب أصواتا إلى جانب هذا الترشيح، أما الذين حجبوا ثقتهم عن هذا الرجل كمدير عام للجمعية فكان عددهم ينقص صوتا واحدا عن الذين منحوه الثقة.

وكان الجمال إلى جانب الأقلية، ومن أجل ذلك فوجئنا فى اليوم التالى بأن الدولاب الذى به دفتر محاضر الجلسات وأوراق التصويت تم كسره واختفت أوراق التصويت التى يكشف خط كاتبها عن شخصيته وكان الجمال لا يحب أن ينضم للمدير العام بعد انتخابه لأنه لم يكن معه فاتجهت الأنظار إلى محمد الجمال فى هذا الحادث وإن يكن الأمر ليس بالأهمية التى يوجه من أجلها إصبع الاتهام.

فالرجل سكرتير المجلس وأوراق التصويت من حقه أن يحتفظ بها أو يعدمها حسبما يشاء طالما أن النتيجة الثابتة فى دفاتر محاضر الجلسات لن تتأثر ولكن للتاريخ فقد ظل هذا الموقف يعمل عمله فى تصرفات المدير العام مدة عمله مديرا عاما كما ظل موقفه يؤرق محمد الجمال إلى أن دبر له هذا الحادث.

الجمال وأقارب الوزراء:

كان المرحوم الجمال يحيط نفسه برجال تربطهم بقادة الثورة صلة قرابة أو مصاهرة:

١ ــ الأستاذ عامر محمد عامر أبن عم المشير عبد الحكيم عامر وزوج شقيقته (المنيا).

٢ ــ المهندس الزراعى حسن الشافعى شقيق السيد حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الشئون الاجتماعية والعمل (المنوفية).

٣ ــ الأستاذ بهجت رمضان زوج شقيقة السيد كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة والوزير السابق لوزارة العمل والشئون الاجتماعية ثم رئيس الاتحاد القومى (الوعاء السياسى للثورة) فيما بعد (القليوبية) وعن طريق هذه العناصر القوية بقرابتها استطاع الأستاذ الجمال أن يصنع بالقيادات التعاونية ما يشاء مبتدئا بالحصول على قرار من مجلس الإدارة بناء على طلب مباشر من الوزير حسين الشافعى باستبعاد الأستاذ حسين عجمى السيد الذى حقق نجاحا كبيرا فى إدارته للجمعية من النواحى التنظيمية والتجارية، وإحلال اللواء متقاعد

حسين على مديرا عاما محله، وغمر مرور الكرام على دعوى التعويض التى أقامـــها المديـــر المعزول والتى مات قبل أن يبلغ غايته منها بعد أن رفض عروض الصلح التى كنت واحـــدا من عناصرها.

ولما كانت أغلبية أعضاء مجلس الإدارة قد حررت وثيقة بالتمرير بتعويـــض المديـــر السابق فقد أتخذ الجمال من هذه الوثيقة وسيلة لحل مجلس الإدارة بسبب استقالته الجماعيـــة احتجاجا على تدخل الوزير إلى استبعاد الموقعين على هذه الوثيقة من عضوية مجلس الإدارة المؤقت الذى ضم إلى جانب رؤساء الاتحادات الثلاثة المذكورين، محمد الجمال وسامى أبـــو العز وكيل عام بنك التسليف وأحمد زكى الإمام الذى كان يمثل النصف الآخر من الفولـــه التى كانت تتكون من محمد الجمال من داخل البنيان ومن الأستاذ الإمام من داخل الـــوزارة وحقق هذا التوأم انتصارات شخصية كثيرة فى عضوية البنك ثم فى عضوية الجمعية التعاونيـــة للبترول وقصص أخرى، ولكنه حقق أكثر انتصارات كبيرة فى دعم الحركة التعاونية ورفـــع رايتها شامخة وصولها عاليا من خلال المؤتمرات التعاونية العامة التى عقدت فى السنوات ٥٥، ٥٦، ٥٧ على التوالى برئاسة السيد حسين الشافعى وشهدها وألقى خطابا سياسيا فى كـــل منها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر مما أكسب الحركة التعاونية الكثير، ولكنه فى نفـــس الوقت أوغر صدر المشير عامر ضد زميله السيد حسين الشافعى الذى كـــان التعـــاونيون يرفعون شعارات فى الميادين موقعة باسمه فانتقل به من منصب الوزير إلى منصـــب الوزيـــر المركزى، مشلول الحركة ضئيل الاختصاصات وأحل محله مدير مكتب المشير السيد محمـــد توفيق عبد الفتاح وزيرا تنفيذيا للإقليم الجنوبى (مصر).

وفى هذا المعنى حدثنى بالكثير صديقى حسن الشافعى فى جولاتنا الدائمة فى دائرتـــه الانتخابية، ومنه ما يمنعنى الالتزام عن ذكره.

كيف مزقت الحركة التعاونية بليل..؟!

وعندما يسرد التاريخ بروية ستعرف كيف استطاع السيد محمد توفيق عبد الفتـــاح الذى وقع بدوره فى فخ الجمال لفترة آفاق منها على إحالة أحمد زكى الإمام إلى الاســـتيداع لبضعة أشهر عاد منها أكثر قوة مما كان، سيعرف التعاونيون أن مؤامرة حيكت ـــ بطلـــها السيد محمد توفيق عبد الفتاح هدفها الأول ضرب جهود المهندس سيد مرعى الـــذى ورث

عن السيد جمال سالم مشروع الإصلاح الزراعى وعن السيد مجدى حسنين مديرية التحرير وكان للسيد كمال رفعت المشرف على الرقابة الإدارية دور فى هذا المجال ـ سيأتى يوم أذكر تفاصيلها بدقة، أستطيع أن أقول أن السيد محمد توفيق عبد الفتاح هو الذى أدى بالرئيس عبد الناصر إلى الاقتناع بما عرضه عليه المهندس سيد مرعى بإصدار قرار إنشاء المؤسسات العامة التعاونى والقرارات الجمهورية المنفذة له والتى أسفرت عن تمزيق الحركة التعاونية بين وزارات عدة ومؤسسات شتى شر ممزق، وفقد توفيق عبد الفتاح فى النهاية كل شئ.

عامر، والقصر الملكى!!

حدث فى يوليو سنة ١٩٥٢ أن صدرت مجلة صوت التعاون التى تصدر عن الاتحاد التعاونى بالفيوم الذى كنت أتولى رئاسته تحمل مقالا بعنوان أحمد عرابى، يعود فى ذكرى ثورة عرابى الشهيرة جاء فى هذا المقال "لقد وجه عرابى البطل لطمتين إحداهما أصابت الخديوى توفيق فجعلته يترنح والأخرى أصابت الاحتلال البريطانى فجعلته يفقد صوابه".

ما أحوجنا إلى عرابى جديد، يضرب الضربة ويثب الوثبة ويرهب العاملين فى الظلام.

أكاد أحس أن كل مصرى أوشك أن يكون عرابيا فما أحوجنا إلى عرابى جديد!!..

كنت فى الإسكندرية مع الأستاذ زكى يعقوب مراقب حسابات اتحاد الفيوم والمدير المالى لمشروع مكافحة الغلاء ـ فوضتنى جمعيات الفيوم لإدارته أو تولى أمر المشروع الذى له قصة تروى وتاريخ يذكر وله جذور فى الرسالة التى حصل بها الأستاذ الفاضل الدكتور كمال حمدى أبو الخير على الدكتوراه، وعنوانها "إدارة المشروعات التجارية والتعاونية".

عدت من الإسكندرية عن طريق القاهرة مرورا وكعادتى ـ بمصلحة التعاون.

كان الأستاذ عبد اللطيف عامر قد علم أننى فى الإسكندرية وأننى قطعا سأكون فى زيارته فى طريق العودة وجدته كما لو كان فى انتظارى.

قال لى أن السراى الملكية لم ينقطع اتصالها به لحظة، وكذلك بالوزير، وكذا بمدير الفيوم، وأن قرارا بالقبض على قد صدر متهما بالعيب فى الذات الملكية، ومطلوب منه أن

يسافر إلى الفيوم غدا لحضور جلسة مجلس إدارة الاتحاد التعاونى لتقرير وقفى ــ كما تقرر بالفعل ــ عن عضوية المجلس البلدى والنادى الاجتماعى وسائر الهيئات التى أمارس فيها عضوية، ونصحنى بأن أبعث باستقالتى إلى الاتحاد برقيا حتى يجنبنى محاولة الحكومة إصدار قرار بوقفى، وأدفع بذلك عنه الحرج لأنه سيؤمر بما يكره.

ورفع عبد اللطيف عامر السماعة وطلب من الدكتور عبد المنعم أبو طايلة المراقب العام بالمصلحة الحضور إلى مكتبه فورا، ونقل إليه نبأ الأحداث الجسيمة التى تنتظرنى، قال له:

يا دكتور عبد المنعم أنت رجل صحفى قديم ولك مقالات فى جريدة البلاغ، وحسك الصحفى مرهف وتستطيع أن تدبر دفاعا لزميلنا شمس الدين خفاجى، خذ بيده إلى مكتبك وقم بالواجب الوطنى نحوه، وفى مكتب الدكتور أبو طايلة استمعت إلى الأسلوب الذى أتناول به الرد على أسئلة المحقق، وكانت قائمة أساسا على ما دونه التاريخ عن الخديوى توفيق وما كان بينه وبين الإنجليز من وشائج أدت إلى الاحتلال البريطانى لمصر، وقال انقل التحقيق إلى مسار تاريخ والتاريخ فى جانبك.

وتوجهت فى المساء إلى الفيوم ووجدت مفتش المباحث فى انتظارى وفى فجر اليوم التالى دق باب البيت الخارجى وقال القادم أنا أحمد، كان القادم البكباشى أحمد سيد عبد القادر مأمور البندر الذى كنت أطلق عليه فى مجلتى أحمد عبد القادر "عمدة ومأمور"

قلت للرجل أنا جاهز، وحملت حقيبتى وهبطت درج السلم، ومن هناك إلى القاهرة فى مبنى محكمة باب الخلق حيث مثلت أمام رئيس نيابة الصحافة الأستاذ عبد الحميد أبو شنيف الذى كان مديرا لنيابة الفيوم فى مطلع حياته فى المحاماة، وكان قد رشحنى مساعدا للنيابة ولكن الأستاذ صبرى باشا أبو علم وزير العدل الوفدى رفض تعيينى فقد كنت من زعماء اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى بينما كان الأصل فى تقدير الباشا ألا يلى النيابة أو القضاء من المحامين إلا من كان وفديا، هكذا كان قدره وقدرى.

وصدر الأمر بحبسى وزميلى مصطفى الابجيجى سكرتير التحرير فقد اعترف كل منا بأنه كاتب المقال، وكنت أنا المتهم الأول بوصفى رئيس التحرير، وكان هو المتهم الثانى، وفى سجن الأجانب التقينا من جديد بالزميل القديم إبراهيم شكرى الذى سبقنا إلى غرفة بهذا

السجن الذى كنا نطلق عليه فندق الأجانب من فرط ما به من نعيم بالقياس لسجن قسرة ميدان الذى استضافنى من قبل فى تهمة بالتحريض على تحطيم الخمارات سنة ١٩٣٧ وأنا بعد طالب بكلية الحقوق.

وبعد أسبوعين مثلنا أمام الأستاذ ممتاز نصار قاضى الإحالة حيث ترافع عنى الأستاذ فتحى رضوان، وترافع عن إبراهيم شكرى الأستاذ أحمد حسين، وصدر قرار المحكمة بإحالتنا فى القضيتين إلى محكمة الجنايات مع الإفراج عن كل منا بكفالة خمسين جنيها سددها عنى وعن زميلى المغفور له الحاج محمد سالم سالم الاقتصادى الكبير وراعى الحركة الاجتماعية والتعاونية والدينية بالفيوم، وطريقى إلى ميدان التعاون سنة ١٩٤١ أستطيع أن أشهد الآن، أن مجلس إدارة الاتحاد التعاونى بالفيوم الذى قبل استقالتى المرسلة إليه فى برقية وكان قد تم القبض على وترحيلى إلى القاهرة لم يعقد جلسة واحدة طوال الفترة التى نظرت خلالها القضية، وحتى الإفراج عنى بكفالة وعندها عقد جلسة قرر فيها ــ عدم التصديق على محضر الجلسة السابق وكأن شيئا لم يكن، وهذا هو الوفاء، وتلك هى الرجولة يا قيادات التعاون موديل ١٩٩٠، كسب هذا الموقف فى جانب عبد اللطيف فهمى عامر الذى رفض تدخل الحكومة فى انتخابات بنك التسليف فأبعد إلى وظيفة مفتش مالية.

عبد اللطيف عامر بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٩٢:

أولا :عامر والإصلاح الزراعى:

وقع الاختيار على الأستاذ عبد اللطيف عامر عضوا باللجنة العليا للإصلاح الزراعى وكل الأدوار التعاونية فى هذه اللجنة حسبت لصالح عبد اللطيف فهمى عامر، وأيده فى ذلك كل التأييد الأستاذ المهندس سيد مرعى، وإلى هذين الرجلين يعزى الفضل الأول فى نجاح تجربة التعاون فى الإصلاح الزراعى وإلى الأستاذ عامر يعزى الفضل فى ترشيحه للمهندس محمود فوزى من مفتشي مصلحة التعاون لينهض بالإصلاح الزراعى بالأسلوب التعاونى، ليس الآن محلا لشرح مدى ارتباط هذا النهج بالالتزام الحرفى بمبادئ التعاون فيما يختص باختيارية العضو وبصحة تطبيق مبدأ باب العضوية المفتوح، فلهذا الموضوع باب كامل فى كتابنا "تنظيم الملكية الزراعية" الذى تم تدريسه على مدى ربع قرن بمعاهد الدراسات التعاونية الثلاثة ــ العبرة دائما بالنتائج، والعبرة كذلك بالنيات.

وإن كانت الإيجابيات عندى ــ تبرر هذا النص فى المرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ بالعضوية الإجبارية لمن آلت إليه أرض من أراضى الإصلاح الزراعى فى الجمعية التعاونية وقد يكون لهذا الحديث بقية فى تفصيل.

ثانيا :عامر وإعداد القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦:

الذى يرجع إلى قرار السيد حسين الشافعى بإنشاء لجنة إعداد مشروع قانون جديد للتعاون يجد أن رئيس اللجنة هو الراحل الدكتور عبد المنعم الشافعى أستاذ الإحصاء الأول والوكيل الدائم لوزارة الشئون الاجتماعية وأن الرجل الثانى فى اللجنة الموجه الأول لها هو الأستاذ عبد اللطيف عامر وكيل الوزارة المساعد لشئون التعاون ومن بين فرسانها الأستاذ أحمد زكى الإمام والأستاذ محمد الجمال والأستاذ سيد عثمان وربما يحسب إلى جانبهم شمس الدين خفاجى المحامى وآخرون من رؤساء الاتحادات التعاونية.

وللحقيقة التاريخية فقد كانت أحكام القانون عندما تفرغ فى نصوص تبعد بالضرورة عن المناقشات التى كانت تدور فى اللجنة التى كان يمتد العمل فيها بصفة متواصلة تربط صباح اليوم بمسائه، وكنا نتناول الغذاء من محل الحلوى الكائن بأول شارع سليمان باشا بميدان التحرير على مائدة رئيس اللجنة.

لم يتغيب عن الجلسات فرد واحد، وكانت الآراء تصدر بجدية ورغبة فائقة للوصول إلى أفضل الأحكام، أسفرت النتيجة عن صدور قانون بمقارنته بما سبقه من قوانين وما تلاه منها، أنه لم يكن الأفضل بالرغم من تعصب الكثيرين له عن غير روية، وفى دراسة مقارنة نشاهدها فى كتابى "التعاون فكر وقانون" الذى كان يدرس فى قسم الدراسات العليا بكلية التجارة بجامعة عين شمس، تكشف عن الكثير من هذه الأحكام التى صدرت معيبة.

ومن النصوص التى رأينا عدم دستوريتها نص المادة ١١ من ذلك القانون التى تقرر. "يجوز استثناء الجمعيات التعاونية للإصلاح الزراعى من بعض أحكام هذا القانون بقرار من الوزير المختص" وبما أن الاستثناء لا يرد على مواد بذاتها فقد بات فى وسع الوزير بقرار وزارى أن ينشئ أحكاما قانونية بغير قانون، ومعنى ذلك أن جمعيات الإصلاح الزراعى لا تنظم بقانون، ولكن بقرارات وزارية.

وهذا النص بهذا المعنى غير دستورى :للتاريخ أيضا فإن هذا النص لم يكن من صنع اللجنة ولكن السيد /جمال سالم مسئول الإصلاح الزراعى فى مجلسى الثورة والوزراء أصر على عدم إقرار هذا المشروع بقانون ما لم يوضع هذا النص الذى استبعد ببساطة شريحة هامة من شرائح التعاون من أن ينظم بقانون، ومعلوم أنه لم يكن هناك مجلس نيابى يعرض عليه هذا القانون ولا سائر القوانين المعاصرة حيث كانت السلطة التشريعية فى البلاد تتمثل فقط فى مجلس يضم أعضاء مجلسى الثورة والوزراء.

ولكن التطبيقات كما صاغها عبد اللطيف عامر ونفذها محمود فوزى وأشرف عليها المهندس سيد مرعى خففت من غلواء هذا الاستثناء وجعلته يسرى فى أضيق الحدود إلى أن صدر قانون التعاون الزراعى الذى وحد الأحكام بين شرائح التعاون الزراعى فيما يسمى بجمعيات الائتمان، وجمعيات ا لإصلاح، وجمعيات الاستصلاح، وفى هذا كتبنا أكثر من كتاب ونشرنا أكثر من مقال.

ثالثا :عامر، فى الجمعية التعاونية لمنتجى البطاطس:

صدر قرار ظالم بحل مجلس إدارة الجمعية التعاونية لمنتجى البطاطس وكان رئيسها أحد رواد زراعة البطاطس فى مصر الأستاذ محمود حسنين أبو سيف وكان سكرتير الجمعية الأستاذ محمد كمال سعد المحامى والمهندس الزراعى فى نفس الوقت ومن أعلامها المهندس محمد فخرى مهنا.

وعين الأستاذ عبد اللطيف عامر مديرا مفوضا بسلطات مجلس الإدارة وكان هذا جائزا فى ظل القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ استطاع الأستاذ عامر أن يوقف نزيف المصاريف الإدارية ومصاريف التسويق كما استطاع أن يحصل الآلاف المؤلفة من مستحقات الجمعية لدى الغير.

كانت فترة إدارته خصبة.

هذا لا يمنع أن الشجعان من أعضاء مجلس إدارة الجمعية استطاعوا مقاضاة الحكومة وإلغاء قرار حل مجلس الإدارة ودعوة المجلس الجديد الذى اتخذ إجراءات دعوة الجمعية العمومية وإجراء انتخابات جديدة ونزيهة وحرة وديمقراطية عادت بالمجلس القديم سيرته الأولى.

رابعا :عامر مديرا للمركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية:

عين الأستاذ عبد اللطيف عامر مديرا عاما للمركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية سبقه إلى هذا المنصب الأستاذ محمود فهمى الحادقة وتلاه فيه الأستاذ الدكتور عبد الحميد نصر والأستاذ أمين عامر عمارة الرجل الذى وضع قدمى على طريق التعاون بالفيوم سنة ١٩٤١ وسبقت إلى تفصيل ذلك.

كانت فترة هؤلاء العلماء الأفاضل من الفترات الخصبة التى آنست التعاونيين أن لهم فى ملكية هذه المؤسسة العريقة حقا، ولم يشعر أحد منا خلال فترة إدارة هؤلاء الرجال أن هذا المركز ليس لنا، كما لو كان كل منا صاحبه، وفى هذا المركز بالذات حررت وثيقة الجمعية المصرية للدراسات التعاونية فى غرفة نومى ذات مساء تم الحصول على التوقيع عليها فى صباح اليوم التالى من الأستاذ محمود فهمى أحمد الحادقة مدير المركز وعلى توقيع الأستاذ عبد اللطيف عامر الذى كان ينزل به ليلتها محاضرا وهكذا كان عبد اللطيف عامر ثالث ثلاثة وقعوا على هذه الوثيقة التى كان لها فيما بعد ما بعدها، ولهذا الموضوع كتاب تجرى إعداد اللمسات الأخيرة على صفحاته، وكلها لحسن الحظ صفحات بيض كان لكوكبة من الفرسان فيه جهد يذكر، وإن يكن للصديق الدكتور كمال حمدى أبو الخير فى هذا الكتاب صفحات كفاح ونضال وبناء وتطوير بعضها بالمشاركة، وبعضها بالاستقلال.

خامسا :عامر ومجلة التعاون:

صدرت مجلة التعاون عن مصلحة التعاون منتظمة فى عهد الدكتور إبراهيم رشاد ولكنها كانت أكثر انتظاما فى التبويب وفى اختيار الموضوعات فى عهد الأستاذ عبد اللطيف عامر الذى كان رئيسا لتحريرها ومديرا لسياستها وإدارتها وكان الفرق الوحيد هو أن الأستاذ عامر كان يتولى هذه السلطات باسم الاتحادات التعاونية منذ ١٩٥١ كنت ضمن ثلاثة من رؤساء الاتحادات التعاونية أعضاء فى لجنة المجلة وكانت أسماؤنا تتصدر الصفحة الأولى تحت اسم رئيس التحرير.

وعندما قرر مجلس الوزراء إلغاء الترخيص الصادر بمجلة صوت التعاون التى كانت تصدر عن الاتحاد التعاونى بالفيوم أفرد لى الأستاذ عبد اللطيف عامر عدة صفحات باسم صوت التعاون كمجلة داخل المجلة والذى يقرأ تلك الأعداد وبعضها فى مكتبة الاتحاد

الإسكانى الآن وبعضها فى مكتبق يتبين مقدار الحرية التى كنت أتمتع بها فى تحرير موضوعات هذه المجلة الخاصة.

استطاع عبد اللطيف عامر ــ دون أن يقصد أن يدق إسفينا فى صداقتى ــ بالأستاذ أحمد زكى الإمام حين كان يمنحنى أكبر مكافأة لتحرير مقال بينما كان يمنح الأستاذ الإمام مكافأة مالية أقل وكانت تقل أحيانا فتصل إلى إهداء الكاتب ثلاث نسخ من المجلة "كذا".

وعندما اتفقت إرادتنا ــ محمد الجمال وأنا ــ على سحب السجادة من تحت قدمى عبد اللطيف عامر وإسناد رئاسة التحرير إلى الأستاذ محمد الجمال مع تعديل فى أعضاء لجنة المجلة توقف صدور مجلة التعاون بعد الأعداد الستة الأولى فخسرت الحركة التعاونية كثيرا من جراء هذا التغيير.

وللطرافة نذكر الآن أنه حدث عند تولى السيد كمال الدين حسين وزارة الشئون الاجتماعية أن زار مقر مصلحة التعاون بمقرها بمجمع التحرير وطاف يقدمه الأستاذ عبد اللطيف عامر بجميع أقسام المصلحة، فلما وصلا إلى قسم التعاون الذى كان يرأسه الأستاذ أحمد زكى الإمام تجاوزا مكتبه فما كان من الأستاذ زكى الإمام إلا أن تقدم موكب الوزير وجعله يعود إلى حيث مكتب زكى الإمام جبرا عن الأستاذ عامر الذى تجاوزه وكان شرح الأستاذ زكى الإمام لوظائف القسم الذى يرأسه سببا فى تعريف الوزير به وإعلان إعجابه بنشاطه نتيجة لقاء تم قسرا.

عبد اللطيف عامر

(٣)

عامر والاتحاد العام:

كنا ندير الحركة التعاونية من كازينو صفية حلمى بميدان الأوبرا حيث المحل المختار للأستاذ محمد الجمال ولكننا حين نرغب فى صياغة هذه الأفكار عندئذ كان لقاؤنا على غداء عمل فى جزيرة الشاى التى تتوسط حديقة الحيوان.

وفى إحدى المرات توجهت إلى مكتب الأستاذ عبد اللطيف عامر أتأبط مشروعا لإنشاء اتحاد تعاونى عام وحتى نضمن مرور المشروع فقد جعلنا مدير عام مصلحة التعاون أمينا عاما لهذا الاتحاد بينما جعلنا وزير الشئون الاجتماعية رئيسا له.

ولكن الأستاذ عبد اللطيف عامر الذى كان يحكم قبضته على الحركة التعاونية خلافا للتوجهات الشعبية لدى سلفه العظيم الدكتور إبراهيم رشاد ــ لم يعجبه أن يكون مجرد أمين عام لمجلس إدارة الاتحاد وربت على رأسى بيده وسألنى هل تخفى شيئا فى هذا المكان..؟ "وأشار إلى جدار المخيخ فابتسمت وقلت له كل ما عندى صغته فى هذه الورقة".

ولأن الأستاذ محمد الجمال كان يعتقد بحسن صلتى بالأستاذ عبد اللطيف عامر فقد ترك لى دائما مهمة وضع الجرس فى رقبة القط.

وللتاريخ ــ مرة أخرى ــ بذلت محاولة تالية لإنشاء الاتحاد العام، حدث أن توجه السيد كمال الدين حسين إلى الإسكندرية لافتتاح المبنى الجديد للمركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية، وكنت عضوا بمجلس إدارة هذا المركز، وطلب إلى الأستاذ عبد اللطيف عامر أن ألقى كلمة المجلس، قامت كلمتى على أساس مواجهة السيد الوزير بالاعتراض على التناقض المبين لدى الوزارة كيف يسوغ تأسيس اتحاد عام للعمال ولا يقام اتحاد عام للتعاون مع أن التعاون أسبق فى النشأة وفى قدر أعضائه بسنوات طويلة، ولكن الوزير التزم بالنص المكتوب.

فلم يرد على هذا الاعتراض كما لم يتخذ بصدده إجراء فيما بعد، وتعثر هذا الجهد المعلن مرة أخرى فى سبيل إنشاء اتحاد عام للتعاون.

لم يصدر أى قرار بإنشاء الاتحاد التعاونى العام كما ذكرت ولكن لم أيأس حتى أتيحت الفرصة لدعوتى إلى حفل العيد الماسى للتعاون فرفعت للاحتفال هذا الشعار، قانون واحد ــ واتحاد واحد ــ وبنك واحد.

وقد استطعت بعد ذلك أن أصوغ مشروع قانون التعاون العام وتقدمت بنسخة منه إلى الأستاذ المغفور له دكتور فؤاد محيى الدين رئيس مجلس الوزراء وتقدمت بالنسخة الأخرى للزميل الفاضل الأستاذ سيد زكى الذى استأذن بدوره رئيس الوزراء فى أن يقدم هو وبعض النواب مشروع القانون الأمر الذى أفصح عنه فى الجمعية الأولى للاتحاد الأستاذ الدكتور يوسف والى بصفته ممثلا للحكومة فى الجمعية العمومية ..وأنتم تعرفون الباقى!!..

تلك كانت قصة حياة عبد اللطيف عامر الحافلة بالأمجاد يضاف إليها جهده العلمى فى إعداد كتاب التعاون الاستهلاكى الذى صاغه بفكرة وبفكر أستاذه الراحل الدكتور إبراهيم رشاد وكان كريما حين أصر فى عناد على أن يختص الدكتور رشاد بوضع اسمه منفردا على كتاب أعرف قدر الجهد الذى بذله فى إعداده وجمع المادة العلمية والإحصائية التى انطوى عليها.

وقد عاون الأستاذ عبد اللطيف عامر وعاصره فى مصلحة التعاون السادة الأساتذة: محمد سليمان، د .عبد المنعم أبو طايلة، وفتحى عبد الرازق، أحمد دمرداش تونى، الدكتور توفيق أحمد، أحمد زكى الإمام، عبد المقصود عزت، محمود فوزى، سيد المنشاوى، شوقى مسلم، سيد نجيب، سيد عثمان، أحمد حمزة كساب، عبد المنعم حمادة، شكرى زكرى، إسماعيل الشريف، أحمد مروان، عبد الحميد المنيزع، فؤاد الرملى ومدير مكتبه عبد الخالق حلمى مراد، وسكرتيره الخاص إبراهيم زيدان وعم فؤاد مسئول غرفة الحفظ.

الصراع بين الزراعى والتجارى ومشروع مكافحة الغلاء:

كنت فى أروقة مصلحة التعاون تستمع دائما إلى صراع فئوى بين الزراعيين الذين انتعشت آمالهم فى عهد الدكتور إبراهيم باشا رشاد والذى كان يحاضر فى كلية الزراعة التى تخرج فيها، وبين التجاريين الذين لقوا نفس الحظوة فى عهد الأستاذ عبد اللطيف بك عامر ابن كلية التجارة البكر.

وعلى سبيل المثال كان المهندس الزراعى أحمد دمرداش تونى يباشر عملا هامشيا كمدير لإدارة الخدمات الاجتماعية ولم تكن هذه الخدمات قد انتعشت فى ذلك العصر فى ظل تطبيق التعاون باستثناء النوادى الريفية التى كان فارسها وملهمها المهندس أحمد دمرداش تونى، وفى عهده وبجهود عدد من رؤساء الاتحادات التعاونية يتصدرهم الأستاذ محمد الجمال سكرتير اتحاد عام النوادى الريفية اتخذ مقرا مؤقتا له مبنى الجمعية الأدبية التى كان للأستاذ الدمرداش تونى باع كبير فيها.

فى حين أن مشروعا ضخما كمشروع مكافحة الغلاء الذى خصصت له الدولة فى ميزانيتها مليون ونصف المليون من الجنيهات كان يباشره المحاسب محمد فتحى ويشرف عليه المحاسب محمد سليمان وكيل عام المصلحة لفرط ثقة المدير العام فى الرجلين.

كان المشروع يقوم على أساس أن كل جمعية تعاونية تفتتح مجزرا تحصل على إعانة تأسيس ١٢٠ جنيها لكل فرع وتحصل على حصة كبيرة من الكسب المخصص لعلف الحيوان بالسعر الرسمى كل ذلك مقابل أن تبيع الجمعية رطل اللحم بأقل قرش صاغ واحد عن التسعيرة الجبرية للرطل من اللحوم بكافة نوعياتها.

وكل جمعية تنشئ فرعا حديثا للبقالة تحصل كذلك على إعانة تأسيس قدرها ١٢٠ جنيها.

ويتم بالخصم من مبلغ المليون والنصف مليون جنيه قيمة الفروق التى تتحملها الجمعيات على النحو المتقدم.

وعلاوة على ما تقدم يتولى جهاز مكافحة الغلاء بمصلحة التعاون توريد الأقمشة الشعبية والصابون للجمعيات التعاونية بسعر التكلفة على أن تباع بهامش ربح بسيط يكفى بالكاد لتغطية المصاريف.

كان توزيع هذه الأقمشة والصابون يتم عن طريق الجمعيات التعاونية العامة أو المركزية بالمحافظات وتتكون من جميع جمعيات كل محافظة التى ذكرنا أن ٩٥ ٪ منها جمعيات زراعية ذات فروع استهلاكية.

قد يبدو اليوم أن مليون ونصف مليون جنيه لا تشكل رقما قادرا على مكافحة الغلاء ولكن إذا ضربنا هذا الرقم فى مائة مثل بحسب التقديرات الرسمية لقيمة الجنيه الآن مقيما بقيمة

الجنيه المصرى سنة ١٩٥١ نستطيع أن ندرك القيم الفعلية لهذا الدعم الذى أسفر عن نجاح كبير فى مكافحة الغلاء.

الفلاحون أكلوا المشروع:

وأشهد الآن بوصفى المشرف على تطبيق هذا النظام فى مديرية الفيوم أن هذا الدعم الذى وصل فعلا إلى مستحقيه كان دعما ذا جدوى.

الشيء المؤسف أن بعض الجمعيات الزراعية لم تكن تسدد للجمعية الأم فى المديرية ثمن ما تبيعه من الأقمشة الشعبية والصابون والكسب مما أخل بانسياب هذه المبالغ وارتدادها إلى الوعاء الأصلى فى مصلحة التعاون بالقاهرة مما جعل الاستفادة من هذا المشروع محدودة بحيث كان وقف الحكومة العمل بهذا النظام فجأة ضرورة حتمية وأعقب ذلك بالضرورة توقيع بنك التسليف الزراعى والتعاونى لحساب هذا الرصيد ـ الحجز الإدارى على الجمعيات العامة قبل أن يتم حلها وتصفيتها فيما بعد لتحويل ناتج التصفية إلى أسهم فى رأس مال الجمعية التعاونية للاتجار بالجملة كما ذكرنا من قبل.

والخلاصة أنه لولا الرقابة الفعالة من جانب القائمين على المشروع فى مصلحة التعاون (محمد سليمان وفتحى عبد الرازق) تحت إشراف محكم من المحاسب الكفء والمدير الممتاز عبد اللطيف عامر لضاع كل الرصيد.

قلت من قبل أن مشروع مكافحة الغلاء احتل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالأستاذ الدكتور كمال حمدى أبو الخير معظم الصفحات التى خصصها فى الرسالة لإدارة الجمعيات التعاونية مستعينا بالإحصاءات الدقيقة التى وفرها له الأستاذ عبد الخالق حلمى مراد مدير مكتب الأستاذ الكبير عبد اللطيف عامر والذى أحيل إلى المعاش بدرجة وكيل أول وزارة مشرفا على مكتب وزيرة الشئون الاجتماعية منحازا لشئون التعاون، وممثلا لمصر فى معظم الاجتماعات التى عقدتها لجنة خبراء التعاون التابعة لجامعة الدول العربية، وكان كذلك رفيق عمل ضمن الوفد المصرى فى مؤتمر التعاون الثانى الذى عقدته الحركة التعاونية العراقية فى نادى المعلمين ببغداد سنة ١٩٥٥ وفيه أعلنا مبادرتنا بالدعوة إلى تأسيس الاتحاد التعاونى العربى وعقدت اللجنة التحضيرية على هامش المؤتمر، والباقى أنتم تعرفونه جميعا..

عبد اللطيف عامر فى مكان الأستاذية:

عبد اللطيف فهمى عامر كان دائما الأستاذ بالنسبة لمعاصريه من رؤساء الاتحادات التعاونية فى الجانب الشعبى ومن خبراء مصلحة التعاون ــ وكلهم خبراء ــ فى الجانب الرسمى.

عبد اللطيف فهمى عامر أرتفع دائما فوق المنازعات والخلافات والمناقشات الجانبية كانت المقالات التى يحررها فى مجلة التعاون التى يرأس تحريرها لا تصدر إلا عن أستاذ ومعلم، كانت تتسم بالعلم والموضوعية، كان الرجل يتكلم، فإذا هو المحاضر الكفء المترفع عن المساس بالغير من خلال الغمز واللمز الذى تفرد به غيره من تلامذته، كان الرجل خفيض الصوت، ولكن قوى الحجة، لديه قدرة كافية على الإقناع، كانت محاضراته فى المركز الثقافى التعاونى بسيدى بشر بالإسكندرية علامة جيدة على المحاضرات التى كانت تلقى فى هذا المركز، حتى بعد أن أصبح مديرا له.

عبد اللطيف عامر، المحافظ:

عبد اللطيف عامر رجل محافظ، وفى القصة التالية قد يطيب للبعض أن يقول إنه أكثر من محافظ كانت فى أسرته فتاة اسمها سوسن تعمل بالرسم فى المجلة الزراعية تحت إشراف الأستاذ الفنان الكبير عبد السلام الشريف قامت بينها وبين أحد المخرجين المسرحيين علاقة حب نظيف انتهت بإعلان الرغبة فى الزواج، رفض عبد اللطيف عامر هذا الزواج بشدة، كيف يزوج فتاة من أسرته بممثل أو مخرج مسرحى، حتى ولو كان هذا الرجل هو مدير مسرح الدولة نفسه، واحتفظ باسمه لنفسى ..المهم أنه يرتبط بالتمثيل بصلة، حدث هذا فى الخمسينيات وليس فى العشرينيات من هذا القرن، حدث هذا فى عصر كان فيه يوسف بك وهبى أبن المهندس الكبير عبد الله باشا وهبى وإليه ينسب مسجد عبد الله بك وهبى بمدينة الفيوم حين كان مفتشا للرى بها، أقول كان فيه يوسف بك وهبى نفخر وتفخر أسرته بأن مهنته التمثيل، وليس يوسف بك فقط، ولكن الكثرة من أبناء العائلات الكريمة اشتغلوا بالتمثيل ورضى أهلهم على موقفهم من هذه المهنة العظيمة.

وطالما أن هناك قصة حب، فإن جهود الأستاذ الفاضل محمد صبيح ــ وكانت الفتاة تعمل فى دائرة اختصاصه فقد كان رئيس تحرير المجلة الزراعية وجريدة التعاون ــ لتسوية الموقف ذهبت بددا إزاء موقف عبد اللطيف عامر المحافظ وأكاد أقول المتعنت، الجديد أن

القبطان أحمد عبد اللطيف عامر قال لى منذ أيام وهو يقدم إلى مكتبة عبد اللطيف بك عامر، لقد فشلت هذه الزيجة فيما بعد، كان والدى ـ كما كان دائما ـ على حق!!.

علامة مضيئة فى تاريخ التعاون:

كان عبد اللطيف عامر فى النهاية علامة من العلامات المضيئة فى تاريخ التعاون المصرى، كان أصدقاؤه هم الصفوة الممتازة من خبراء وعلماء التعاون الذين التقيت ببعضهم فى مكتبه بالقاهرة كما كان يلتقى بهم فى المؤتمرات الدولية وأخص منها مؤتمر الغذاء العالمى الذى كان حضوره لاجتماعاته فى إيطاليا من أولى اهتماماته.

والذى يريد أن يستفيد حقا من الكتيبات الصغيرة عن التنظيم، والإدارة والبنيان، و المراجعة، يمكنه أن يطلع على كل هذه المعارف التطبيقية وعلى نماذج الدفاتر والسجلات التى كانت تطبعها وتصدرها وتوزعها مصلحة التعاون فى مكتبة عبد اللطيف فهمى عامر المودعة مقر الجمعية العربية للعلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين.

طلبت جامعة الدول العربية من الأستاذ عبد اللطيف بك عامر مدير مصلحة التعاون أن يرشح لها من يشغل منصب العميد فى معهد التعاون التابع للجامعة العربية فنقل الرجل هذه الرغبة إلى صديقة الأستاذ الجليل أحمد أبو الغار ـ وكان وقتها مديرا لقسم التعاون بالبنك ـ فرشح له الأستاذ الدكتور جابر جاد عبد الرحمن قبل أن يتبوأ منصبه مديرا لجامعة القاهرة، ومن هنا بدأ الاتصال الرسمى المباشر بين الأستاذ الفاضل الدكتور جابر جاد وبين الحركة التعاونية، وكان قد أصدر أول كتاب له عن اقتصاديات التعاون الذى حصل به على جائزة الدولة .(ليست التشجيعية ولا التقديرية فإن هذا التقسيم لم يكن قد تم). ثم التحق الدكتور جابر بلجنة التعاون بالاتحاد القومى فى عهد رئاسة السيد كمال الدين حسين هذا الاتحاد وكان مقرر اللجنة الأستاذ الزميل بهجت رمضان، وكان رأى الدكتور جابر المعلن فى هذه اللجنة أن الدولة ليست فى حاجة إلى معاهد خاصة للتعاون اكتفاء بمراكز التدريب وأخصها المركز الثقافى فى سيدى بشر، وتمر الأيام ويصبح الدكتور جابر نفسه ضمن أساتذة المعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية الذى كان من رأيه أن الدولة ليست بحاجة إليه.

بعيدا عن الجماهير:

لم يكن عبد اللطيف عامر من الرجال ذوى الميول أو الاهتمامات بالاتصال الشعبى بالجماهير، كان يعيش حقيقة فى صومعة عالية أو فى برج عاجى، لم يكن انطوائيا كما قد يبدو من هذا الكلام، لكنه كان أكثر ترفعا عن الاجتماعات الجماهيرية التى تتصف عادة بالصخب والأصوات العالية، كان يتجنب مواقف الزلل، كان عالما فى صومعته، ولكنه كان أقدر على التطبيق من خلال الدروس والنصائح والتعليمات والقرارات التى كان يصدرها من مكتبه ويطلق لتلامذته العنان فى التطبيق.

تحية للرجل الذى عانى سنوات طويلة من مرض طويل مؤلم كف فيه عن الكلام وكف فيه عن الكتابة وربما كف فيه عن الحركة، وضاعت ذاكرته فى عداد النسيان، كما ضاع فى عداد النسيان أو كاد جهده الذى بذل وعلمه الذى أعطى، وخلاصة القول فيه أنه كان فى ميدان التعاون المنظم الأول بعد أن سبقه إلى العلم والعمل فى هذا الميدان المعلم الأول الأستاذ الدكتور إبراهيم رشاد.

من أجل كل هذه القيم استقرت مكتبه عبد اللطيف فهمى عامر :من أسرته الفاضلة ــ فى مكان كريم من مكتبة الجمعية العربية للعلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين.

وقريبا نعلن عن يوم مشرق يتم فيه الاحتفال رسميا مع أفراد أسرته ومع قيادات التعاون بافتتاحها منهلا خصبا لكل طالب علم.

أحمد الدمرداش تونى

الشمروخ القدم من الصعيد

لو قلت أنه فارس، لم أنصفه، لو قلت أنه مبارز، لم أنصفه لو قلت أنه تمثال رمسيس الثانى قدم من الصعيد لتوه تحدوه مواكب النصر وتزفه عبقرية الرياضة، وعلى رأسه تاج اسمه التعاون لو وضعت على رأسه تاجا آخر اسمه الديمقراطية، لأصبح لقبه صاحب التاجين.

المناضل الذى أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا فى الساعة الثانية صباحا بإحالته إلى المعاش وهو فى سن الخمسين، ثم أعاده بقرار جمهورى خطه توفيق عبد الفتاح وزير الشئون الاجتماعية فى مكتب عبد الناصر وهو عائد من السعودية لتوه كرئيس لبعثه الحج.

الرجل الذى انتزع من مصلحة التعاون رفقا به وإشفاقا عليه وحماية له من نفسه الشجاعة وقلبه الجسور ليودعوه ساحة الإستاد الرياضى فى مدينة نصر كأول مدير له ليكون مفخرة فى الأولمبياد الدولى وليأخذ مكانه نائبا لرئيس الأولمبياد فى العالم، ويضيف وساما لامعا وجديدا على صدر مصر.

هذا هو أحمد الدمرداش تونى الذى أقدمه اليوم تحت عنوان الشمروخ الذى قدم من فرع باسق من فروع شجرة الزان الصلبة، أصلها ثابت وفرعها فى السماء، يذود بها الرجل عن أرضه وقيمه.

عضو مجلس الشعب المناضل وعضو مجلس الشورى الحامل وحده لواء التعاون تحت عنوان تقرير أعده المجلس وشارك فى الإعداد له التعاونيون وصاغه هذا الرجل العملاق بقلم المقرر، فجاء وثيقة ما زال التعاونيون فى مصر ينهلون من معينها ويرتوون من نبعها ويقفون أمامها مبهورين.

الصديق الذى يشارف الخامسة والثمانين من العمر يعكف على التأليف وكتابة الذكريات فى برج عال من أبراج منشية الصدر، ذات الحي الذى قضى فيه عبد الناصر العظيم زهرة حياته وكأنما كانا على ميعاد.

ليست كل هذه الخواطر من ذاكرتي، وإن كانت ذاكرتي لم تخنى يوما فى استيعاب هذه الخواطر، ولكنى أكتب وشريط التسجيل الذى سجلت فيه بعض وقائع هذا التقرير يرن فى أذنى، كان أحمد الدمرداش تونى يواصل حديثه فى غرفة نومه على مقعد متحرك، وكنت استمع وأسجل فى ذاكرتي، بينما كان ولدى المستشار أحمد شمس الدين خفاجى نائب رئيس مجلس الدولة يعنى بجهاز التسجيل، وفنجان القهوة ما زال أمامى.

بدأ حياته السياسية عضوا فى اللجنة العليا للطلبة وهو أحد فرسان كلية الزراعة شهد وخطط لأحداث ثورة سنة ١٩٣٥ التى فتح فيها البوليس نيرانه على الطلبة وهم معلقون فوق كوبرى عباس بعد صدور الأمر بفتحه لإحكام الحصار حولهم، سعيد الحظ من قذف بنفسه فى النيل والأكثر سعادة من استشهد منهم برصاص المصريين،

عبد الحكم الجراحى وعبد المجيد مرسى وغيرهما، ونجا أحمد الدمرداش تونى بحياته ليكمل القصة.

قال:

سافرت إلى إنجلترا، منحنى الدكتور إبراهيم رشاد كتاب توصية إلى عميد كلية التعاون فى مانشستر مستر كاسل، وكالتعليمات توجهت إلى المستشار الثقافى للملكة المصرية وكان إنجليزيا، قال نحن لا نحب التعاون أختر لنفسك أى نوع آخر من الدراسة، رفضت وتوجهت إلى العميد فرحب بى وهو يرحب فى الحقيقة بكتاب الدكتور إبراهيم رشاد، قال الرجل اعتبر نفسك فى الكلية، كان عمره ٧٤ عاما وكنت لا أتجاوز الرابعة والعشرين، كان الدكتور يحيى الدرديرى أستاذا لى، قدم إلى كتابا له لخص فيه الحركة التعاونية فى العالم، الفضل له على وللدكتور رشاد.

كان الدكتور الدرديرى ممثل الحركة السرية للحزب الوطنى فى أوروبا ولما عاد أراد أن يخدم شباب وطنه، التقى على هذه الفكرة معه الأستاذ الثائر محب الدين الخطيب (صاحب المطبعة السلفية بالروضة فيما بعد) والشيخ الوقور الخضر حسين أفضل من تولى مشيخة الأزهر ــ وهو من تونس ــ عينه الرئيس محمد نجيب عقب قيام الثورة، الأول والأخير بين شيوخ الأزهر الذى قال لا، واستقال لفوره.

أسس الرجال الثلاثة جمعية الشبان المسلمين، كانوا شيوخا أفاضل وكنت الشاب الوحيد الذى وقع على عقد التأسيس، وفيما بعد أصبحت بالانتخاب عضوا بمجلس الإدارة، وصار الدرديرى مراقب الجمعية لأن ثلاثتهم اختاروا واجهة عظيمة لرئاسة الجمعية هو الدكتور عبد الحميد سعيد أحد أساطين الحزب الوطنى وممثل الحزب فى البرلمان طوال حياته، فيما بعد أصبح تشكيل مجلس الإدارة بالتعيين جاءوا بالدكتور إبراهيم الطحاوى رئيسا للمجلس.

وعاد أحمد الدمرداش تونى إلى إنجلترا فى بعثة تدريبية عن التعاون، كان ذلك قبل الثورة، قامت الثورة وهو على غير أرض وطنه وكان هو الذى رشح للسيد جمال سالم كلا من سعد هجرس ومحمود فوزى لقيادة التجربة الجديدة فى الإصلاح الزراعى، على اختلاف جوهرى بين الرجلين!

وفى إحدى زياراتى لإنجلترا بعد الثورة فى بعثة لمكتب العمل الدولى استقدمت الحكومة المصرية خبيرا بريطانيا اسمه مستر هول، كلفت فوزى بمصاحبته وقلت له فى رسالة إليه ضع عينيك عليه فى كل خطواته، كان الخبير يسأل الفلاحين أسئلة خبيثة وكان الفلاحون يجيبون عليه إجابات ساذجة، ولكن فوزى الذى تولى الترجمة كان ينقل إلى الفلاحين الأسئلة كما يريدها وينقل إلى الخبير الإجابات كما يجب أن يسمع، ثم يضيف، إن فوزى يعتبر إبنى، وفى الجمباز بالذات، واختبرته أكثر من مرة فى مهام كثيرة فنجح، كانت زيارة الخبير الإنجليزي إحداها.

ولكن خطأ محمود فوزى الحقيقى مسايرته للنظام والسلطة، ومن الأخطاء الصغيرة توزيع حدائق أنشاص بالذات على الفلاحين وكان أفضلها موحدة فى ضوء الجدوى الاقتصادية.

قلت له وما قولك فى تعاون الإصلاح الزراعى؟

قال إن النظام الرأسمالى يرفض التعاون، وكذلك النظام الاشتراكى، والنظام الرأسمالى يخشى تجمع العمال والفلاحين الذين وجد التعاون لتكريس ودعم جهودهم ونضالهم، والنظام الاشتراكى خطوة متقدمة عن التعاون لا يجب أن يشده النظام التعاونى إلى الوراء.

لهذا فإن كل الحكومات تكره التعاون وتحاربه، قبل الثورة كان التعاون لكبار الزراع وليس للفلاحين، أنشأ إسماعيل باشا صدقى بنك التسليف ليخفف الأعباء عن كبار الزراع

وكان نظام البنك يعتبر أن من يملك خمسين فدانا من صغار الفلاحين الأولى بالرعاية، وكان العمد هم رؤساء الجمعيات التعاونية، كان دور البنك مساعدة أعضاء حزب الشعب على النجاح فى الانتخابات بتقديم الدعم لهم، ولا تصدق أن ـــ المهندس سيد مرعى تعاونى، أبحث عن هويته تعرف مكانه!!..

إن الذين استخدموا التعاون فى ظل أى نظام اجتماعى آخر استخدموه كديكور أكثر منه كواقع.

أنظر ماذا صنعت الحكومة بك قبل الثورة، اعتقلوك وأدخلوك السجن أكثر من مرة، وكررت بعد الثورة هذه الصورة بالنسبة لرئيس وأعضاء الاتحاد التعاونى الزراعى كما تكررت معك الصورة فى الإسكان، وأين موقعك الآن من التعاون؟ والأمثلة كثيرة وأصبحت الصورة الآن إن كل اتحاد تعاونى دوره التسبيح بحمد الوزير الذى يتبعه، وينافق الجهة الإدارية المختصة !!وإلا...؟

اشتركت مع الدكتور الدرديرى فى تأسيس الجمعية التعاونية المترلية لمحافظة القاهرة وكان مقرها فى ميدان الأوبرا قبل أن يتولى رئاستها ـــ فيما بعد عبد الله بك فكرى أباظة. ماذا حدث بعد الثورة؟

أممت الحكومة الجمعية التعاونية للبترول، الجمعية التى كان لها اسم ظاهر فى المؤتمرات الدولية، والجمعية التعاونية للاتجار بالجملة، والجمعية التعاونية الإنتاجية للأدوية المؤلفة من صيادلة مصر العظماء ليجعل من معاملها نواة لصناعة الدواء المؤممة فى مصر، وأخيرا الاستيلاء على مقار الجمعيات الزراعية واغتصاب اختصاصاتها بقوة القانون الرأسمالية تعنى سيطرة رأس المال على الحكم، وليس التعاون كذلك، عندما قام عمر لطفى بدعوته لم يلجأ إلى الحكومة ولكنه خاطب وجدان الجماهير.

وعندا أرادت الحكومة أن تضع التعاون تحت قدميها أعد المستشار الإنجليزي لوزارة المالية مشروع قانون سنة ١٩١٤.

وهذه العبارة ليست من عندى، هى سطور فى مقال نشرته آنذاك جريدة الجازيت التى كانت تصدر بالإنجليزية!!..

أنظر إلى قوانين التعاون من سنة ١٩٢٣ حتى اليوم، وحتى الغد، الجهة الإدارية المختصة لها اختصاصات مضافة حتى تظن أن القانون يكاد يتوجها، أما الشعب فلا.

ثم أضاف، والغريب أن عضو مجلس الإدارة إذا أخطأ أسقطت عنه العضوية إداريا وربما قدم للمحاكمة الجنائية أما إذا انحرف رجل الإدارة بالسلطة ربما منح مكافأة!.

لذلك، فعندما عرض المهندس سيد مرعى مشروع قانون التعاون الزراعى معدلة نصوصه عما أعدته لجنة التعاون بالاتحاد الاشتراكى بتعديلات خطيرة من شأنها المساس بهذا المشروع وبصحيح مسيرة الديمقراطية فإن الدكتور محمد لبيب شقير رئيس مجلس الأمة آنذاك أوشك أن يهاجمنى ويوقف حملتى لتصحيح مسار المشروع فخرجت من المجلس غاضبا.

وفى اليوم التالى جاءنى من يطلب منى مقابلة الدكتور لبيب شقير فى مكتبه كأمين عام للجنة الاقتصادية بالاتحاد الاشتراكى وهدأ من نفسى وقدم لى ترضيه اعتبرتها كافية، وعندما هممت بالخروج من مكتب الدكتور شقير سألنى مدير مكتبه وأنا أمر به ماذا حدث يا أستاذ أحمد؟

قلت له لقد أرضانى الدكتور بما فيه الكفاية.

قال مدير مكتبة وهو يبتسم، أعرف ذلك فإن الرئيس جمال عبد الناصر من خلال متابعته للجلسة أغضبه ما حدث من رئيس المجلس وطلب إليه أن يهدئ نفسك ويطيب خاطرك، وها قد فعل!!

وللتاريخ كنت ـــ أعنى شخص الكاتب ـــ قد أعددت هذا المشروع فى لجنة التعاون بالاتحاد الاشتراكى كمستشار قانونى للجنة، ودعانى الدكتور شقير فى مكتبه بمجلس الشعب وكان يجلس على الطاولة إلى جانبه السيد كمال الدين الحناوى وكيل المجلس وبعد أن فرغنا من مدارسة المشروع قال لى الدكتور شقير :لقد جعلت المهندس سيد مرعى ـــ وكان وزيرا للزراعة يبصم على مشروعك بالعشرة.

ولكن عندما صدر التشريع لم أجد فيه أثرا لتوجهاتى، والتقط الأستاذ أحمد الدمرداش تونى الكلمة فقال:

هذا، أنا أقول إن الديمقراطية هي المبدأ الرئيسي من مبادئ التعاون، أين الديمقراطية ــ مثلا ــ في جمعيات الإصلاح الزراعي، أليس المشرف الزراعي له حق الفيتو وله كذلك حق التوقيع على الشيكات وأذون الصرف..؟

عندما كنت في باريس ١٩٣٧ حضرت مؤتمر حلف التعاون الدولي الذي عقد هناك وحضرته الصفوة من قيادات التعاون في العالم، قالوا فلنضع تقنينا لمبادئ التعاون، لم يجدوا في أفكار روبرت أوين منذ مائة عام أو أكثر شيئا يستندون إليه، كانت حركة أوين ووليم كنج تقوم على الإحسان والتعاطف، أهدرت الحركة مائة عام من عمرها دون أن تحقق شيئا قبل رواد روتشديل العظماء.

إن رواد روتشديل العظماء هم الذين وضعوا المبادئ وطبقوها، مبدأ الحياد الديني والسياسي هو أحد تطبيقات مبدأ الديمقراطية، أي المساواة في الحقوق والواجبات بغير تفريق على أساس الدين أو الجنس أو المذهب السياسي.

كذلك التعليم التعاوني هو أحد تطبيقات مبدأ الديمقراطية لأنه بغير التوعية التي تقوم على التعليم والتدريب لا يستطيع المواطن ممارسة حقه الديمقراطي بوعي وتفهم.

ومبدأ البيع بالنقد كانت له مبرراته وعفى الزمن في ظل قواعد الائتمان، خاصة في التعاون الإنتاجي الذي يوفر مستلزمات الإنتاج حتى تأتي مرحلة التسويق.

ثم إن التسويق التعاوني في الزراعة ضحك على ذقون السذج البسطاء، لأنه تسويق إداري، كل دور الجمعية التعاونية أن تخرج للحكومة الكستناء من النار نظير الفتات الذي لا يرد على المنتج فائض عمله وكذا أيامه.

لذلك عني الدكتور الدرديري بإنشاء أول فصول للتعاون، وكان يدرس فيه كتبه التي تنطوي على الفكر المستنير، كان يربط بين التعاون والهداية التعاونية، وهذا هو عنوان أول مجلة أصدرها الاتحاد التعاوني بالقاهرة تحت رئاسته وكنت أحد معاونيه.

كان الدرديري يقول لي، إن الحرية ألا تكون عبدا عاله، والاستقلال ألا تكون عبد حاجة، وهذا هو ما يوفره التعاون.

والدكتور رشاد هو الذى رشح مساعده الأيمن، فى المجال الشعبى أعـنى الدكتـور الدرديرى ليكون رئيسا لقسم التعاون فى بنك التسليف، وهو الذى وضع العلامات الأولى على طريق تحويل البنك إلى بنك تعاونى.

ويرى الأستاذ أحمد الدمرداش تونى أن التمويل للحركة التعاونية ينبع من داخلها لا من بطن الحكومة، لذلك يرى عدم الجدوى فى تحويل بنك التنمية والائتمان إلى بنك تعـاونى خالص، هذه التجربة عندما قدر لها شئ من النجاح ضربت فى مهدها وتمخضـت عـن لا نتيجة، وأممت حكومة الثورة أسهم التعاونيين فى البنك!!..

البنك التعاونى نشأ منذ البداية تعاونيا من أموال التعاونيين ولسنا فى حاجة إلى دعـم مالى من الدولة، والأرقام والأرصدة معروفة، ومسجلة.

وهذا ما سجله الأستاذ أحمد الدمرداش تونى فى التقرير الرائع عن التعـاون الـذى أصدره مجلس الشورى وكان مقررا للجنة الدراسة.

ثم أين تطبيق مبدأ العائد على المعاملات، إن فائدة رأس المال لا تكفى، ولكن أيـن العائد الذى يمثل مقابل الإنتاج أو فائض التوزيع؟

من أجل صعوبة احتساب العائد فإن مفتشى وزارة الشئون الاجتماعية ومن جـاء بعدهم يهربون من مهمة توزيع العائد إلى استصدار قرارات من الجمعيات العمومية بإضافته إلى حساب الاحتياطى فى ظل قانون معين أو إلى حساب الخدمات الاجتماعية فى ظل قـانون آخر!

مع أن سبل احتساب العائد فى التجارب العالمية كثيرة وميسورة!!..

أما احتساب العائد فى بعض الجمعيات على أساس نسبته إلى مرتب كل عامل مـن أعضاء الجمعية فهى حيلة لمنافقة كبار العاملين.

قلت ولماذا اعتقل الدكتور رشاد ووضع فى معصميه القيد الحديدى فى آخر أيامه؟

قال، ألم أقل لك، لقد دافع الرجل عن قضيتين أساسيتين الأولى إنشاء البنك التعاونى والثانية إنشاء الاتحاد التعاونى العام، انتهزوا فرصة أنه من المتعاطفين مع جماعة أنصار السلام الموصوفة بالميول اليسارية، وهى لم تكن كذلك ووضعوا القيد الحديدى فى معصميه رمـزا لتقييد حريته فى التعاون.

الدكتور رشاد قدم للحكومة مشروع القرية السعيدة التى لا ينبغى أن يعيش فيها إلا من هى فى حاجة إليه، الطبيب، المهندس وأنه ينحو نحو المزرعة الجماعية فصادرت المشروع لساعته.

استطاع الدكتور رشاد أن ينفذ بهذا المشروع إلى الملك فاروق عن طريق ابن أخيه الدكتور يوسف رشاد باشا طبيب الحضرة الملكية، وليس كما يظن البعض عن طريق أخته ناهد هانم رشاد وصيفة الملكة، ولكن المشروع لم يقدر له النجاح مرة أخرى للسبب نفسه، كان الرجل سابقا عصره، وكان شجاعا بين الشجعان، وكان يختصنى بصداقته رغم فارق السن وفارق الرتبة.

ويروى الأستاذ أحمد الدمرداش تونى حكايته مع الرئيس جمال عبد الناصر، قال: عندما عدت من إنجلترا بعد الثورة استدعيت لمقابلة أعضاء مجلس قيادة الثورة، ولكنى رفضت مقابلة البكباشى عبد الناصر واستقبلنى اللواء محمد نجيب الذى كشف عن عدم معرفته بأمور كثيرة فلم أجد بدا من الاستجابة لنداء البكباشى عبد الناصر، ودار الحوار الآتى:

قال :يا تونى أنت أستاذى

قلت :أنا لم أشتغل بالتدريس.

قال :بالرياضة.

قلت :إذا كان ذلك فهذا صحيح.

قال :وفى الوطنية.

قلت له :كيف؟

قال :ألا تذكر المحاضرات التى كنت تلقيها فى القومية العربية وفى الوطنية، وفى الدعوة إلى الاستقلال ومقاومة الاستعمار فى ندوات سرية؟

قلت :هذا صحيح.

قال :أنا تلميذك.

قلت :بهذا المفهوم وهذا يشرفنى.

قال لى الأستاذ أحمد الدمرداش تونى، عبد الناصر كان مظلوما، كان يضلل بـــه فى بعض الأحيان.

أصدر مرة ــ لوشاية ــ قرارا جمهوريا فى الساعة الثانية صباحا بإحالتى إلى المعاش فى الخمسين ــ وكان هذا جائزا.

فلما أراد توفيق عبد الفتاح وزير الشئون الاجتماعية مقابلته لصحيح المعلومة رفض مقابلته عدة أشهر.

ويتصادف أن يسافر توفيق عبد الفتاح إلى السعودية رئيسا لبعثة الحج فلمـــا عـــاد استقبله بالضرورة الرئيس جمال عبد الناصر.

قال توفيق عبد الفتاح للرئيس، أو لم ترض عن أحمد الدمرداش تونى.

قال :هو أسمه التونى والا تونى؟

قال الوزير :اسمه تونى.

قال :وماذا قالت عنه تقارير المخابرات؟

قال :خيرا، منذ ميلاده حتى سفره إلى إنجلترا وحتى اليوم.

قال :أكتب يا توفيق الآن قرارا جمهوريا بالعودة إلى عمله.

وعدت بعد توقف لبضعة أشهر، ولكن ليس إلى التعاون ولكن لأكون أول مديـــر للإستاد الرياضى، فهذه هى هوايتى الأولى، وساهمت بكل طاقتى فى تأسيس الإستاد أيضا، أما لماذا كان قرار الإحالة إلى المعاش؟

لقد وجدت فى ميزانية بنك التسليف فرقا قدره مليون ونصف مليون جنيه بالزيـــادة الصورية فى صفقة سماد فلما أردت أن أفضى بهذه المعلومة إلى الوزير وأراد هو أيضـــا أن ينقلها إلى المسئولين قال لنا ــ نحن الاثنين ــ الأستاذ مراد رئيس بنك الدلتا الآن وهو شقيق السيد مصطفى كامل مراد، (أبعدوا أنتما الاثنان عن هذه المشكلة)، ولم أبعد وابتعد الوزيـــر وكانت الفتنة ثم كان قرار الإحالة إلى المعاش.

من بين أسباب الفتنة كذلك أننى واجهت الجميع بأن بنك التسليف يتقاضى مـــن الفلاحين تحت مسميات مختلفة نسبة فائدة أعلى مما يحصل عليها بنك تجارى، لقد تجـــاوزت الخط الأخضر.

وفى مجال الرياضة قلت لوزير الزراعة :لا تستطيعون توصيل الإرشاد إلى الفلاحين من خلال الموظفين، دعونا ننشئ نوادى القرى لتكون همزة الوصل بين الإرشاد والفلاحين، وأنشئت ألف وخمسمائة جمعية زراعية جديدة مصحوبة بألف وخمسمائة نادى ريفى ثم توجت هذا النشاط باتحاد الأندية الريفية الذى كان يقف فيه إلى جانبى صديقى محمد الجمل، من ألمع قيادات التعاون.

كنا نقيم دورى للنوادى الريفية بقرية القرنة الجديدة التى أقامها المهندس العظيم حسن فتحى فى الأقصر.

ووجدت أن لعبة التحطيب بالعصا لها أصول فى وجه بحرى تختلف عنها فى الوجه القبلى، لا جناح على اللاعب الصعيدى إذا ضرب منافسه على الرأس ويسمونها الجوهرة، وهذا غير مسموح به فى الوجه البحرى وفى أحد الاحتفالات ضرب فلاح صعيدى فلاحا من الوجه البحرى على رأسه فأدماها فقامت الواقعة، ليس لها من دون الله كاشفة.

ووجدتنى أقفز من مكانى إلى قلب الساحة المستديرة والعميقة على طريقة المسرح الرومانى بالإسكندرية ووقفت حائلا بين الفريقين.

وفاز أبن بحرى لخطأ أبن الصعيد، وكانت الجائزة عجلا صغيرا أبى أبن ميت يعيش إلا أن ينقله معه فى قطار الركاب إلى بلده، وانتهت المسرحية، وكنت أنت شاهدا عليها.

هذا لم يمنع أن وضعنا فيما بعد نظاما جديدا للعبة نقرب به بين الأسلوبين، أسلوب الصعيد وأسلوب وجه بحرى، ونجحنا ولم تتكرر المأساة مرة أخر، لقد اشتغل أحمد الدمرداش تونى بالرياضة التى يسميها الجمباز، وحقق لمصر بطولات كثيرة، وانتهى به المطاف رئيسا فخريا للجنة الأوليمبية المصرية منذ ١٩٦٦ ثم عضوا باللجنة الأوليمبية على مستوى العالم حتى اليوم.

طاف بكل دول العالم تقريبا، وعاد منذ قريب من رحلة أخيرة لليابان.

ولما وجدتنى قد أثقلت عليه الحديث وفرغ شريط التسجيل ومدته ستون دقيقة، عدت لاحتساء فنجان القهوة بينما أشار هو إلى أحمد خفاجى ليحضر له من مكتبه بغرفة نومه كتابا من تأليفه هذا عنوانه :الرياضة عند قدماء المصريين علمت أنه ترجم إلى الإنجليزية والألمانية واليابانية، قدمه إلى وهو يكتب فى صدر صفحاته هذه العبارة الكريمة:

إلى الصديق المحارب شمس الدين خفاجى تحية وتقديرا لروح التضحية الواضحة فى حياته ولبصمته البارزة على الحركة التعاونية تشريعا وتخطيطا وتطبيقا "أحمد الدمرداش تونى".

وانصرفنا وأنا أحس أن لدى الرجل الفاضل أقوالا كثيرة يتم بها رحلة حياة لم تكتمل بعد.

وعدت لأروى لكم بعض فصول القصة، وما زال فى شريط التسجيل بقية، إذا كان ما زال فى العمر بقية.

محمود فوزى

الولد الشقى فى الحركة ا لتعاونية والعنوان الطيب للإصلاح الزراعى

فى سنة ١٩٤٣ التقيت بالمهندس محمود فوزى إبراهيم طالبين فى مدرسة الفيوم الثانوية .لا أستطيع الآن تقييم النشاط العلمى للطالب محمود فوزى المعروف بين الطلبة بإبن حكمدار الفيوم اللواء فوزى بك إبراهيم لأنه كان يسبقنى فى الدراسة بعام كامل ولكنى كسائر الطلبة كنت من المعجبين بالرياضى محمود فوزى الذى كان أسطورة فى الجمباز وبالأخص فى العقلة والمتوازيين والحصان ...وكان محمود فوزى يقول أنه كان يواصل ألعابه الرياضية فى كلية الزراعة بجامعة فؤاد الأول بينما كان يلتقى فى ساحة الألعاب الرياضية بالكلية مع جمال عبد الناصر الطالب وقتئذ بكلية الحقوق وتوثقت بينهما الصداقة منذ ذلك الحين حتى التقيا مرة أخرى بعد الثورة فى قرى الإصلاح الزراعى عندما كان محمود فوزى مديرا للتعاون بالإصلاح وكان يشهد الاحتفالات التى يقوم فيها الرئيس جمال عبد الناصر بتوزيع عقود التمليك على الفلاحين.

ومحمود فوزى الذى يعمل الآن نائبا لرئيس تحرير جريدة الأحرار هو فى نفس الوقت خال زعيم الحزب الأستاذ مصطفى كامل مراد وهو فى ذات الوقت رئيس تحرير جريدة الفلاح المصرى التى يصدرها الحزب منذ بضعة أشهر ..أقول محمود فوزى هذا الذى تجاوز الخامسة والسبعين من عمره ويحتفل الآن بعيد ميلاده الماسى هو الابن الملازم للمهندس سيد مرعى منذ أن كان مسئولا عن الإصلاح الزراعى فى مصر ورشحه له المهندس أحمد الدمرداش تونى فى قول والسيد جمال سالم المسئول الأول عن الإصلاح الزراعى فى قول آخر.

محمود فوزى ضمن أربعة رجال هم محمد صبيح، سعد هجرس، وأمين زاهر يستطيعون دون غيرهم دخول غرفة المهندس مرعى كل صباح لتناول الشاى والإفطار قبل أن يتوجه كل منهم إلى مكتبه.

ولكن محمود فوزى وحده هو الذى كان يسند ظهره إلى مكانة المهندس سيد مرعى وقدراته ويتعامل مع الغير على هذا الأساس.

عندما كنت مستشارا للمهندس سيد مرعى رئيس المؤسسة العامة التعاونية الزراعية رشحت له المرحوم المهندس عبد المقصود عزت للنقل من وزارة الشئون الاجتماعيـــة إلى المؤسسة ولما اعترض عليه محمود فوزى ابتسم المهندس سيد مرعى وقال أنا الوحيد الــذى أستطيع أن أروض هذا النوع من الكفاءات ودليلى على ذلك محمود فوزى نفسه .ونقل عبد المقصود عزت إلى المؤسسة ليشغل منصب السكرتير العام ويصبح المحرك الكبـير فى آلــة الحركة التعاونية الزراعية وكما هو معلوم فهو أحد زملاء المهندس سيد مرعــى فى كليــة الزراعة حيث كان يتولى تدريس مادة التعاون لهما المغفور له الدكتور إبراهيم رشاد.

المهندس محمود فوزى أو الولد الشقى فى الحركة التعاونية لا تخلو معاملاته من مقالب بعضها ظريف وبعضها مؤلم وقد تعرضت أنا شخصيا لأحد هذه المقالب عندما خرج المهندس سيد مرعى من وزارة الزراعة وحل محله الدكتور محمد نجيب حشاد وأصبح بهذه الصفـــة رئيسا للمؤسسة أقنعنى محمود فوزى بالاستمرار فى إعارتى مستشارا للمؤسسة باعتبارنا نحن الاثنين من معاونى المهندس سيد مرعى وطلب منى تحرير مسودة خطاب يصدر من الوزير إلى رئيس قلم قضايا الحكومة بتجديد الإعارة سنة أخرى وفى نفس الوقت كان قد رتب مـــع الوزير عدم التجديد اكتفاء بزميلى المستشار محمد عبد الرسول الذى كان مستشارا للوزارة وليس للمؤسسة وأبلغنى بهذا المقلب المهندس عبد العزيز محيى الدين وكيل الوزارة ومديــر مكتب الوزير .وقد بلغ بى التأثر مبلغا غادرت فيه مكتبى بالمؤسسة إلى منزلى مترجلا الـدرج دون انتظار وصول المصعد.

ويروى محمود فوزى هذه القصة الآن وهو يضحك ضحكاته العالية المجلجلة التى يرن صداها فى جنبات أى مكان موجود به ـــ ومن جهة أخرى اعتبرت هذا المقلب ردا علـــى مشروعات القرارات الوزارية التى كان يعدها ويحصل على توقيع المهندس سيد مرعى عليها من وراء ظهرى والتى كنت فى أكثر الأحيان أتسبب فى سحبها بوجه حق أو إلغائها عندمــا كنت أوضح بحماس وغضب مدى ما تضمنته هذه القرارات من أخطاء وربما من مخاطر.

ولعل هذه الواقعة أغضبته كذلك.

حدث عندما أنشئت المؤسسة العامة التعاونية الزراعية أن اتفق على تعيـــين نـــواة العاملين فيها من جهتين الجهة الأولى الإدارة العامة للتعاون بوزارة الشئون الاجتماعية، وقد

كان لى رأى فى اختيارهم، والجهة الثانية الإدارة العامة للتعاون بالهيئة العامة للإصلاح الزراعى وهى الإدارة التى كان يديرها المهندس محمود فوزى قبل ندبه مديرا للمؤسسة.

وحدث أن اختلف المهندس سعد هجرس مدير عام الإصلاح الزراعى مع المهندس محمود فوزى حول من من العاملين يبقى فى الهيئة ومن منهم ينقل إلى المؤسسة واحتدم الخلاف بين الرجلين كل منهما يريد أن يحظى بأفضل العناصر.

وطلب المهندس سعد هجرس الاحتكام لى فى توزيع العاملين بين الجهتين باعتبار أننى مستشار الهيئة وفى نفس الوقت انتدبت مستشارا للمؤسسة وأعددت قائمتين، وطلب من المهندس محمود فوزى أن يختار إحداهما فاختار ولكن على مضض فقد كان يريد تصنيف قائمة متميزة للعمل معه فى المؤسسة .بينما قبل المهندس سعد هجرس القائمة الأخرى وكله ارتياح لهذا الحل.

إن محمود فوزى يغلب مرحه على وقاره .ولذلك لم يكد يتخلى عنه منصبه حتى تجمد عند هذا الحد .إلا ببعض النشاط الصحفى الحزبى، بينما وصل سعد هجرس إلى القمة رئيسا للجنة الزراعة والرى بمجلس الشورى ونقيبا للزراعيين ومشاركا فى جميع الندوات وحلقات النقاش التعاونية وبخاصة فى مجال الزراعة ثم أنه عضو مرموق فى المجالس القومية المتخصصة وله مكتب استشارى موفق .إن ما بينى وبين محمود فوزى وحتى الآن حب من جانب واحد، أنا كنت هذا الجانب!!..

المهندس محمود فوزى مهما اختلفت معه وكثيرا ما تختلف فإنك لا تملك إلا أن تحبه وتكون سعيدا عندما تجلس إليه وتسمعه يتكلم عن التعاون الزراعى وبوجه خاص فى الإصلاح الزراعى فقد كان فى وقت ما المسئول الأول عن التعاون فى الإصلاح الزراعى وفى وقت ما المسئول الأول عن التعاون الزراعى فى مصر.

المهندس محمود فوزى متأثر بنظام التعاون بالإصلاح الزراعى يؤمن بيد الحكومة القوية على الجمعيات التعاونية وهو يؤمن بالمشرف الزراعى صاحب حق التوقيع على الشيكات والصرف وبالتالى فحديثه عن ديمقراطية الإدارة ليس حديثا من القلب.

وفى الندوة التى دعوته إليها بصفتى رئيسا للجمعية العربية للعلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين بالتعاون مع مؤسسة فريد ريش ناومان وعقدت فى قاعة أحمد يونس فى

الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي يومي ٢٠، ٢١ من شهر نوفمبر ١٩٩١ دعوته إلى الحديث فأفاض في الدفاع عن الديمقراطية بينما كنت أواري وجهي ببضع ورقات لاستطيع أن أضحك ولكنه في نفس اللحظة أثار انتباه الحاضرين من الفلاحين الذين كان يخاطبهم دائما في بابه الخاص بجريدة التعاون تحت عنوان ..إخواني الفلاحين ..سلاما وتحية.

المهندس محمود فوزي شريك في إصدار وإدارة وتحرير جريدة التعاون الزراعي في المعهد العالي للتعاون الزراعي حينما كان مديرا للمؤسسة التعاونية وعضوا بمجلس إدارة المعهد كما أنه كان عضوا بمجلس إدارة معهد التعاون التجاري منذ إبريل سنة ١٩٦١ بقرارين من المهندس سيد مرعي وزير الزراعة والإصلاح الزراعي المركزي ورئيس المؤسسة العامة التعاونية الزراعية التي أطلق فيما بعد عليها اسم الهيئة العامة للتعاون الزراعي وحلت محلها الإدارة المركزية للتعاون الزراعي بوزارة الزراعة حتى اليوم!!

حصل المهندس محمود فوزي على بكالوريوس الزراعة بجامعة فؤاد الأول ثم تخرج بجامعة بركلي بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥١ والآن أستطيع أن ألخص جهود المهندس محمود فوزي في عشر نقاط أوجزها على الوجه الآتي .بعد تحقيقها بمعرفة المهندس محمود فوزي نفسه:

١ ــ وضع نظام توزيع أراضي الإصلاح الزراعي وقام بتوزيع أرض الإصلاح أول دفعة يوليو ١٩٥٣ ــ الزعفران دميره ــ منيا.

٢ ــ وضع نظام التعاون في الإصلاح الزراعي من الألف إلى الياء ونفذه تماما وأنشأ الجمعيات المشتركة والجمعية العامة للإصلاح الزراعي وكان المهندس سيد مرعي رئيسها وهو سكرتيرها ونجحت لأن نظامها أخذ من الواقع والطبيعة.

٣ ــ أنشأ شركة المعمورة عندما اشترت الجمعية التعاونية العامة للإصلاح الزراعي أسهم شركة المنتزه والمقطم وكان رئيس البنك الدكتور محمد عباس زكي واشترت الجمعية الأسهم وقام بتقييمها المحاسب محمد على سليمان وكان محمود فوزي العضو المنتدب ورئيسها المهندس عزت عبد الوهاب، وكانت أرض المعمورة، مملوكة لفاروق واستولى عليها لإصلاح الزراعي إلا أنها نزعت ملكيتها من الإصلاح الزراعي بواسطة عبد اللطيف بغدادي عضو مجلس قيادة الثورة وكان وزيرا للشئون البلدية والقروية، كان سعر متر الأرض حسب

الشراء ١٥ قرشا والفدان ٦٠٠ جنيه وبجهود ناجحة وصل سعر المتر بعد ثلاث سنوات ٢٥ جنيها والآن ١٥٠٠ جنيه وحقق بعد أربع سنوات ٨٥ مليون جنيه أرباحا ناتجة عن بيع جميع أراضى المعمورة ــ وكان جزاء محمود فوزى أن أحاله السيد كمال الدين حسين عندما كان رئيسا للمجلس التنفيذى فى مصر إلى النيابة الإدارية عندما بدأ العداء بين كمال حسين وسيد مرعى ــ وحققت معه النيابة الإدارية بالإسكندرية (لو كان الأمر بيدى لأقمت لك تمثالا فى المعمورة).

٤ ــ أنشأ صندوق موازنة أسعار الأسمدة مع المحاسب يوسف اسكندر وكان تابعا لوزارة التموين فى هذا الوقت.

٥ ــ أنشأ أول مجمع استهلاكى فى مصر ــ عمارة استرا ند بباب اللوق ــ وذلك بعد أن نجح فى عمل فروع استهلاكية فى جمعيات الإصلاح الزراعى مبتدئا بالزعفران ودميره ويرجع سبب نجاح هذه الجمعيات المذهل إلى عمل استبيان لكل سكان المنطقة باحتياجاتهم، أصنافها وأسعارها وكمياتها وعلى ضوء هذه المعلومات نجحت هذه الجمعيات فطلب جمال عبد الناصر من سيد مرعى أن يقوم محمود فوزى بعمل جمعية استهلاكية فى القاهرة لعلها تنجح مثل الزعفرانه ودميره وقام فوزى بعمل جمعية تعاونية استهلاكية من موظفى الإصلاح الزراعى فى عمارة استرا ند كما أوضحنا واكتسحت هذه الجمعية السوق بأسعارها وأصنافها وبعد نجاحها أسندت هذه الجمعية إلى وزارة التموين التى كانت تملك الملايين من حصيلة بيع الشاى بعد تعبئته ــ وتوقفت الجمعية!!

٦ ــ قام بتنفيذ مشروع نواج بتجميع الاستغلال الزراعى للمحاصيل ابتداء بالقطن وأمكن لفوزى بسبب نجاح هذا المشروع فى قرية نواج بجوار طنطا بعد ٣ سنوات من عمل متواصل أمكن خلالها تجميع القطن فى زمام القرية بحيث لا تقل مساحة القطن عن ٦٠ فدانا ونفذ هذا المشروع بعد ذلك فى تلا والشهداء فى المنوفية فى العام الرابع ثم فى ١٢٠٠ جمعية فى العام الخامس ثم فى جميع أراضى الجمهورية فى العام السادس ولا يزال منفذا إلى الآن ووصفت الأمم المتحدة هذا المشروع بأنه أهم مشروع نفذ فى الشرق لأنه جمع محاسن الإنتاج الكبير والحافز الشخصى بالملكية الفردية.

٧ ــ اختارت الأمم المتحدة المهندس محمود فوزى عام ١٩٦١ ضمن أحسن ١١ خبيرا عالميا فى التعاون الزراعى والإصلاح الزراعى وضمته إلى لجنة من هؤلاء الـ ١١ فى الأمم المتحدة فى نيويورك ورفض الدكتور حشاد وزير الزراعة فى ذلك الوقت هذا الاختيار واختار د .نشرتى ليحل محله.

رفضت الأمم المتحدة ذلك الاختيار وقالت إن اختيار فوزى هو لخبرته ونشاطه المذهل فى هذا المجال وليس الاختيار عن دولة بالذات .اهتم جمال عبد الناصر بذلك وأصدر قرارا بسفر فوزى للانضمام إلى هذه اللجنة ولكن بعد فوات الأوان واختيار خبير آخر مكانه من دولة أخرى!!..

٨ ــ قام بتنفيذ مشروع ناصر لتوزيع جاموسة لكل فلاح لم يستفد من الإصلاح الزراعى وهو الذى أعلنه جمال عبد الناصر عند توزيع أراضى أدفينا وكان د .أمين زاهر مسئولا عن تربية الجاموس ومحمود فوزى مسئولا عن اختيار الفلاحين والتوزيع عليهم والرقابة على استخدام وتربية الجاموس.

٩ ــ اختارته جامعة ويسكونسن ليكون محاضرا بها لمدة ٣ سنوات عن خبرته وتنفيذه لمشروع فواج لأن المشروع قام على أساس الملكية الفردية ولو كانت مقننة مع الاستفادة من الزراعة الواسعة وهو ما تسعى أمريكا للقيام به.

١٠ ــ أول مدير للمؤسسة التعاونية الزراعية ثم حدث الخلاف بين المهندس سيد مرعى والسيد كمال الدين حسين مما أبعد فوزى عن المؤسسة التعاونية وعمل مديرا عاما للزراعة فى الجيزة ــ وتلقفته الأمم المتحدة ليعمل خبيرا بها فى الجزائر ورئيسا لمكتب الفاو بها ثم فى ليبيا كبيرا لخبراء التعاون الزراعى ثم طلب المهندس سيد مرعى عودته لمصر ليكون رئيسا للهيئة العامة للتعاون الزراعى بدرجة نائب وزير ثم التحق نائبا بالأمم المتحدة بعد احتدام الخلاف بين الحكومة وبين الهيئة والاتحاد أيام الزميل والشهيد أحمد يونس لأسباب نعلمها جميعا وكان كبير الخبراء فى الأردن وسوريا وغيرها.

إن محمود فوزى علامة من علامات التعاون المضيئة فى مصر وفى البلاد العربية وفى العالم .له صفات المصرية والعربية والدولية.

إن محمود فوزى ـــ الولد الشقى فى الحركة التعاونية ـــ له بصمات على كل شبر من أرض الريف المصرى .وله تلاميذ كثيرون تبوأ أكثرهم مراكز رئاسية ورئيسية فى التعـــاون الزراعى ليس أخرهم المهندس حسن حسنى والمهندس حسين سرى والمهندس علـــى عبـــد الرحمن.

إنه رجل عمل، يعرف كيف يعيش بشرف وأمانة، من أجل ذلك يمكن إذا ما أردت أن تلقاه أن تجده أمام مكتب صغير فى ركن من أركان مطعم وكازينو "الدوار" فى شـــارع لبنان بالمهندسين حيث يقدم الفطير المنوفى والقشدة الصعيدى، والدجاج الفيومى وفوق هذا المكتب أيضا يكتب أبحاثه ومقالاته الصحفية، وهذا سر عظمته!!

سيد مرعى

مهندس الزراعة المصرية

المهندس سيد مرعى ظاهرة غير عادية سطعت فى سماء السياسة المصرية منذ قيام الثورة حتى اعتبر واحدا من قادتها رغم أنه لم يمسك سلاحا ولم يخض معركة حربية ..واعتبر أول واحد من أهل الخبرة يأخذ مكانا مرموقا فى الصف الأول مع أهل الثقة..

بعض تلامذته يقولون أن المهندس سيد مرعى لا يعد من التعاونيين ..وبالرغم من أن هؤلاء التلاميذ استمدوا تطورهم حتى بلغوا القمة من نفوذ المهندس سيد مرعى ومن نشاطه التعاونى ..إلا أن الغرور أحيانا يصل بالأقزام إلى حد التطاول على ذوى الفضل عليهم حتى يبدو للناس أنهم فى مصاف العمالقة..

والذى يدرس أول مشروع للمهندس سيد مرعى فى الإصلاح الزراعى يجد أنه خطط للتعاون أن يأخذ الدور الأول فى المشروع ..كل ما يؤخذ على هذا التخطيط أنه منذ البداية أخذ بنظام التعاون الموجه والمخطط له ..والذى جعل المشرف الزراعى صاحب اعتراض على قرارات مجلس الإدارة ...ولا يصرف شيك من الجمعية إلا مقترنا بتوقيعه ..أخذا بذلك النظام الذى عرف فى إيطاليا بالإجبار الاقتصادى الذى بموجبه يصبح كل من انتفع بقطعة أرض فى وطنه من خلال التوزيع عضوا بقوة القانون فى الجمعية التعاونية ..ونحن نقول — وقلنا هذا فى أكثر من محاضرة وأكثر من كتاب ..لو لم تفرض العضوية على المنتفعين لانفرط العقد وتبعثرت حياته ..وانتكس نظام الإصلاح الزراعى كله منذ البداية لأن الفلاحين — وكنا نلقبهم بالمدنيين — لم يكونوا أصحاب تجربة فى الملكية ولا حتى فى الإيجار وبالتالى لم تكن لهم خبرة بإدارة المزرعة الصغيرة التى حصلوا عليها بالملكية..

من منا يوافق الآن على أن الفلاحين المدنيين لو تركوا وشأنهم فى القبول أو عدم القبول بعضوية الجمعية التعاونية كانوا يقبلون بالعضوية ..وإذا لم يتم تكافل هؤلاء الملاك داخل جمعية واحدة وضمن حيازة واحدة وضمن حيازة صادرة مشتركة لما أمكن تطبيق نظام الدورة الزراعية ومكافحة الآفات آليا واستخدام الجرارات فى فلاحة الأرض ..ومن من هؤلاء الفلاحين كان بوسعه لو اشتغل بمزرعة — خارج نطاق التعاونية — أن يستفيد بالميكنة

الحديثة فى الزراعة وفى مكافحة الآفات ..والطرق الحديثة فى التسويق وخاصة القطن الذى كانت تبيعه الجمعية المشتركة بالمزاد العلنى لحساب الفلاحين..

والذى يشهد مقدار الجهد والنتائج العظيمة التى حققتها الجمعية العامة للإصلاح الزراعى لا يسعه إلا أن يصفق لهذا الرجل الذى أعد البنيان التعاونى فى الإصلاح الزراعى ليصبح نموذجا يحتذى ــ وهو مجرد أمل ــ القطاع الزراعى كله..

إن تبوء المهندس سيد مرعى مكانة فى الإصلاح الزراعى ثم فى مديرية التحرير، ثم فى الهيئة الدائمة لاستصلاح الأراضى، ثم فى بنك التسليف، ثم فى المؤسسة التعاونية الزراعية ليتسع نشاطه فيشمل القطاع الزراعى كله..

يأخذون على المهندس سيد مرعى أنه فى اللحظة الأولى التى تولى فيها رئاسة المؤسسة العامة التعاونية الزراعية أصدر لى تعليماته بإعداد قرار وزارى بتجميد الاتحادات التعاونية الإقليمية فى المحافظات وأنه بذلك يكون قد أوقف نشاط القيادات التعاونية الشعبية فى المحافظات وبالرغم من أننى كنت أحد رؤساء الاتحادات الإقليمية بالفيوم فإننى تفهمت المعنى وراء هذا القرار وقمت بصياغته بارتياح ذلك أن الملكية ــ حتى صدور القرار ــ كانت بحد أقصى مائتى فدان وكان أعضاء الاتحادات التعاونية من هذا الصنف من الرجال الذين يدخلون فى هذه الشريحة ويبلغون فى الغالب سقف هذه الشريحة ..وبذلك لم يكن طبيعيا أن خلفاء الإقطاع هم أنفسهم الذين يملكون زمام إدارة النشاط التعاونى الذى أعد الوزير خطته على أساس شمول العضوية مجموع الحائزين من ملاك ومستأجرين الأمر الذى كان قد أعد له العدة قبل ذلك فى إطار نظام الائتمان الزراعى التعاونى الذى ساهم بجهد كبير فى صياغته وفى تطبيقه قبل ذلك وهو رئيس لمجلس إدارة بنك التسليف الزراعى والتعاونى.

وهذا النظام مؤداه:

أولا :فتح باب العضوية لكل مالك أو مستأجر أيا كانت حيازته للانضمام للجمعية الزراعية.

ثانيا :عدم التعامل بالأجل فى مستلزمات الإنتاج مع البنك إلا عن طريق عضويته فى الجمعية (نوع آخر من الإجبار الاقتصادى).

ثالثا :انضمام مندوب من قبل البنك إلى كل جمعية تعاونية زراعية للتحقق:

أ ــ من أن الحيازات المدونة صحيحة.

ب ــ أن السلف لا تصرف عن حيازات وهمية.

جـــ ــ أن السلف العينية يستفاد بها فعلا فى خدمة الأرض ولا تباع فى السوق السوداء.

رابعا :وجود كاتب على الأقل للجمعية لإجراء القيود فى السجلات والدفاتر.

لذلك فإنه عند تولى المهندس سيد مرعى رئاسة المؤسسة كان كل شئ جاهزا للعمل عدا أن يظل خلفاء الإقطاع هم المهيمنون على قيادة المسيرة.

أقول الآن أن هذا القرار لم يكن له سند من قانون التعاون الزراعى أو أى قانون آخر ومع ذلك فكان فى وسع كل ذى صفة أن يطعن على هذا القرار ولكن الذى حدث أن أعضاء الجمعية تقدموا إلى المهندس سيد مرعى حامدين شاكرين ..وأن كان الاستمرار فى الغمز لا يعوزهم..

من هنا كان اتهام المهندس سيد مرعى بأنه رجل غير تعاونى يدحضه هذا البيان الموجز الذى لا يزال البعض منا لا يدرك أبعاده ومراميه.

لم يكن المهندس سيد مرعى قريبا للرئيس عبد الناصر ولا لواحد من قادة الثورة.. ولكن الثورة هى التى تطلعت إليه ودعته من منزله ليؤدى الأدوار التى أسندت إليه إلى أن بلغ مناصب، الوزير التنفيذى والوزير المركزى ورئيس مجلس الأمة ــ فى أزهى عصوره ــ وأمين عام الاتحاد الاشتراكى ومساعد رئيس الجمهورية ورئيس مجموعة مستشارى رئيس الجمهورية ..وفى كل هذه المواقع كان شهما.

وكان له تلاميذ فى كل المواقع ..ولكنه لم يعرف المجاملة مع من ولاهم تحت قيادته فى كل موقع وفى كل مرحلة من مراحل كفاحه..

ليس هذا إذن دفاعا عن المهندس سيد مرعى فهو فوق المستوى الذى يرقى فيه أى قلم للدفاع عنه ..بل كان هو الجدير بأن يمسك بالقلم ليدافع عن كثيرين.

وعندما صدر الكتاب الأمريكانى عن المهندس سيد مرعى لم أفزع فى البداية لأن كثيرين من الملوك والرؤساء تكتب عنهم الكتب عندما يكونون جديرين بالتطلع إلى نضالهم والتحدث عن حاضرهم أو ماضيهم ولكنى فقط لاحظت ملاحظتين:

الملاحظة الأولى :أن أجد من ورد ذكرهم فى الكتاب لم ينطقوا بكلمة حق فى الرجل الذى صاغ لهم قيادات على مسرح العمل الوطنى..

الملاحظة الثانية :أننى أشم رائحة الخيانة فى سطور هذا الكتاب وبإمكان إصبع الاتهام أن يشير إلى واحد أو أكثر وراء هذا العمل المريب..

فإن كثيرا من الوقائع التى أوردها الكتاب شارك فى صنع أحداثـــها الصـــانعون.. ولكنهم إما أنهم لا يبالون بما نشر وإما أنهم ضالعون فى النشر وإما أنهم فى أقـــل القليـــل صامتون عن شهادة صدق ..ومن يكتم الشهادة فإنه شيطان أخرس ..وأعـوذ بـــالله مـــن الشياطين ..لقد عاصرت بنفسى هذه الواقعة.

أيام محنة القطن خرج المهندس سيد مرعى بسيارته يمر على زراعات القطن وبينما هو فى أحد الطرق الزراعية بمحافظة المنوفية إذا به بخبرته الطويلة يشم رائحة الدودة ترعـــى فى المحصول فلما نزل إلى الغيط وجد الدودة تغطى كل المحصول ..فلما عاد إلى مكتبه بـالمتحف الزراعى كتب تقريرا بعثه إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر يصف الحالة ويصف العـــلاج كما بعث بمثل هذا المعنى إلى الدكتور أحمد المحروقى وزير الزراعة التنفيذى وإلى الدكتـــور حسن بغدادى وزير الإصلاح الزراعى التنفيذى ولكن أحدا لم يأخذ الأمر مأخذ الجد فكانت الكارثة..

وبالرغم من أن السيد الرئيس عبد الناصر يعلم بهذا التقرير إلا أنه أخذ المظلوم بالظالم وأخرج من الوزارة كل الوزراء المركزى والتنفيذى وأضاف إليهم السيد حسن عباس زكى وزير المالية الذى لم يدبر الاعتمادات اللازمة لشراء المبيدات ..هذه المبيدات التى اضطـــروا تحت ضغط الكارثة إلى جلبها بالطائرات مع تحمل الميزانية لتكاليف النقل الجوى.

وعندما أدرك الرئيس عبد الناصر الظلم الذى أوقعه على المهندس سيد مرعى فى محنة القطن أعاده إلى منصبه مسئولا وحده عن كل قطاع الزراعة سنة ١٩٦٧ حين اســـتدعانى ندبا من مكانى كمستشار لقضايا الحكومة بأسيوط إلى القاهرة مستشارا ــ مرة أخـــرى ــ للهيئة العامة للإصلاح الزراعى مستعينا فى ذلك بالمستشار عصام حسونة وزير العدل.

وفى القاهرة أعددت ــ كطلب الوزير ــ قرارا وزاريا بإنشاء المجلس الأعلى للتعاون الزراعى أسوة بالمجلس الأعلى للتعاون الاستهلاكى الذى كنت قد أعددت قراره من قبل.

وفى بحث قدمه المهندس سعد هجرس إلى المجلس طالب فيه بإعادة تشكيل الاتحادات التعاونية الإقليمية.

ولئن كانت الظروف قد تغيرت فيما بعد وتولى وزارة الزراعة مهندس الرى عبــــد العظيم أبو العطا الذى اتخذ مخلبا لحل الاتحاد الزراعى المركزى إلا أن هذا الاتحاد ما لبث أن عاد فى ظل القانون الجديد وإن تكن القيادات التى تولت بعد المغفور له أحمد يونس ما زالت تعمل وظلال السيف معلق فى الهواء ولسان حالها يقول تعلمت هذا من رأس الذئب الطائر.. عاد الاتحاد إلى مبناه ولكن الروح تدب فيه بصعوبة وبمحاولات فردية..

جمد المهندس سيد مرعى الاتحادات الإقليمية عندما كان ذلك لازما .وأعاد الاتحادات الإقليمية عندما صارت زراعية لحما ودما وجعل على رأسها الاتحاد المركزى.

كان للمهندس سيد مرعى دور كبير فى إقرار مشروع قانون التعاون الزراعى الـذى كان قد كلفنى بإعداده المغفور له الدكتور محمد لبيب شقير عندما كنت مستشارا بالاتحــاد الاشتراكى مع الصديق حسن معاذ رميح والصديق الصدوق محمد رشاد ..مــع تعديــلات جوهرية أحس فيها بأصابع المهندس محمود فوزى أثرت على انسجام المشروع..

إنى اعتبر أن المدنيين الأحرار أولئك الأبطال الشجعان الذين أعطــوا للثــورة وفى طليعتهم الأمام الشهيد حسن البنا، فتحى رضوان، أحمد حسين، محمد صبيــح، وإبراهيــم شكرى وغيرهم كثيرون الذى ذادوا عن الحريات بافتقاد حريتــهم وبقصــف أقلامــهم وبإلقائهم خلف القضبان الحديدية فى السجون والمعتقلات.

ولكن أضع فى نفس الصف بين هؤلاء المدنيين الأحرار من الخبراء والعلماء الذيـــن استقطبتهم الثورة بعد قيامها من أمثال الدكتور عزيز صدقى فى الصناعة والدكتور مصطفى خليل فى المواصلات والدكتور كمال رمزى استينو فى التموين والدكتــور القيســونى فى الاقتصاد وبالطبع يقف فى الصف الأول بين هؤلاء المهندس سيد مرعى فى الزراعة فقد كانت مهمته فى هندسة الزراعة المصرية صعبة وغير محددة ومليئة بالأشواك.

ورث المهندس سيد مرعى الأستاذ حسين الشافعى والأستاذ توفيق عبد الفتــاح فى التعاونى الزراعى وورث مجدى حسنين فى مديرية التحرير وأسقط كل محاولات الإحراج التى وضعها فى طريقه السيد كمال الدين رفعت عندما كان مشرفا على الرقابة الإدارية، وفى كل المعارك التى خاضها عاد ليقف على قدميه وتتساقط الإشاعات من حوله كأوراق الخريف..

المدنيون الأحرار الذين ذكرت أن الثورة وضعتهم فى الصف الأول إلى جانب قادتها فى إدارة شئون الحكم لم يقدم واحد منهم إلى المكتبة العربية من المؤلفات فى التخصص الذى تولاه مثل ما فعل المهندس سيد مرعى مستعينا فى إعداد هذه الكتب إلى جانب خبرته وكفايته وعمله الوفير بكل الكفاءات التى تحيط به والتى دفعها إلى الأمام خطوة خطوة حتى استوت على القمة.

إن الوزير الذى عملت قريبا منه والذى استطاع أن يستخدم أدواته استخداما حسنا بالرغم مما فيها من متناقضات هو المهندس سيد مرعى، وهناك مثلا التناقض الأزلى بين المهندس محمود فوزى والمهندس سعد هجرس وهناك التناقض التقليدى بين المستشار محمد عبد الرسول والمستشار شمس الدين خفاجى.

واستطاع الرجل أن يستخدم أدواته ليست بين الرجال الذين كان له فضل اكتشافهم أخص بالذكر أحمد أبو الغار وسيف الدين القبانى اللذين أدارا مع المهندس سيد [مرع]ى مشروع الائتمان الزراعى التعاونى الذى يسجل التاريخ نجاح هذا المشروع الذى بمقتضاه يمكن إقراض الفلاحين بدون ضمان المالك واكتفاء بضمان المحصول — هذان الرجلان هما السيد حسين الشافعى والمهندس سيد مرعى مع كوكبة من الرجال فى البنك ووزارة الشئون البلدية ثم فى وزارة الزراعة فيما بعد.

إن المهندس سيد مرعى لا يعرف كيف يغضب ..وإذا غضب — لأنه بشر — فلا يمكن أن يجعل ملامحه تنم عن غضبه ..ثم أنه عريض الابتسامة ..عريض الجبهة بكل ما يحمله هذا الاصطلاح من معان..

المهندس سيد مرعى هو الرجل الذى عمل مع الرئيس عبد الناصر فاستطاع أن يولى وجهه شطر الملكية لا شطر التأميم ..رغم المقاومة الشديدة من جانب اليساريين..

المهندس سيد مرعى هو الرجل الذى استطاع أن يوحد بين النظام المعمول به وهو من ابتكاره فى كل من الإصلاح الزراعى ومناطق الائتمان وأضاف إلى هذا النظام نظام المشرف الزراعى وجعل للإرشاد الزراعى القول الفصل فى رحاب الفلاحين.

لم يشتهر عن المهندس سيد مرعى أنه أثرى ثراء مشوبا وإن يكن تعزى إليه أنه استثمر ما تحت يده من ملكية أو حيازة مشروعة — الاستثمار الأمثل..؟!

ومن منا لا يحب أن يستثمر عناصر ثروته المشروعة الاستثمار الأمثل..

لقد حصل المهندس سيد مرعى على الدكتوراه الفخرية من إحدى جامعات أمريكا..

وانتخب رئيسا فى أكثر من مؤتمر دولى منها منظمة الأغذية والزراعة فى إيطاليا.

وتجربة المهندس سيد مرعى فى الإصلاح الزراعى هى التجربة الوحيدة المنقولة إلى بعض الدول العربية وأخصها العراق من خلال المستشار المصرى على كمال وفى كوبا وغيرها من دول أمريكا اللاتينية، وأخذ بوجهة نظر المهندس سيد مرعى إلى التجربة فى الاتحاد السوفيتى وفى يوغوسلافيا ويرفع رأسه إلى السماء أن تجربته هى التى صمدت وهى الأساس فى الإصلاح الاقتصادى الزراعى فى مصر حتى الآن.

لم يكن خروج المهندس سيد مرعى من الوزارة فى كارثة القطن شرا مطلقا ..بل كان خيرا كثيرا حيث لم تتح الفرصة ليكون الأداة فى تطبيق قرارات لجنة الحراسات التى رأسها المشير عبد الحكيم عامر ..وإلا كان وضعه فى نظر التاريخ الآن هو وضع السيد عبد المحسن أبو النور الذى خلفه على الزراعة والإصلاح الزراعى وكان يفرض الحراسة على الأبرياء الشرفاء بالتليفون مستعينا فى ذلك الوقت برجلين أحدهما زميل مستشار ــ يرحمه الله ــ والثانى ضابط مهندس يقول الآن أنه عبد المأمور وللرجلين كل الخزى فى ذلك .فإن تنحى القيادات عن العمل لسبب أو لآخر كانت جريمة يغيب صاحبها خلف الشمس.

وللذين يقولون أن المهندس سيد مرعى يجامل أقاربه ويزود عنهم بالحق وبالباطل أسوق هاتين الواقعتين.

الواقعة الأولى :أنه من الوزراء القلائل الذى عرف بحق إصدار قانون الإصلاح الزراعى المعدل الذى نزل بالحد الأعلى للملكية من مائتى فدان إلى مائة فدان ...ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه كان يعمل لصالح أقربائه أو أحد من عائلته بل كان من بينهم من أخذ به هذا القانون أخذ عزيز مقتدر بينما كانت قد تسربت معلومات أخرى لأقارب وأصحاب بعض الوزراء بصدد تأمين السندات والأسهم.

الواقعة الثانية :عندما نقل إلى المهندس سيد مرعى اختصاص الإشراف على القطاع الزراعى أرسل إليه السيد توفيق عبد الفتاح تقريرا ورد إليه من السيد كمال الدين رفعت المشرف على الرقابة الإدارية مضافا إليه تقرير آخر من لجنة شكلها بوزارته.

كان التقرير ينضح كذبا ضد الشيخ أحمد عبد الرحمن نصير الذى كان يصفه المهندس سيد مرعى أمامى بأنه خاله ..وهم المهندس سيد مرعى بإحالة التقريرين إلى النيابة العامة وكنت حاضرا فرجوته أن يحيل التقريرين إلى المستشار القانونى للفحص والتحقيق.

فلما أتممت الفحص والتحقيق من داخل الاتحاد التعاونى بالقليوبية من مقر الجمعية الزراعية ببلدة جمجرة وكان يرأسها الشيخ أبو نصير أعددت تقريرا يشجب كل ما ورد فى التقريرين اللذين أعدا وأرسلا إلى الوزير بغرض إحراجه.

وقد أرسل الوزير كل التقارير إلى السيد على صبرى لعرضها على الرئيس عبد الناصر وبعد أسبوعين دعانى الوزير إلى مكتبه وأبلغنى بحفظ الموضوع.

كنت واثقا منذ البداية ببراءة الشيخ أبو نصير الذى زاملته عضوا فى الجمعية التعاونية فى الأربعينات والخمسينيات وعضوا فى المؤتمر العام التعاونى بعد ذلك.

إن المهندس سيد مرعى رجل لا يحرج بباطل!!

قضية أخرى تشهد على سماحة المهندس سيد مرعى فى واقعتين:

الواقعة الأولى :عندما عرضت على الوزير عام ١٩٦١ مشروع قرار وزارى بتشكيل مجلس إدارة للمعهد العالى للتعاون الزراعى أضاف بخط يده اسم المهندس سيد المنشاوى.

وكان سيد المنشاوى هو رئيس اللجنة التى أدانت ظلما الشيخ أحمد أبو نصير.

الواقعة الثانية :عندما عرضت على الوزير عام ١٩٦٧ مشروع قرار وزارى بإنشاء المجلس الأعلى للتعاون الزراعى وتشكيل مجلس إدارته أضاف بخط يده اسم الأستاذ المحاسب ميلاد شنودة وكان ميلاد شنودة ضمن اثنين قاما بإعداد التقرير المضاد للشيخ أحمد أبو نصير.

إن سيد مرعى لا ينسى ولكنه يتناسى إذا كان الصالح العام يبرر ذلك.

وفى المجال نفسه عندما اشتركنا فى إعداد الهيكل التنظيمى للمؤسسة العامة التعاونية الزراعية فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ شرع الوزير فى تسكين المناصب الرئيسية فاختار المهندس سيد المنشاوى مديرا عاما للتموين وكان هذا المنصب يشمل الإشراف على كل من بنك التسليف وصندوق موازنة أسعار الأسمدة والهيئة الزراعية المصرية ولكن الظروف أتاحت للمهندس سيد المنشاوى مكانا أنسب كمدير عام للمؤسسة العامة للتعاون الإنتاجى

والصناعات الصغيرة التى رشحه لها الدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة المركزى ورئيس مجلس إدارة المؤسسة.

هذه صورة من صور السماحة، ولمحة خلقية تضاف إلى أخلاقيات المهندس سيد مرعى.

ورث المهندس سيد مرعى عن وزارة الشئون الاجتماعية تركة مثقلة تتمثل فى التعاون الزراعى ..وفى أحد الأيام من شهر يناير ١٩٦١ أملانى المهندس سيد مرعى خطابا موجها إلى السيد على صبرى وزير الدولة لرئاسة الجمهورية للعرض على الرئيس عبد الناصر لاستطلاع الرأى وكان فحوى الخطاب أن التفتيش والتقييم الذى أجرته المؤسسة العامة التعاونية الزراعية أسفر عن أن نحو تسعين فى المائة من أمناء الصناديق بالجمعيات التعاونية قد بددوا عهدتم مما يقتضى إبلاغ النيابة العامة ضدهم وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف عضو من أعيان الريف، ويرى المهندس سيد مرعى أن إبلاغ النيابة العامة ضد هذا الكم الهائل دفعة واحدة من شأنه أن يحدث اضطرابا وبلبلة فى الريف وأنه يشير بتأجيل اتخاذ إجراء ضد أمناء الصناديق لحين نضج محصول القطن وجمعه وخصم مستحقات أمناء الصناديق عند تسويق القطن ولم تمض أيام حتى وردت رسالة من السيد على صبرى تشير بأنه بالعرض على الرئيس عبد الناصر وافق على ما جاء بكتاب السيد الوزير..

هذه لمسة من لمسات الخير وبعد النظر وعمق السياسة لدى المهندس سيد مرعى من جهة وحسن تفهمه لحل المشكلة لدى الرئيس جمال عبد الناصر.

من هنا نشأت فى ذهنى فكرة إلغاء منصب أمين الصندوق فى الجمعيات التعاونية كلما أتيحت لى فرصة هذا الاستبعاد بدأتها عند إعداد قانون التعاون الزراعى عندما كنت مستشارا لشئون التعاون فى الاتحاد الاشتراكى ثم قانون التعاون الاستهلاكى ثم فى قانون التعاون الإنتاجى سنة ١٩٧٥ وأكدت عليها فى قانون التعاون الإسكانى سنة ١٩٨١ وختمت بها فى قانون الاتحاد العام للتعاونيات سنة ١٩٨٤ ومشروع قانون التعاون الموحد.

والفضل يرجع إلى المهندس سيد مرعى فى تأسيس دار التعاون للطبع والنشر التى كانت بدايتها مراقبة الصحافة بالهيئة العامة للإصلاح الزراعى.

لم يرفض للأستاذ محمد صبيح طلبا وأذكر أن الوزير كلفني يوما بإعداد نظام داخلي لجمعية تعاونية زراعية مشتركة للطبع والنشر فلما قمت بهذه المهمة كلفني بتسجيلها في سجل خاص بالمؤسسة.

ومن هنا بدأت الدار تأخذ مسارها حتى وصلت إلى غايتها باختيار الأستاذ محمد رشاد رئيسا لها.

لم أكن أعمل مع المهندس سيد مرعي مستشارا قانونيا ولكنه كان ينيبني في حضور بعض المؤتمرات لشرح السياسة الجديدة أذكر منها المؤتمر الكبير الذي عقد في قرية البرجاية وشارك فيه السيد عبد الفتاح فؤاد محافظ المنيا وكان نقطة تحول في تاريخ حياتي.

الكتابة عن المهندس سيد مرعي لا تتوقف إلا وتستأنف من جديد ..وأن الكتاب الذي يجب أن يكتب عن المهندس سيد مرعي هو الكتاب الذي يخطه معي الناهون من أمثال سعد هجرس، محمود فوزي والدكتور أمين زاهر.

ولو كان الرفيق المهندس عثمان توفيق حيا لعمل ببراعة في أكثر صفحات هذا الكتاب بأسلوبه الشيق وقلم المغفور له الأستاذ محمد صبيح أية أخرى.

محمد صبيح عبد القادر

عملاق السياسة والصحافة والإعلام التعاونى

محمد صبيح عبد القادر مجموعة من العمالقة ليس من السهل أن تكتب عنه فى بضع صفحات، لأن عملاقا واحدا من بين العمالقة الثلاثة تتسع صفحات الكتابة عنه إلى كتاب.

عرفت الأستاذ محمد صبيح منذ الثلاثينات من هذا القرن واحدا من بين مجموعة من الشباب الذين دفعتهم وطنيتهم إلى الدعوة إلى مشروع القرش وهو أول مشروع اقتصادى بدأ تنفيذه فى مصر لإنشاء مصنع للطرابيش التى يزدان بها رأس كل مصرى بديلا عن الطرابيش الأجنبية الصنع والتى كنا نستوردها من النمسا على وجه الخصوص وكان هذا المشروع هو الدعوة الثانية بعد دعوة طلعت حرب إلى مواجهة الاستعمار الاقتصادى فى مصر.

وهذه المجموعة التى يتزعمها ثلاثة من الشباب الجامعى هم :أحمد حسين، وفتحى رضوان من كلية الحقوق ومحمد صبيح من كلية الآداب استطاعت أن تحرك وجدان هذه الأمة من خلال المحاضرات التى تناوب ثلاثتهم إلقاءها فى الجامعة والمدارس الثانوية ودور المعلمين حتى وكأنها الشعلة المتقدة يمسك بها كل شباب مصر على مختلف ميولهم الفكرية السياسية وعقائدهم الدينية وكأن كل شعلة منها تمثل علم مصر الذى بات يرفرف فى الآفاق وفى ظله تجتمع القروش بالعشرات والمئات والألوف وعشرات الألوف بل ومئات الألوف لتصبح حصيلة ثورية ملتهبة وكأنها صوت مصر يهتف من أعماق الأعماق :يسقط الاستعمار.

هذه كانت البداية!!..

ومن خلال نجاح هذا المشروع الذى تمخض عن إنشاء مصنع الطرابيش التى استبدل بها الشعب ــ كل الشعب ــ الطرابيش الأجنبية فى مظاهرات كانت تحرق تلك الطرابيش فى الميادين العامة وفى ساحات الجامعة وفى أفنية المدارس تعلن اللعنة على الاستعمار.

كانت هذه هى الدعوة الاقتصادية الثانية والتالية لدعوة طلعت حرب إلى إنشاء بنك مصر أول بنك مصرى تفد إليه الأموال المصرية ويحرم فيه على غير المصريين المساهمة فى رأس

المال، وللأمانة نقول أنها الدعوة الثالثة وليست الثانية إذا أدخلنا فى الاعتبار دعوة الوطنى الغيور المغفور له الأستاذ عمر لطفى الذى بدأ دعوته إلى التعاون، التعاون الذى ما زلنا ونحن فى طريقنا إلى الانتفاع بآثاره ونتائجه وكأنما نقرأ الفاتحة كل صباح ترحما على هذا الشهيد الذى قضى حياته فى الدعوة إلى التعاون مثلما قضى شهيد آخر حياته فى الدعوة إلى الاستقلال، أعنى المغفور له الشاب مصطفى كامل باشا.

لذلك كان طبيعيا أن يكون عمر لطفى من أبناء الحزب الوطنى وكذلك طلعت حرب ومن تلاميذ مصطفى كامل كذلك أحمد حسين وفتحى رضوان ومحمد صبيح ثم اتجه الشبان الثلاثة إلى تأسيس جمعية مصر الفتاة التى أصدرت مجلة الصرخة لسانا لحالها يتصدر كتابها أحمد حسين وفتحى رضوان ومحمد صبيح الذى كان منذ اللحظة الأولى وحتى اللحظة الأخيرة فى تاريخ مصر الفتاة هو رئيس التحرير من غير منازع.

والتقيت بالأستاذ محمد صبيح مرة ثانية فى مقر جماعة مصر الفتاة فى مقرها الأول بعمارة الأوقاف بالعتبة ثم بأكثر من مقر حتى استوت فى مقرها الأخير بالبيت الأخضر بشارع الفلكى بالقاهرة.

كان الأستاذ أحمد حسين هو رئيس الحزب وكان الأستاذ فتحى رضوان السكرتير العام بينما كان الأستاذ محمد صبيح هو السكرتير العام المساعد وهو ما يشبه الآن أمين التنظيم فى الأحزاب الحديثة.

انفرد الأستاذ فتحى رضوان بالاشتغال بالمحاماة فلم يكن يباشر من نشاط الحزب أكثر من مقال يدفع به إلى الأستاذ محمد صبيح رئيس التحرير كل أسبوع ثم يشارك فى حضور جلسات مجلس الجهاد مساء كل خميس ولكن للحق كان يكتب المقال الممتع البالغ السخرية والذى صار له رواد وتلاميذ ثم كان فتحى رضوان هو دائما المحامى الأول فى الدفاع عن قضايا الحزب أمام محكمة الجنايات، كان أحمد حسين يكتب وكان يصرخ ومن خلال هذا الصراخ المحسوب كان يساق متهما إلى محكمة الجنايات المختصة فى ذلك الوقت بالقضايا الصحفية وكانت هناك نيابة خاصة تدعى نيابة الصحافة، وهذا لا يمنع أن كبار المحامين كانوا يترافعون عن أحمد حسين كذلك وفى كثير من الأحيان كان النائب العام يحفظ

التحقيق حتى يسوق أحمد حسين الحكومة سوقا إلى محكمة الجنايات وكأنها هى المتهمة وهو ممثل الاتهام.

عرف الأستاذ محمد صبيح طريقه إلى المحكمة وإلى سجن الأجانب وأحيانا إلى سجن مصر لأنه خالف القانون فقد كان يكتب بعناية وبحساب وبتحفظ يخفى بين طيا ته اللهب ولكنه كان يساق إلى المحاكمة وإلى السجن بوصفه رئيسا للتحرير.

ورئيس التحرير ــ الأصل فيه أنه المتهم الأول فى كل جريمة من جرائم النشر.

وبرز نشاط الأستاذ محمد صبيح كأديب ومؤرخ فى أول مجموعة تصدر شهرية بصفة منتظمة تحت عنوان "كتاب الشهر" صدر عنها مجموعة من الكتيبات بعضها له وبعضها لزميله فتحى رضوان عن محمد "صلى الله عليه وسلم" والخليفة عمر رضى الله عنه ومصطفى كمال أتاتورك وموسولينى وهتلر وديفاليرا ومن خلال غالبية الكتب التى أصدرها تتضح للقارئ الرؤية فى اتجاهات محمد صبيح المؤرخ والأديب ومن دواعى المناسبات أن نذكر أن الفترة الخصبة فى التأليف فى حياة محمد صبيح نضجت بإصدار الموسوعات عن الكتب التاريخية فى الإسلام ومن أبرزها كتاب "القدس الشريف" ومجموعة الكتب التى تتحدث عن المجتمع العربى وهى المادة التى كان يتولى تدريسها فى المعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية والتى أثرى بكتبه عنها المكتبة العربية والإسلامية، واعتقل الأستاذ محمد صبيح ضمن من اعتقل من القيادات الوطنية الشابة وكان أكثر ما كان اعتقاله فى عهد حكومة الوفد وبإيحاء من السفارة البريطانية وكان آخر مرة اعتقل فيها رفيقا للمغفور له الرئيس أنور السادات فى معتقل الزيتون وإن كانت صلتهما تسبق هذا التاريخ، وللطرافة فإننا نشير إلى أن الأستاذ محمد صبيح كان أحد القلائل من بين الوطنيين وثوار ما قبل الثورة فى مطلع ثورة ٢٣ يوليو نذكر من بينهم على سبيل المثال الأستاذ أحمد حسين والأستاذ إحسان عبد القدوس إلى جانب الصفوة المعروفة من الأخوان المسلمين ومن اليساريين.

فى فترة ما قبل الثورة وتوقف نشاط حزب مصر الفتاة بعد مصادرة جريدة الصرخة ثم جريدة الثغر ثم جريدة الضياء ثم جريدة مصر الفتاة ثم جريدة الاشتراكية التحق الأستاذ محمد صبيح ــ على اختلاف فى المبادئ ــ بجريدة الأساس مديرا للتحرير وهى لسان حال الحزب السعدى الذى تعاقب على رئاسته الدكتور أحمد ماهر باشا ومحمود فهمى النقراشى

باشا وإبراهيم عبد الهادى باشا بينما قام رئيس التحرير صديقه الدكتور على الرجال الأستاذ الجامعى الذى اختار المحاماة والصحافة طريقا له فتفوق فى الطريقين.

وبقيام الثورة وصدور قانون الإصلاح الزراعى دعاه الأستاذ الجليل المهندس سيد مرعى ليكون مراقبا عاما للصحافة فى الهيئة العامة للإصلاح الزراعى ومن خلال صداقته للأستاذ المخرج السينمائى محمد كريم أصدر أول فيلم يحكى قصة الإصلاح الزراعى اسمه الثورة الخضراء، ثم أصدر جريدة التعاون نصف الشهرية ثم الأسبوعية كما أصدر المجلة الزراعية واختار للعمل فى الجريدة الأستاذ محمد رشاد من خريجى كلية الآداب قسم الفلسفة كما اختار للمجلة المهندس الزراعى عز الدين كامل أبن أخت المغفور له الأستاذ فتحى رضوان رفيق الأستاذ محمد صبيح فى حياته.

وانطلقت الصحافة التعاونية العامة بشكل منظم وكانت بدايتى مرة ثالثة مع الأستاذ محمد صبيح محررا من اليوم الأول للعمود الأسبوعى آراء حرة الذى ما زال يذيل بأسمى من سنة ١٩٥٩ وحتى اليوم حينما شاءت الأقدار أن نلتقى بالإصلاح الزراعى بقصر عابدين حيث كانت تصدر الجريدة حيث كنت مستشارا قانونيا منتدبا من هيئة قضايا الدولة، وهو مستشار صحفى للمهندس سيد مرعى الذى عاود اللقاء به من خلال معرفته القديمة مديرا لتحرير جريدة الأساس لسان الحزب السعدى الذى كان المهندس سيد مرعى من أبرز قياداته.

ونستطيع الآن أن نقرر أن دار التعاون أنشأها من ألفها إلى يائها الأستاذ الخلاق المبدع محمد صبيح الذى تجرى الصحافة فى عروقه مجرى الدم.

استطاع محمد صبيح أن يتسلل بالصحافة إلى النور من بين جنبات غرفتين تشغلهما مراقبة الصحافة والنشر بالطابق الأرضى بأحد أجنحة الهيئة العامة للإصلاح الزراعى بقصر عابدين وتسلل إلى الطباعة من مطبعة بالبدارى فى عمق أعماق هاتين الغرفتين إلى هذه المطابع الضخمة التى تشغل مكانا مرموقا فى مبنى ضخم فخم فوق قطعة استخلصها من الأراضى المستولى عليها فى الإصلاح الزراعى، ومن مراقبة تضم اثنين من الصحفيين الناشئين ومصور واحد هو شقيق الأستاذ محمد صبيح إلى هذا القصر العظيم الذى تشغله إدارات التحرير

بطريق الملكية فى شارع عبد القادر حمزة بجاردن سيتى أرقى موقع تشغله دار صحفية فى مصر حتى اليوم.

ولشراء هذا القصر قصة:

كان هذا القصر مملوكا لداود عدس أحد أثرياء اليهود فى مصر والذى هاجر إلى خارجها وخلف وراءه وكيلا يتولى تأجيره بنظام الإيجار المفروش نظير خمسمائة جنيه لأحد أطباء العيون المشاهير ووضع الأستاذ صبيح يده على هذا القصر بطريق الإيجار من الباطن وما هى إلا بضعة أشهر حتى كان القصر قد انتقلت ملكيته إلى مؤسسة دار التعاون بموجب عقد بيع صادر من وكيل داود عدس نظير ثمن لا يكاد يساوى الأرض المقام عليها محسوبا بالقيمة الإيجارية بالجنيه المصرى فى أوائل الستينيات، ولكى تتم هذه الصفقة كان لا بد من دفع عشرة آلاف جنيه سمسرة إلى وكيل المالك بواقع ٢٥ %من قيمة الصفقة ذاتها الأمر غير المسبوق وغير المشروع فى غير حالتنا واستأذن الرئيس عبد الناصر فى إتمام الصفقة على هذا الشرط من خلال تبادل الرسائل مع السيد على صبرى وزير الدولة لرئاسة الجمهورية الذى أفضى بموافقة الرئيس إلى الأستاذ محمد صبيح وفى الشهر التالى عندما جاء مندوب المستأجر الأصلى يحمل إلى الأستاذ صبيح إيصال سداد الإيجار كاد الرجل يصعق عندما فاجأه الأستاذ صبيح بعقد التمليك وبهذه الحيلة القانونية البارعة المؤيدة بالفكر السياسى الناضج والعقلية المتطورة أن ينقل إلى دار التعاون ما قيمته نصف مليون جنيه فى تاريخ إبرام الصفقة بما قيمته خمسين ألف جنيه وبعدها جاء الدور على بناء مطابع الدار فى منطقة دار السلام حيث شهدت مع الدكتور نجيب حشاد وزير الزراعة حفل إزاحة الستار عن حجر الأساس والقى يومها الأستاذ محمد صبيح خطابا من أروع ما سمعته وهو يخطب إبان شبابه وهو سكرتير عام حزب مصر الفتاة ثم الحزب الاشتراكى غير أن رعشة هى رعشة الانتصار هزت كلماته فجعلت الجميع يشاطرونه هذا الموقف العظيم الذى يعد نقطة تحول جديدة وليست أخيرة فى حياة الصحفى الناضج المؤرخ الأديب السياسى محمد صبيح.

وجدير بالذكر أنه عند إعداد ميزانية الدار عام ١٩٨٠ قدرت المؤسسة قيمة القصر أكثر كثيرا من قيمتها كما قدرت المطابع بملايين أخرى وبصرف النظر عن الباعث على هذا

المدير وهو إخفاء الخسائر التى منيت بها الدار بسبب كثرة الإصدارات غير القابلة للتوزيع وضعف الإدارة الداخلية فى المطابع.

وعندما أصدر الأستاذ صبيح جريدة الأحد عن التعاون الاستهلاكى قدم إلى ورقة لاسجل فيها اقتراحاته حول تشكيل مجلس إدارة خاص بهذه الجريدة ووضعت اسم الدكتور كمال حمدى أبو الخير ضمن القائمة وكان هذا أول لقاء بينه وبين الأستاذ صبيح وبينه وبين المؤسسة كأحد كتابها الدائمين.

وكان الأستاذ صبيح قد حصل على المطابع العملاقة من إنجلترا وألمانيا.

أما المشروع الذكى الجرىء فهو شراء القصر الذى تشغله الحراسة العامة والمجاور لإدارة الجريدة وإزالة المبنيين وإقامة برج من أربعين طابقا تشغله المطابع والمطاعم والملاعب والجمعية الاستهلاكية والنشاط الاجتماعى ــ الطوابق دون الأرضى ــ وتشغل إدارات التحرير الطوابق الأعلى وتشغل الاتحادات التعاونية والجمعيات العامة ما فوق إدارة التحرير ويخصص باقى المبنى لفندق عالمى يستقبل وفود المؤتمرات والسائحين من كل فج عميق لتهبط بهم الطائرة العمودية التى تنقلهم رأسا من مطار القاهرة الدولى إلى مطار خاص فوق المبنى، وكما استطاع الأستاذ صبيح بالاستعانة بالأخ الأستاذ أحمد أبو الغار مدير عام الائتمان ببنك التسليف والمستشار الحالى للدار أن يدبر الاعتمادات اللازمة من البنك لتمويل عملية شراء القصر مقابل قرض يسدد من قيمة المطبوعات والسجلات والدفاتر التى يتطلبها عمل البنك استطاع الأستاذ صبيح أن يدرس بعناية وسائل تمويل هذا البرج من خلال بيع أو تأجير ما خصص منه للحركة التعاونية والفندق وعلى المائدة المواجهة لمكتب الأستاذ صبيح نشهد ماكيتا لهذا البرج العملاق.

وعندما تآمرت قوى الشر يتزعمها السيد عبد المحسن أبو النور نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة والإصلاح الزراعى فأطاحت بالأستاذ محمد صبيح من موقعه كأثر من آثار الإطاحة من قبل بمهندس الزراعة المصرية سيد مرعى وكان لى مكتب دائم بالدار كعنصر من عناصر تأسيسها ورعايتها شهدت بنفسى الأفاعى وهى تطل برءوسها من شقوقها بعضها من خارج الدار وبعضها من داخلها، وبينما كان التحقيق ــ أعنى التلفيق ــ يجرى فى أروقة الدار فى غيبة صاحبها ومنشئها وراعيها كانت الفضيلة تراق على أرض المعركة غير المتكافئة

وغير الشريفة حتى أن أحد المحررين أمسك بخنجر وأخذ يضرب ظهر الرجل بعنف وقسوة وكان هذا الشاب شيوعيا أفرزه المعتقل فلم يجد يوما ملاذا يلوذ به إلا محمد صبيح الذي اتسع له صدره وأكرم وفادته وأعطاه قلما وقال له أذهب فأنت كاتب كان هذا الشاب هو أحد حملة الخناجر المسمومة وثان وثالث ورابعة ـ ليست رابعة العدوية على كل حال.

واتجه الأستاذ صبيح إلى نشاطه فى نوادى الروتارى ولأول مرة تصدر عن هذه النوادى فى منطقة البحر المتوسط مجلة تربط بين أواصر الأعضاء فى المنطقة.

وقد عقد مؤتمر للروتارى فى قبرص حرص على أن يصحبنى معه فى هذه الرحلة وعلى كثرة ما قمت برحلات جبت فيها العالم شرقه وغربه فإننى لم استمتع بمثل الأيام التى قضيناها فى قبرص.

وعندما ركن محمد صبيح إلى بيته واشتد به المرض بذل الأستاذ محمد رشاد تلميذه وصفيه الجهد كل الجهد حتى أقرت الإدارة الجديدة ـ فى عهد المرحوم الأستاذ ممدوح رضا ـ بأن تصرف له مكافأة شهرية لقاء صفحة أسبوعية يكتبها فى جريدة التعاون كانت من القيمة بأكثر مما قيمت به وإن كان المعنى وراء تقديرها كان عظيما.

وعندما جاء الدور على الأستاذ ممدوح رضا ليترك مكانه فى الدار ليحل محله الأستاذ محمد رشاد نفسه قرر محمد رشاد استمرار صرف مخصصات ممدوح رضا حتى وافته المنية.

وللإنصاف أقول أن شابا آخر خرج من معتقله بعد خمس سنوات متهما بمعاونة أسر المعتقلين والمسجونين من بعض الفئات السياسية قذف بنفسه بين يدى محمد صبيح على غير سابق ميعاد لألحقه بالدار وأصبح محمود بسيونى صاحب هذه القصة عضوا فى المجلس الأعلى للصحافة هو أعلى الأصوات وأقواها وأكثرها حدة فى الدفاع عن محمد صبيح إبان المحنة.

حدث يوما أن كنا على مائدة الطعام التى دعا إليها الدكتور كمال أبو الخير فى كازينو قصر النيل وكان بين الحاضرين الأستاذ الكبير أنيس منصور فأنس الحاضرون فيه القدرة على تصحيح وضع الأستاذ محمد صبيح بعد المحنة وانبرى الحاضرون يتبارون فى الكلمة الواحد تلو الآخر وكان الأستاذ أنيس منصور كلما امتلأت أذنه اليمنى صغر لهم اليسرى ولكن شيئا من الجهد لم يبذل أو على الأقل تلك كانت النتيجة.

بهذه المناسبة أذكر أنه بينما كان الأستاذ صبيح رئيسا لدار التعاون صدر قرار بوقف الأستاذ أنيس منصور عن الكتابة فى الصحف القومية فلاذ بالأستاذ محمد صبيح الرجل القوى الأمين ليلحقه بالعمل فى الدار ويسند إليه مهمة إصدار مجلة المعرض الصناعى الزراعى إلى أن زالت الغمة وعاد أنيس منصور ومعه الأستاذ عباس أحمد كل منهما إلى موقعه.

وأذكر كذلك أن الأستاذ رائد العطار نائب رئيس تحرير الأهرام الآن كان ضمن من استقبلهم محمد صبيح فى دار التعاون وأقامه مديرا للتحرير وما دامت الأمور بخواتيمها فإننى لا أود أن أذكر المقدمات وعندما عاد المهندس سيد مرعى إلى موقعه عاد الأستاذ محمد صبيح إلى موقعه كذلك وهذه منة للمهندس سيد مرعى تحسب له وتضاف إليه، أقول عندما عاد الأستاذ محمد صبيح إلى موقعه بكل صلاحياته وقف بين يديه الذين سددوا له الخناجر ليقول لسان حالهم ماذا أنت فاعل بنا؟ فيقول تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح "إذهبوا فأنتم الطلقاء".

كان للأستاذ محمد صبيح نشاط إذاعى فكان يتبادل مع صديقه المهندس محمود فوزى الحديث فى البرنامج الإذاعى الريفى الذى كانت تعده وتقدمه السيدة ـ فوزية المولد.

كان محمد صبيح يتحدث إليك وهو يكتب ويتبادل الحديث فى التليفون وهو يكتب ويملأ القاعة بابتسامته الحلوة وهو يكتب ويصدر أوامره وتعليماته وهو يكتب ـ كان إنسانا عفوا وكان قبل ذلك كاتبا وأديبا حتى وهو مريض لا يملك حق الرقاد الكامل على فراشه كان يكتب فلما أوشك القلم أن يخذله بدأ يملى وكأنه يكتب وهذه هى القدرة التى أتاه الله إياها ليكون مثلا وقدوة.

فى أحد الأيام وكنت أجلس إليه فى مكتبه أمسك كعادته مجموعة من الورق الدشت وأخذ يكتب ولم أكن أعرف ماذا يكتب وبعد لحظات ناولنى مجموعة من الأوراق كتبت عليها مقدمة كتاب يحوى مجموعة ما صدر لى تحت عنوان آراء حرة فى جريدة التعاون يتصدرها عنوان كتبه كالآتى:

آراء حرة بقلم المحارب شمس الدين خفاجي :وكانت صفة المحارب هى الصفة التى يحلو له أن يدعونى بها كلما خضت معركة من معارك حياتى.

فى العاشر من رمضان الموافق ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ كنا كعادتنا السنوية نتناول طعام الإفطار فى مكتبته وأذكر بين الحاضرين الدكتور محمد حلمى مراد والدكتور على الرجال والأستاذ حامد دنيا والدكتور كمال أبو الخير ومجموعة من الأصدقاء الذين اعتادوا هذه الجلسة وبينما كانت زوجة ابنه طارق تطوف بأشهى الأطباق التى تقدمها انطلق مع مدفع الإفطار بيان من الإذاعة المصرية يحكى قصة عبور قواتنا المسلحة بين الساعة الثانية بعد الظهر وبين لحظة إذاعة البيان فوقف محمد صبيح يهتف من كل أعماقه ومن كل شبابه وهو الشيخ الكبير، المجد لمصر ووجدنا أنفسنا نردد الهتاف وكان هذا الهتاف هو شعار حركة مصر الفتاة التى كان محمد صبيح أحد قادتها.

لقد كان الأستاذ محمد صبيح طوال حياته راعى حزب العمل الذى قام على أنقاض الحزب الاشتراكى وليد حزب مصر الفتاة وكان الأستاذ محمد صبيح قد نقل إلى عرضا بأن أتبوأ منصبا رفيعا فى قيادة هذا الحزب ولكنى اعتذرت لسببين الأول أننى كنت قد انشققت مع بعض قيادات مصر الفتاة بقيادة الأستاذ فتحى رضوان وكونا اللجنة العليا للحزب الوطنى على أثر تأييد الأستاذ أحمد حسين ــ وهو فى معتقله ــ فى بيان نشرته جريدة المصرى لسان حال حزب الحكومة يؤيد فيه موقف النحاس باشا من هذا الحادث الذى رأينا أنه امتهان للملك ممثل الشعب ــ حتى ذلك الحين وتواطؤ له خبئ بين حزب الوفد والمستعمر فلم يكن طبيعيا أن أنكص على عقبى، السبب الثانى ــ وما زلت عند هذا الرأى أننى أبيت أن أزج بالحركة التعاونية التى استغرقتنى فى مضمار حزبى لا تؤمن عاقبته ..مرضت زوجة محمد صبيح مرضا استهلك أنفاسها وكأنما الرجل هو الذى مرض وتجرد من كل ما يملك من عقار ومنقول فى سبيل علاج هذه الزوجة المصون التى عانت طوال حياتها الزوجية ما عانت من ظروف الاعتقال والسجن والضياع وما يشبه التهلكة فلما قضت نحبها أقام لها ضريحا داخل مسجد أنشأه خصيصا لها فى مدافن البساتين وكما هيأ لى الأستاذ أحمد أبو الغار أرضا فى مدينة الأوقاف أقمت عليها صرحا لى ولأبنائى هيأ لى الأستاذ صبيح أرضا أقمت عليها المثوى الأخير قريبا من مسجده بناحية البساتين.

وفاء للأستاذ محمد صبيح قدم لى أخى محمد رشاد السيدة ــ فايزه صبيح وهى طالبة بالمعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية لألحقها بمكتبى كرئيس للاتحاد التعاونى الإسكانى

المركزى وحصلت على البكالوريوس ثم دبلوم الدراسات العليا وطاب لها العمل مديرا للتدريب بالاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى وأصبحت أقنع بأن أراها بين الحين والآخر صعودا ونزولا على سلم المبنى كما سعدت بها وأنا أقدم إليها باسم الجمعية العربية للعلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين جائزة التفوق، لقد تفوقت فايزة صبيح على نفسها عندما انقطعت لعلاج والدها والتوفر على راحته فلما فاضت روحه إلى بارئها وهبت مكتبته الكبيرة والمتكاملة إلى نقابة الصحفيين لتحتل موقعا ممتازا فى مبناها.

توفى الأستاذ محمد صبيح عن عمر يناهز الخامسة والسبعين فى مدينة القاهرة وكان من مواليد بنى سويف فلما فاضت روحه بكيته كما لم أبك صديقا من قبل فقد كان وحده موضع سرى، بكيته وذرفت كل الدموع التى ذرفتها الخنساء وما زلت أبلل وجهى بين الحين والآخر بدموع الأسى والألم كلما حزبنى أمر أو وخزنى خنجر لقد كنت أمسك بأول كتب الشهر المجموعة التى أصدرها محمد صبيح فى فجر حياته الجزء الأول من تأليف فتحى رضوان فلم أجد ما اختتم به هذه الكلمات إلا ما ختمه فتحى رضوان كتابه عندما مات إبراهيم أبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه عليه الصلاة والسلام "إن القلب ليجزع وإن العين لتدمع وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون".

أحمد أبو الغار

الابتسامة الحلوة على جبين التعاون فى مصر

أمين الصندوق الدائم وأستاذ التمويل التعاونى بغير منازع

أحمد محمد أبو الغار، ولد فى أول يونيه سنة ١٩٠٦ بمدينة شبين الكوم، شعر بـــاليتم أما وأبا بعد أن تجاوز سن المعاش.

أتم دراسته الابتدائية والثانوية فى مدارس المساعى المشكورة وفى سنة ١٩٢٥ التحق بوظيفة مدرس بمدرسة شبراخيت الابتدائية لمدة سنتين.

يذكر من بين تلاميذه المطرب محمد عبد المطلب الأحمر، والمستشار عوضى رجـــب عديل فضيلة الشيخ الباقورى.

وبعد عامين من مزاولة مهنة التدريس، وفى فترة الأجازة الصيفية شعر بقلق شـــديد إزاء مستقبل الحاصلين على المؤهل الثانوى.

فى ذات الوقت اجتاز بنجاح الاختبارات التى أجريت للمتقدمين فى مسابقة مدرسين بمدارس العروة الوثقى بالإسكندرية.

ولكنه ترك وراء ظهره مهنة التدريس والتحق بالقسم المسائى فى مدرسة التجـــارة العليا (كلية التجارة الآن)، وكانت تشغل مبنى بشارع الشيخ ريحان بالقاهرة والذى تشغله الآن مدرسة الغربية الإعدادية.

كانت الدراسة تبدأ فى الفترة المسائية بين الساعة الثانية والساعة الســابعة مســاء، وكان عدد طلاب هذه الفترة عشرين طالبا، كان ذلك فى سنة ١٩٢٧، وذات يوم، جاءتـه دعوة من المرحوم الأستاذ /على مصطفى صاحب ومدير مدارس الجامعة الإسلامية بالقبـــة والزيتون والتى ما زالت تشغل حتى اليوم مبان عدة بشارع سليم الأول.

وعرض عليه التدريس فى الفترة الصباحية التى لا تتعارض مع فترة دراسته المســائية بمدرسة التجارة العليا فقبل وظل على ذلك مدة سنتين، ما زال يذكر من تلاميذه فى هـــذه المدارس المغفور له السيد /محمد أنور السادات رئيس الجمهورية الراحل، ولم يكـــن أنـــور السادات متميزا عن غيره من الطلبة ولم تبد عليه وقتها علامة من علامات التفوق.

وعندما ألغت مدرسة التجارة العليا القسم المسائي وضمت طلبتــه إلى مجموعــة الصباح، هجر مهنة التدريس وتفرغ للدراسة حتى أتمها فى سنة ١٩٣١.

كانت الحالة الاقتصادية فى مصر، بل وفى العالم، سيئة للغاية، حــتى أن الحكومــة والشركات فصلت الكثيرين من وظائفهم وأوقفت تثبيت الموظفين، كما أوقفت علاواتهــم السنوية.

كان التفكير فى إنشاء بنك التسليف الزراعى فكرة تراود رجال الاقتصاد والسياسة فى مصر منذ أوائل القرن العشرين، وشكلت حكومة الوفد لجنة برئاسة مصطفى النحــاس باشا ومقررها مكرم باشا عبيد سكرتير الوفد ووزير المالية فى الوزارات الوفدية، وشارك فى أعمال اللجنة عدد كبير من كبار رجال الاقتصاد مصريين وأجانب نذكر من بينهم محمــود باشا شكرى (أول رئيس للبنك) ويوسف باشا النحاس.

أعدت اللجنة مذكرة حول أهداف البنك وأوجه نشاطه تعد فى رأى الأستاذ /أحمــد أبو الغار الذى ضمنها أحد كتبه الدستور الاقتصادى الذى ما حادت عنه مصر يومــا إلا وتدهور وضعها الاقتصادى وما تمسكت به مصر إلا وتخطت مواطن القوة.

ولكن تأسيس بنك التسليف الزراعى جاء فى سنة ١٩٣١ بعد إقالة حكومة الوفــد وتولى إسماعيل صدقى باشا الحكم، من حسن الحظ أن إسماعيل باشا صدقى كان أحد أعضاء اللجنة التى أعدت هذا المشروع أو هذا الدستور، ولذلك عندما تولى رئاسة الوزراء أصــدر مرسوما بإنشاء البنك.

يقول أحمد أبو الغار، كان تخرجنا فى ذات العام فألا حسنا فقد وجهنا المغفور له عبـد الله بك فكرى أباظه رئيس نادى التجارة إلى مقابلة إبراهيم رشيد سكرتير صدقى باشا وزوج ابنته الذى بدوره قدمنا إلى الباشا الذى رتب لنا لقاء به فى مكتبه بوزارة المالية وأخذ يتحدث إلينا ثلاث ساعات وهو جد سعيد.

والحديث ما زال للأستاذ /أحمد أبو الغار.

قال :ما التقيت فى حياتى برجل على هذا النحو من الجدية والكفــاءة والذكــاء والشجاعة بمثل ما التقيت برئيس الوزراء إسماعيل باشا صدقى، بل أننى اعترف أننى ما زلت فخورا بأننى التقيت بمثل هذا الرجل العظيم وجها لوجه بصرف النظر عن سلوكه السياسى.

إن المذكرة التى أملى عناصرها صدقى باشا على الخريجين صدرت فى اليوم التـــالى قرارات وزارية واجبة التنفيذ وكان لصدقى باشا فضل ترشيحنا لدى محمود باشا شـــكرى أول رئيس للبنك.

وفى اليوم التالى صدر قرار التعيين يشمل اثنين فى المركز الرئيسى وواحدا فى كل فرع من الفروع المنتشرة فى سائر المحافظات.

كان من حظ الأستاذ أبو الغار العمل سكرتيرا لفرع شبين الكون ثم نائبا لتوكيـــل الدلنجات ثم مديرا مساعدا لفرع البحيرة فمديرا مساعدا لفرع المنوفية فرئيسا للحسـابات بالبنك الرئيسى ثم مديرا لفرع المنيا.

كان أحمد أبو الغار هو الوحيد الذى تلتقى عنده الزعامات المتناحرة فى محافظة المنيـا عائلات الشريعى وللوم وعبد المولى، على ما هو معلوم من حوادث الثأر بـــين العـــائلتين الأخيرتين، شخص واحد فى المنيا كان صديقا للجميع هو أحمد أبو الغار وموئل واحد فى المنيا يجتمعون عليه هو بنك التسليف الزراعى.

يعتبر أحمد أبو الغار عمله فى المنيا نقطة الانطلاق إلى آفاق بعيدة، ويزداد حماسه وهو يتحدث إليك عندما يكون الحديث عن فترة عمله بالمنيا، التى نقل منها مديرا لفرع بنـــها عاصمة القليوبية حيث توثقت بينه وبين المهندس /سيد مرعى صداقة لا تنسى، ثم التحـــق الأستاذ /أبو الغار بالبنك الرئيسى مفتشا عاما ثم رئيسا للحسابات ومنها مديـــرا لقســم التعاون الذى شغله قبله الدكتور يحيى الدرديرى لاحقا للأستاذ سامى أبو العز الذى كـــان وقتها وكيلا عاما للبنك بينما كان رئيس البنك الشافعى اللبان.

كان مكتب الأستاذ /أبو الغار فى قسم التعاون بالمبنى القديم بشارع صبرى أبو علـم الذى يملكه الآن البنك الوطنى، ملتقى التعاونيين، ففى عهده كانت قد تبلورت فكرة تحويل البنك إلى بنك تعاونى وكان من اختصاص قسم التعاون نقل ملكية أسهم البنك غير المملوكة للحكومة من مالكيها من البنوك والشركات والهيئات والأفـراد إلى ملكيـة الجمعيـات التعاونية.

أذكر أن اللجان التحضيرية للمؤتمر التعاوني العام سنة ١٩٥٦ والذى شهده الرئيس عبد الناصر كانت تلتقى فى مكتب رئيس قسم التعاون وفى هذا المكتب تلتقى وتتصارع الأفكار والآراء.

أذكر أننى كنت رئيسا للجنة الاتحادات التعاونية التى تضم رؤساء الاتحادات وكان بين هؤلاء القادة والرواد الدكتور /إبراهيم باشا مراد رئيس اتحاد السنبلاوين فإذا طلب الكلمة رفع يده فى أدب وفى ديمقراطية تعثر فى فهم مدلولها بعض القادة والرواد فيما بعد.

كان المهندس /سيد مرعى رئيسا لمجلس إدارة البنك وعضوا منتدبا فى ذات الوقت للجنة العليا للإصلاح الزراعى المفوضة باختصاصات مجلس الإدارة، كان يقضى بعض وقته فى البنك وبعض وقته فى مكتبه بقصر عابدين وفى هذا المكتب الأخير التقينا.

كان المهندس /سيد مرعى أول المفكرين والمطبقين لتجربة الائتمان الزراعى فى مصر. يقول الأستاذ /أحمد أبو الغار:

التقيت بالمهندس /سيد مرعى فى إحدى الحفلات بفندق سمير أميس فانتحى بى جانبا وسألنى الرأى فى إمكان إقراض المستأجرين بضمان المحصول فأبديت له ارتياحى لهذا النظام بشرط أن تشمل التجربة إقراض كبار الملاك والمستأجرين وكان من تجاوزت حيازته ثلاثين فدانا غير جائز إقراضه قروضا نقدية.

وقلت والكلام للأستاذ أبو الغار تستطيع أن تقرض هؤلاء وهؤلاء إذا أنشأت جمعيات تعاونية زراعية وإلحاقهم بعضويتها ففى هذه الحالة لا تعارض فى إقراض هؤلاء فى نطاق قوانين وتعليمات البنك.

وبدأنا بتطبيق التجربة فى نحو(١٥) جمعية من جمعيات الإصلاح الزراعى شارك فيها من قيادات الإصلاح المهندس /حافظ عوض والمهندس /محمود فوزى، وبنجاح التجربة تم تعميمها فى ثلاثة مراكز إدارية:

١ ـ مركز ميت غمر ويرأس اتحاده التعاونى الأستاذ محمد الجمال

٢ ـ مركز شبين الكوم ويرأس اتحاده التعاونى الأستاذ حسن الشافعى شقيق وزير الشئون الاجتماعية.

٣ ـ مركز المنيا ويرأس اتحاده التعاونى الأستاذ عامر محمد عامر أبن عم المشير.

ثم أضيف بناء على مذكرة مسببة مركز السنبلاوين حيث التجربة التعاونية الناجحة التي يقودها رئيس اتحادها التعاوني الدكتور إبراهيم رشاد.

وشكلت لجنة لتطبيق التجربة بعد التوسع فيها وشملت جميع المحافظات على الوجه الآتي:

١ ــ أحمد أبو الغار مدير عام الائتمان والتعاون بالبنك.

٢ ــ أحمد زكي الإمام مدير عام الائتمان بالوزارة.

٣ ــ محمد الجمال رئيس اتحاد ميت غمر.

٤ ــ عامر محمد عامر رئيس اتحاد المنيا.

٥ ــ حسن الشافعي رئي اتحاد المنوفية.

وكان لكل من المهندس فخرى مهنا والأستاذ محمد بهجت رمضان والسيد كمال الدين حسين دور في التطبيق.

كان أساس الائتمان الزراعي التعاون ما يلي:

١ ــ لا يجوز صرف القروض العينية أو النقدية إلا لأعضاء الجمعيات التعاونية سواء منهم كبار الزراع أو صغار الزراع.

٢ ــ الصرف بضمان المحصول.

٣ ــ الجمعيات الزراعية يشرف على كل منها مندوب من البنك لضمان سلامة الإقراض.

ونجحت التجربة نجاحا حقيقيا بنسبة ١٠٠ % في القروض، ١٠٠ % في التحصيل، ١٠٠ % في التسويق.

كيف التحق أبو الغار بالحركة التعاونية؟

طالب الموظفون في البنك بإنشاء جمعية تعاونية للتسليف أسندت رئاستها للأستاذ سامي أبو العز، ثم خلفه على رئاستها الأستاذ أحمد أبو الغار.

ولما نشأت المؤسسة العامة التعاونية للإسكان سنة ١٩٦١ تطبيقا للقانون رقم ٢٦٧ لسنة ١٩٦٠ بالمؤسسات العامة التعاونية تم إعادة شهر هذه الجمعية كجمعية لبناء المساكن على أن يخصص الإقراض لأغراض الإسكان.

وما زالت مدينة بنك التسليف ضمن مدينة الأوقاف بقسم العجوزة تعلن عن نجـاح هذه الجمعية فى توفير مساكن للموظفين.

ملاحظة ــ الأستاذ أحمد أبو الغار حصل لى على قطعة أرض فى هذه المدينة بالشـراء من سكرتير الجمعية أقمت عليها مسكنا يؤوينى وأفراد أسرتى وكانت تشملنى وقتذاك صفتى كمستشار للمؤسسة العامة التعاونية الزراعية التى كان يتبعها البنك ألم أقل لكم أن لأحمد أبو الغار على كل الأصدقاء فضلا لا ينسى وجميلا لا ينكره إلا جاحد.؟!!

كيف انضم إلى اتحاد القاهرة..؟

كان اتحاد القاهرة يقع فى شقة ملك سكرتير الاتحاد الأستاذ حسن حسنى المفتـش بشركة أتوبيس النقل العام بالقاهرة، كان يستخدم الشقة مدرسة ابتدائية وقسما لمحو الأمية بالإيجار صباحا ومعهدا للتعاون بالإيجار أيضا فى الفترة المسائية أما نشاط الاتحاد فكان يضـم مكانا على هامش الكتاب.

كان الاقتصادى الكبير عباس الرمالى وقتها رئيسا لمجلس إدارة الاتحاد خلفا للمغفور له الدكتور يحيى الدرديرى، وكان سكرتير الاتحاد حسن حسنى هو أنشط أعضائه إلى جانب مرشد تعاونى موظف، وعندما جاء الدور على مجلس الإدارة لإعادة تشكيله وعلى كل مـن الأستاذ أحمد أبو الغار مدير قسم التعاون بالبنك والأستاذ أنور حمدى مدير فـرع القـاهرة (جواد حسنى) للانضمام لمجلس الإدارة فى تشكيله الجديد، وتم التشكيل بالتزكية.

رأى أحمد أبو الغار أنه لا مفر للفرار بالاتحاد من هذا الجو الخانق من تعيـين مدير أسوة بالاتحادات الأخرى التى تطبق نظام الائتمان التعاونى ومن شأن نظام الائتمان أن يكون لكل اتحاد مدير من بين الأخصائيين التعاونيين فى وزارة الشئون الاجتماعية بطريـق الإعارة وتتحمل الوزارة مرتبه بالكامل.

لجأ أبو الغار إلى السيد حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية وأقنعه بالموافقة على تعيين أحمد أيوب ــ وكيل مصلحة الفلاح السابق، والمقيم وقتها فى بلدة كفر أيوب بالشرقية بأن يكون المدير المنشود، وهو رجل مشهود له بالكفاءة والنزاهة والخبرة التعاونية الواسعة، وكان فى ذات الوقت الرئيس السابق للاتحاد التعاونى بمحافظة الشرقية.

وأوفد الوزير إبراهيم مظهر وكيل الوزارة لشئون التعاون ليشهد بنفسه جلسة مجلس الإدارة لضمان الحصول على موافقة المجلس على ترشيح المدير، والذى تتحمل الوزارة مرتبه بالكامل، فأسقط فى يد المجلس ووافق بالإجماع على التعيين.

كانت الخطوة التالية لاستكمال عملية التحرير الانتقال من السبتية إلى متنفس آخر فى مقر جديد لائق وتصادف أن كان شكرى زكى مراقب عام الشئون الاجتماعية بالغربية قد فرغ من إقامة عمارة جديدة قيدت برقم ١٦٨ شارع التحرير بباب اللوق وحصل الاتحاد على شقتين فيها إحداهما مقر للاتحاد والثانية مقر للمعهد.

فى هذه الفترة دعيت لرئاسة لجنة التعليم بالاتحاد ولم أكن بعد عضوا فى مجلس الإدارة وأيدت بدورى صديقى الأستاذ إبراهيم حسين خليل للاشتراك فى عضوية اللجنة واستأنفنا من تحت مظلة هذه اللجنة إصدار مجلة الهداية التعاونية والإشراف على شئون معهد التعاون الذى عين مدير الاتحاد مديرا له، وانتظمت الدراسة وأصدرت وزارة الشئون الاجتماعية من خلال إدارة التدريب بها اعتمادا بالنتائج وشهادات بالتخرج فى الامتحانات التالية ــ وكنت قد استقلت من رئاسة اتحاد الفيوم بمناسبة انتقالى إلى القاهرة محام أول بإدارة قضايا الحكومة ــ وأصبحت عضوا فى مجلس الإدارة من خلال رئاستى لجمعية الإسكان التى كنت أنشأتها لأعضاء إدارة قضايا الحكومة، وكان مجلس الإدارة يمثل جميع فئات الجمعيات التعاونية الزراعية والاستهلاكية والفئوية والإسكانية.

كان للأستاذ محمد محجوب رئيس مكتب مقاطعة إسرائيل فى الجامعة العربية فضل كبير فى انتخابى وفى غيبة الأستاذ أبو الغار عن الجلسة الأولى، تمكن الأستاذ فتحى لطفى الرفاعى من الحصول على أغلبية الأصوات وفاز بالرئاسة واختير الأستاذ أحمد أبو الغار نائبا للرئيس وفزت بمنصب سكرتير الاتحاد ورئيس لجنة التعليم بالمجلس.

ومعلوم أن وزارة التعليم أصدرت قرارا بتعطيل الدراسة بمعهدى التعاون التجارى بالاتحاد والزراعى بكلية زراعة عين شمس.

وعندما أصدر المهندس سيد مرعى قرارا بأن تشرف المؤسسة العامة التعاونية الزراعية على معهدى التعاون التجارى والزراعى وتشكل منها مجلس إدارة برئاسة عميد كل كلية شمل القرار أحمد أبو الغار ضمن أعضائه ممثلا لاتحاد القاهرة الذى اشترط أن يمثل فى إدارة

المعهد دائما بثلاثة من أعضائه كنت ثانيهم بينما كان الأستاذ فتحي لطفي الرفاعي ثالثهم إلى أن تخلى عن منصبه فى الاتحاد فهاجرنا بالمعهد من مقره بالاتحاد إلى أحد مدرجـــات كليـــة التجارة.

وبانشغال فتحى الرفاعي بعضوية مجلس الشعب عن دائرة مصر الجديدة فيما بعـــد وتخلى عن رئاسة الاتحاد أجرينا تعديلا فى المناصب وأسندت الرئاسة إلى الأستاذ أحمد أبـــو الغار الذى رأى بعد وقت قصير التخلى عن هذا المنصب لى واختير المهندس إبراهيم البدوى سكرتيرا.

ومن خلال صوت الأستاذ أبو الغار فى شريط التسجيل الذى تم تسجيله فى بيته قال أنه ليس صحيحا أن أحدا انتزع منه رئاسة اتحاد القاهرة بغير حق، وأنه هو الـــذى أقتنـــع بضرورة إسناده إلى الرجل الذى اقتطع من وقته وجهده الكثير ليكون أهلا لتولى منصـــب الرئاسة، وأنه لا يحب منصب الرئيس ولا يرشح نفسه له لأنه عازف عن المنصب الذى قـــد يؤدى إلى الاشتباك بدون مبرر، مع الجهات الرسمية ثم أضاف، أن منصب الرئيس لا يغريـــنى ولا يعجبنى.

كان للأستاذ أبو الغار الفضل الكبير فى إجراءات تصفية الجمعية التعاونية للاتجـــار بالجملة وحصل للاتحاد من خلال التصفية على نحو نصف مليون جنيه انتزع الاتحاد الزراعى منها بقرار من المهندس سيد مرعى وزير الزراعة والأستاذ محمد مرزبان وزير التموين علـــى خمسين ألف جنيه منها بحجة أن القطاع الزراعى كان يمثل ٩٠ %من عـــــدد الجمعيـــات التعاونية الأعضاء فيها.

وإذا كانت الجمعية التعاونية العامة الاستهلاكية تنعم بتمويل مريح فـــالفضل كـــل الفضل يرجع إلى أيلولة ناتج تصفية جمعية الاتجار بالجملة إليها فور تكوينها.

ولهذا كان من الطبيعي أن يقع الاختيار على أبو الغار ليكون أول أمين لصنـــــدوق الجمعية فى الوقت الذى شرفنى إخوانى بانتخابى أول رئيس لمجلس إدارتها.

للأستاذ أبو الغار الفضل فى الحصول على تفويض من الجمعيات التعاونية التى كانت ضمن المساهمين فى بنك التسليف الزراعى والتعاونى ـــ قبل التأميم ـــ بغرض الحصول علـــى أموالها لدى البنك المؤمم، ومن هذه الأرصدة حصل الاتحاد على عـــائدين، العـــائد الأول

١٠ %مصاريف إدارية والعائد الثانى ناتج التصفية الخاص بجمعيات صدرت قرارات سابقة بحلها وتصفيتها، ومن هذه الأرصدة ومما اقتطعه من ناتج تصفية جمعية الاتجار بالجملة ينعم اتحاد القاهرة برصيد لا بأس به يدير حركته حتى اليوم.

وعندما أتيحت الفرصة لتصحيح بعض الأوضاع استصدر دفاتر خصيصا باسم مجلة صوت التعاون ــ التى كانت تصدر بالفيوم ــ ليحل محل الترخيص القديم باسم الهداية التعاونية، وبدأت صفحة جديدة.

أبو الغار والدكتور جابر جاد عبد الرحمن:

قليلون من يعرفون أن الأستاذ أحمد أبو الغار عندما كلف من وزير الشئون الاجتماعية بترشيح من يتولى رئاسة لجنة التعاون بالاتحاد العربى وكانت مكونة من بعض رؤساء الاتحادات التعاونية، لم يجد خيرا من الدكتور جابر جاد عبد الرحمن ليكون هذا الرئيس.

كان السيد كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الشئون الاجتماعية السابق ووزير التربية والتعليم ونقيب المعلمين فيما بعد، يشغل منصب الأمين العام للاتحاد القومى وكان صهره الأستاذ محمد بهجت رمضان رئيس اتحاد القليوبية مديرا لإدارة التعاون بالاتحاد القومى وقد عين الدكتور جابر جاد عبد الرحمن رئيسا للجنة التعاون والأستاذ بهجت رمضان فى منصب مقرر اللجنة (وكنت بصفتى رئيسا لاتحاد الفيوم عضوا بهذه اللجنة).

والحديث عن هذه اللجنة وقراراها بشأن عدم احتياج الدولة إلى معاهد خاصة بالتعاون كان تحت تأثير رأى الدكتور جابر الذى عاد وأقر بمشروعية هذه المعاهد عندما ندب محاضرا بها.

الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

صاحب أول مؤلف تعاونى قدرته الدولة

رفعه تواضعه إلى أعلى الدرجات

ينتمى الأستاذ الدكتور /جابر جاد عبد الرحمن إلى أسرة تعيش فى إحدى قرى محافظة بنى سويف.

فى سنة ١٩٥٥ كان الدكتور /محمد حسن العشماوى باشا المستشار بإدارة قضايا الحكومة ووزير المعارف وأستاذ القانون فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية يشغل منصب المسئول عن الشئون الاجتماعية بجامعة الدول العربية (حل محله أحد أبنائه فما بعد الدكتور عبد الوهاب العشماوى).

ولما كان النشاط التعاونى يدخل فى شمول الشئون الاجتماعية فقد رشح الأستاذ الدكتور جابر جاد عبد الرحمن مشرفا على هذا النشاط وكان يشغل وقتها منصب المدرس بكلية الحقوق بجامعة القاهرة.

يهمنا أن نشير إلى أنه كان للدكتور جابر جاد عبد الرحمن اتصال بشكل ما ببعض الدول العربية فقد شغل منصب العميد بكلية الحقوق بجامعة بغداد، والذين التقوا بى فى بغداد على مدى سنوات طويلة فى الستينيات والسبعينيات يتحدثون عن الدكتور /جابر جاد عبد الرحمن حديث الأساطير، كان نموذجا للأستاذ المحاضر والوالد والأخ والصديق حتى ذاع صيته فى العراق وخارجها بما انطبع أثره على نشاطه فى مصر، وكان التحاق الدكتور/ جابر جاد عبد الرحمن بالنشاط التعاونى فى جامعة الدول العربية ذا جذور ضاربة فى أعماق علاقته بالأشقاء فى بغداد.

وللعلم فإن الدكتور /جابر جاد عبد الرحمن أساسا أستاذ فى القانون الدولى الخلص، وهذا التخصص لا يتصل بالتعاون كعلم أو تطبيق بسبب. فما هو السبب الذى ربط اسم الدكتور /جابر جاد عبد الرحمن بالتعاون؟

سبق أن ذكرنا أنه رشح مشرفا على النشاط التعاونى ضمن نشاط الشئون الاجتماعية فى جامعة الدول العربية فإن الأستاذ /محمد حسن العشماوى باشا المشرف العلم

على هذا النشاط يرتبط أساسا بتدريس قانون المرافعات، وهو قانون منبت الصلة كذلـــك بالتعاون.

التعاون يتم تدريسه عادة فى كليات الحقوق كجزء من محتوى مــــادة الاقتصـــاد السياسى وهذا هو سندنا العلمى فى الاتصال القوى بالتعاون فيما بعد، باعتبار أن الاقتصـــاد السياسى هو مادة التعريف بالنظم الاقتصادية كافة سيان منها النظام التعاونى أو الاشـتراكى أو الشيوعي أو الاقتصاد الحر.

ولما كان رجل القانون لا يستعصى عليه أيا كان تخصصـــه، كمـــا رجـــل الإدارة والاقتصاد والسياسة إعادة تأكيد دراسته العلمية فى أى فرع من فروع القانون، والتعـــاون أحد هذه الفروع وأوثقها بعلم الاجتماع، لذلك كان يسيرا على الأستاذ الدكتور /جـــابر جاد أن يستعيد إلى الذاكرة هذه المعلومات وأن يؤكدها من خلال مرحلة اشتغاله بالتعاون فى جامعة الدول العربية، من أجل ذلك جاء كتابه فى اقتصاديات التعاون الذى أدره فى ســـــنة ١٩٥٦ حصيلة زياراته الميدانية التى قادها رواد التعاون وخبراؤه فى البلاد العربية إلى دول العالم شرقها وغربها، إلى حد أنه ضمن كتابه هذا تفاصيل عن المستعمرات التعاونية الزراعيـة فى إسرائيل، كما فى الاتحاد السوفيتى وأشاد بالتجربتين فى حيدة وموضوعية فى الوقت الذى كان مجرد ذكر عبارة دولة إسرائيل دون إلحاق اسمها بكلمة "المزعومة" جرما لا يغتفر يعرض صاحبه للملام.

ولما عاد الدكتور /جابر جاد عبد الرحمن من جولته فى العالم كان عليه أن يقود القافلة إلى مناطق التطبيق التعاونى فى مصر.

وإذا كان الدكتور لم يستعن بقيادات وزارة الشئون الاجتماعية ــــ مصلحة التعـاون ــــ فى برنامجه النظرى أثناء فترة التدريب فقد وضعوا فى طريقه العقبات للقيام بهذه الرحلة.

لذلك أوفد السيد حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية من أسر فى أذن الأسـتاذ أحمد أبو الغار بأن يتولى هو ــــ وهو رئيس لقسم التعاون فى البنك ــــ مهمة إعداد البرنـــامج التنفيذى لهذه الرحلة الميدانية.

ونجح أحمد أبو الغار ـــ رجل العلاقات العامة أن يجعل الدكتور جابر يشيد بفضلـــه وبجهده ويستعين به فيما بعد فى استكمال الجانب النظرى فى ضوء التطبيق الذى أسفرت عنه الزيارة.

من هنا توثقت العلاقة بين الأستاذ أبو الغار وبين الدكتور جابر جاد عبـد الرحمـن وصارا صديقين يكاد لا يمضى وقت إلا إذا التقيا.

عندما كان السيد /كمال الدين حسين أمينا عاما للاتحاد القومى ـــ التنظيم السياسى الوسيط بين هيئة التحرير والاتحاد الاشتراكى ـــ أوفد إلى الأستاذ أبو الغار من يطلب ترشيح مسئول عن التعاون فى الاتحاد القومى فرشح على الفور الأستاذ الدكتور /جابر جاد عبـــد الرحمن، كان ذلك سنة ١٩٥٧ فى حين ولى عمادة كلية الحقوق سنة ١٩٦٢ ورئاسة جامعة القاهرة بعد ذلك.

وبالرغم من أن هذا المنصب الذى رشح له الدكتور جابر كـــان أول المنـــاصب السياسية فى عهد الثورة، إلا أن كفاءة الرجل وحسن خلقه أهلاه للصعود درجة درجة إلى أن بلغ الذروة فى سلم العمل السياسى عضوا فى اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى الـــتى يرأسها الرئيس جمال عبد الناصر وتعتبر بمثابة مجلس الرئاسة بالنسبة لشئون الحكم، فلم يكن كل أعضاء مجلس الثورة أعضاء فيها، بينما كان من بين أعضائها السيد /علـــى صـــبرى والسيد /محمد ضياء الدين داود والأستاذ الدكتور /محمد لبيب شقير رئيس مجلـس الأمـة وأمين اللجنة الاقتصادية بالاتحاد الاشتراكى، واستطاع الدكتور جابر جاد أن يجد لنفســه مكانا رفيعا بين هؤلاء القادة.

وفى لجنة التعاون بالاتحاد القومى التى رأسها الدكتور جابر جاد عبد الرحمن، وأهلـه لذلك كتاب اقتصاديات التعاون ـــ أول كتاب علمى يصدر عن التعاون فى مصر باســتثناء كتاب الدكتور إبراهيم رشاد الذى كان يدرس التعاون لطلبة كلية الزراعة ومن تلاميـــذه الذين أذكرهم المهندس /سيد مرعى.

وإن يكن الكتاب قد صدر منه الجزء الأول فقط باسم البنيان التعاونى ولم تصدر باقى الأجزاء، إلا أن الكتاب بشهادة الدولة التى منحته جائزتها عنه ما زال حتى اليوم من نفـــس المؤلفات التعاونية الصادرة باللغة العربية.

التقيت بالدكتور /جابر جاد لأول مرة كعضو بلجنة التعاون بالاتحاد القومي .وفى الجلسات الأولى وكان من أعضائها بعض رؤساء الاتحادات التعاونية والأستاذ أحمد زكي الإمام، والأستاذ محمد بهجت رمضان مقررها ومدير إدارة التعاون بالاتحاد القومى كان من أبرز اهتمامات اللجنة البحث عن السؤال الحائر فى أروقة وزارة التعليم العالى.

هل الدولة حقا فى حاجة إلى معاهد خاصة بالدراسات التعاونية؟

وصدرت الفتوى بأغلبية الآراء فى ضوء الاعتبارات التى أبداها الدكتور جابر جاد عبد الرحمن بأن الدولة ليست بحاجة إلى معاهد خاصة بالتعاون اكتفاء بالمركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية والذى يتولى مهام التدريب.

كان الدكتور جابر جاد عبد الرحمن أحد الأعلام الذين تولوا تدريب قيادات الفلاحين فى هذا المركز، ومن هنا ارتبطت صلته بالفلاحين، وهو يعد نفسه واحدا منهم.

لهذا، وعندما دعت أمانة الفلاحين بقيادة السيد /عبد الحميد غازى أمين الفلاحين والأستاذ /محمد إدريس أمينها المساعد إلى عقد مؤتمر الفلاحين الأول فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة برز اسم الدكتور /جابر جاد عبد الرحمن كرئيس للجنة البنيان التعاون، بينما كان مقرر اللجنة ومحركها هو الأستاذ /محمد إدريس.

واستطاع مؤتمر الفلاحين ــ ولى فيه ثلاثة أبحاث ــ أن يخرج بتوصيات ذات أهمية جيدة.

ورغم أن المؤتمر قرر تشكيل لجنة لمتابعة التوصيات أذكر من أعضائها الآن الدكتور جابر جاد عبد الرحمن، ود .زكى شبانه، وشمس الدين خفاجى وآخرين إلا أنه لم يقدر للجنة أن تعقد اجتماعا واحدا وقامت بالمهمة فى الواقع أمانة الفلاحين بالاتحاد الاشتراكى حين كنت وقتها وثيق الصلة بها كمستشار للجنة التعاون، كما كان للأستاذ محمد رشاد رئيس دار التعاون الآن دور كبير فى الإعداد للمؤتمر وصياغة توصياته.

وكثيرا ما كان يجمعنا اللقاء فى منزل الأستاذ /عبد الحميد غازى حتى وقت متأخر من الليل.

والطريف أنه فى الوقت الذى كان الدكتور /جابر جد عبد الرحمن يرى أن الدولة ليست فى حاجة إلى معاهد خاصة بالتعاون إذا به يبادر إلى التدريس فى المعهد العالى

للدراسات التعاونية والإدارية عندما دعاه الأستاذ كمال أبو الخير إلى ذلك فظل يعيد طبع كتاب اقتصاديات التعاون لطلبته حتى اختير رئيسا لجامعة القاهرة فالتزم منصبه الذى كرس له كل وقته.

الدكتور جابر جاد علامة مضيئة فى سماء الحركة التعاونية المصرية والعربية:.

أول من أدخل فكرة التعاون فى جامعاتنا وقام بتدريسها فى كليتى الحقوق والآداب فى ذلك الوقت.

وإذا كانت قد نشأت تحت مظلة الجامعة العربية فيما بعد لجنة خبراء التعاون العربى التى ساهم فى عضويتها من مصر عبد الخالق حلمى مراد والدكتور كمال حمدى أبو الخير وشمس الدين خفاجى فإن الإعداد والتحضير لتأسيس هذه اللجنة الأساس فيه للجهود العظيمة التى أبداها الأستاذ الدكتور /جابر جاد عبد الرحمن عندما كان أول من وضع لبنة فى بناء الحركة التعاونية فى جامعة الدول العربية.

هذا هو الدكتور جابر جاد عبد الرحمن الذى لم يتزوج إلا بواحدة من أبناء قريته قبل رحيله بعامين، ولم ينجب منها.

كما أن أخوه الدكتور أحمد جاد عبد الرحمن ظل طويلا أستاذا بكلية التجارة بجامعة عين شمس وأسند إليه التدريس فى المعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية ثم اجتذبه التدريس فى جامعات ومعاهد الدول العربية وأغلب الظن أنه لم يعاوده الحنين بعد للعودة إلى وطنه.

تحية لروح الدكتور جابر جاد عبد الرحمن الرجل الذى إذا وصفته بالتواضع لم تنصفه وبالعلم لم نعطه حقه والأدب والخلق الرفيع ربما نكون قد أوشكنا على النهاية وأصبت الحقيقة فى كبدها، ففى ذمة الله أيها العملاق الشامخ فى تاريخ الحركة التعاونية.

الدكتور كمال حمدى أبو الخير

راهب فى محراب التعليم التعاونى

الدكتور كمال حمدى أبو الخير من مواليد سنة ١٩٢٢، كان بين زعماء الطلبة فى مراحل الانتفاضة الوطنية فى الأربعينيات، تخرج فى كلية التجارة بجامعة عين شمس وسافر فى منحة دراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لجمع المادة العلمية ثم عاد ليحصل على الدكتوراه من جامعة عين شمس مصطحبا معه زوجته الفاضلة الأمريكية الجنسية.

موضوع رسالة الدكتوراه (إدارة المشروعات التجارية والتعاونية) وذلك على أساس أن الإدارة العلمية لا لون لها ولا جنسية وأن إيمانه بالإدارة العلمية متين.

كان الاتحاد التعاونى بالقاهرة قد أسس معهد الدراسات التعاونية التجارية سنة ١٩٥٦، عندما كان يرأس الاتحاد المغفور له الدكتور يحيى الدرديرى من زعماء الحركة التعاونية والوطنية والدينية فى مصر وفى سنة ١٩٦١ وحماية لهذا المعهد ومعهد التعاون الزراعى الذى أسسه المغفور له الدكتور أحمد عبد الغفار صالح عميد كلية الزراعة بجامعة عين شمس من قرار صدر من مدير التعليم العالى بغلق المعهدين أصدر المهندس سيد مرعى وزير الزراعة والإصلاح الزراعى المركزى مشروع القرار الذى أعددناه لسيادته واقترحناه عليه وأقنعناه بجدواه ويقضى بأن المؤسسة العامة التعاونية الزراعية وكنت مستشارا قانونيا لها ترعى المعهد العالى التجارى وتشكل له مجلس إدارة من أحد عشر عضوا برئاسة عميد كلية التجارة بجامعة عين شمس المغفور له الدكتور محمد عبد العزيز عبد الكريم وكنت قد اقترحت بين أسماء الأعضاء الدكتور كمال حمدى أبو الخير لما بينه وبين أستاذه العميد من وشائج ونقلنا تحت هذا الشعار مقر هذا المعهد من العمارة رقم ١٦٨ شارع التحرير إلى مدرجات كلية التجارة وبذلك وجدنا المكان الملائم للتوسع ورفعت مدة الدراسة من سنة واحدة إلى سنتين واختير الدكتور كمال أمينا لمجلس الإدارة ثم أمينا عاما للمعهد ثم عميدا لشئون الطلاب بترتيب بيننا فلما أحيل عميد الكلية إلى المعاش تم تصعيد الدكتور كمال عميدا للمعهد وانطلق الدكتور كمال بالمعهد يعاونه اثنان الأول الأستاذ محمود صلاح الدين المعين سكرتيرا للمعهد فور تخرجه من قبل الاتحاد التعاونى والثانى الأستاذ أحمد بهجت

أبو الخير شقيق الدكتور كمال بالإعارة من وزارة التربية والتعليم ثم من المجلس الأعلى للشباب والرياضة واشترط الاتحاد التعاوني عند نقله لملكية المعهد إلى الجمعية المصرية للدراسات التعاونية أن يضم مجلس إدارة المعهد بصفة دائمة ثلاثة من أعضاء الاتحاد هم وقتها الأستاذ فتحي لطفي الرفاعي والأستاذ أحمد أبو الغار والمستشار شمس الدين خفاجي وشكل للمجلس لجنة تنفيذية من الدكتور العميد والدكتور كمال ومنى وكان لنا حق التوقيع على الشيكات وأوراق الصرف وإدارة شئون المعهد وقد أبلت هذه اللجنة بلاء حسنا فى التنظيم والإدارة ومتابعة نشاط مراقب الحسابات المحاسب محمد على سليمان الذى تضمنه قرار المهندس سيد مرعى.

كانت الدراسة فى المعهد سنتين كما قدمت يحصل الخريج بعدها على دبلوم بالدراسات التعاونية ويلتحق الحاصلون على تقدير جيد بدراسة تكميلية للحصول على درجة البكالوريوس، ولكن لم يقتنع الدكتور كمال بهذا القدر فأعدت اللجنة التنفيذية مذكرة بتطوير الدراسة بحيث تكون متصلة ليحصل خريجوها على درجة البكالوريوس وفى زيارة للدكتور كمال لغرفة نومى وأنا طريح فراش المرض وقعت على هذه المذكرة ليكتمل لها الشكل القانونى وصدر قرار وزير التعليم العالى باعتماد هذا النظام كان ذلك سنة ١٩٦٨ كما كان للدكتور كمال جهد منفرد فى إنشاء دبلوم إدارة الجمعيات التعاونية بكلية التجارة بجامعة عين شمس وترشيحى للتدريس فى هذا الدبلوم منذ إنشائه فى ١٩٦٢ ولمدة ربع قرن، أود أن أشير للتاريخ إلى أن لجنة التعاون بالاتحاد القومى برئاسة الدكتور جابر جاد عبد الرحمن وكنت عضوا فيها قررت بأغلبية الآراء أن الدولة ليست فى حاجة إلى معاهد خاصة للتعاون ولكن بمساع خاصة لدى وزير التعليم العالى الدكتور عبد الفتاح السيد صدر قرار بتشكيل لجنة لدراسة هذا الأمر من عميدى الكليتين التجارة والزراعة ومنى مستشارا للمؤسسة العامة التعاونية الزراعية ومن المستشار أبو بكر عطية مستشار الوزير ومن الدكتور عبد الفتاح إسماعيل وكيل وزارة التعليم العالى ومن مدير التعليم العالى برئاسة الأستاذ الدكتور مرسى أحمد مدير الجامعة وقررت اللجنة أن الدولة فى حاجة إلى معاهد للتعاون وذلك بعد الشرح الوافى الذى عرضته على أعضاء اللجنة حيث كانت صلتى بمعهد التعاون الزراعى قد اتصلت كذلك بقرار من المهندس سيد مرعى عضوا فى

مجلس إدارة هذا المعهد كما ارتبطت بالتدريس فيه واشترطت اللجنة للترخيص بإدارة هذه المعاهد أن تتبع شخصا اعتباريا خاصا فعرضت على قيادات الحركة التعاونية تأسيس جمعية باسم الجمعية المصرية للدراسات التعاونية نقلت إليها ملكية معهد التعاون التجارى بينما ألحق المعهد الزراعى بجمعية خريجى المعاهد الزراعية وبذلك تحقق شرط اللجنة ونقل إلى الجمعية المصرية للدراسات التعاونية اختصاص تشكيل مجلس إدارة المعهد الأمر الذى ما زال قائما حتى اليوم.

وللدكتور كمال أكبر الفضل فى تكوين نظام البعثات الداخلية وهو النظام الذى قرر مجلس الوزراء إلغاءه مؤخرا فى سبتمبر سنة ١٩٩٧.

كنا قد انتقلنا نحن أعضاء اللجنة التنفيذية إلى مكتب السيد كمال الدين رفعت عضو مجلس الرئاسة بقصر الطاهرة وعرضنا عليه الرئاسة الفخرية للجمعية المصرية ولكنه فضل أن يكون الرئيس الفعلى المنتخب كعضو فى الجمعية فأجيب إلى ما أبداه وكان لهذا الرجل بعد أن اختير وزيرا للتعليم العالى دور كبير فى دعم المعهد ورسالته.

اختير الدكتور كمال أبو الخير للمشاركة فى تدريب القيادات التعاونية بالمركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية كما اختير عضوا فى مجالس إدارة الاتحادات التعاونية ولكنه كان مقلا فى حضور الجلسات إيثارا منه للجهد العلمى الذى يباشره وعندما اختير مؤخرا مستشارا للاتحاد العام للتعاونيات كتب إلى مجلس الإدارة بقصر مهمة المستشار على تقديم البحوث والدراسات التى تطلب منه على خلاف معى فى الرأى بالنسبة لمهمة المستشار حيث أحرص بهذه الصفة على المشاركة فى حضور جلسات مجلس الإدارة شأنى فى ذلك شأنى فى نشاط الاتحاد التعاونى العربى الذى ساهمت فى تأسيسه بمدينة بغداد ومثلت مصر فيه عضوا بمجلس الإدارة.

الدكتور كمال أبو الخير يبدى نشاطا ملحوظا كعضو فى الجمعية العمومية للحلف التعاونى الدولى وهو أحد نواب رئيس لجنة الإعلام والصحافة بالحلف، وللدكتور كمال نحو ثلاثين مؤلفا علميا باللغتين العربية والإنجليزية وقد وقع عليه الاختيار كواحد من ألفين من الرجال الذين قاموا بجهود خاصة فى تنمية أوطانهم.

الدكتور كمال يتمتع بذكاء خارق وينتصر فى جميع المعارك التى يخوضــها ويؤمــن بسياسة الخطوة خطوة ويجيد خطوها وهو ودود ويكتسب ثقة محدثيه ويعترف الدكتـــور كمال لى بدورى الرئيسى فى تأسيس الجمعية المصرية للدراسات التعاونية باعتبارى وكيــلا للمؤسسين وواضعا لنظامها الأساسى وسجلاتها وسكرتيرا عاما للجمعية بالمشــاركة معــه سكرتيرا عاما لشئون الإعلام كما يعترف بدورى الرئيسى والرائد فى تأسيس ونقل ملكيـة المعهد وفى مراحل تطويره وفى قرار رعايته الصادر من رئيس المؤسسة العامــة التعاونيـة الزراعية وبدورى فى التنظيم والإدارة والتدريس ولكن هذا الاعــتراف يــأتى مــن وراء الحجرات أما علانية فلا يفضى به إلا للعارفين.

وفى زيارتنا للدول العربية أو للدول الأوربية حيث ينعقد الحلف التعاونى الـــدولى فإننا دائما نكون صحبة وأننى بهذه الصحبة لسعيد.

حصل الدكتور كمال أبو الخير على شهادات تقدير كثيرة سلم له إحداها الدكتور فؤاد محيى الدين رئيس مجلس الوزراء فى الاحتفال بالعيد الماسى للتعاون ضمن شـــهادات التقدير المسلمة لرموز الحركة التعاونية ممهورة بتوقيعى كما حصل على وسام الجمهورية من الطبقة الثانية بمناسبة بلوغه سن الستين.. وعلى نوط الامتياز من الطبقـــة الأولى ضمــن قيادات التعاون فى مصر يشرفنى أن أكون واحدا منهم.

ولمقالات الدكتور كمال أبو الخير فى جريدة التعاون قيمة خاصة يعتز بها القـــارئ كذلك فى الصحافة التعاونية وبوجه خاص فى المجلة المصرية للدراسات التعاونية التى يــرأس تحريها فى حين كنت مديرا للتحرير منذ تقدمت بطلب تأسيسها لمصلحـــة الاســتعلامات باعتبارنا نمثل نموذجا طيبا للثنائى الناجح.

وللدكتور كمال ابنة وحيدة اسمها "كارن" التى تجيد الإنجليزية كوالديها تزوجت من زميل لها من خريجى الجامعة الأمريكية.

وللدكتور كمال شقيق هو الأستاذ أحمد بهجت أبو الخير أمين عام المعهد وهو لـه فى شئون المعهد بمثابة هارون لموسى عليهما السلام.

وإنه يختتم أحاديثه ومحاضراته دائما بهذه الآية الكريمة "إنما يخشى الله مـــن عبــاده العلماء" صدق الله العظيم.

أحمد زكى الإمام

لم أهيب وضع أحد الأصدقاء فى المرآة بمثل ما هيبت ذلك بالنسبة لأخى وصديقى وزميل عمرى الأستاذ أحمد زكى الإمام، ولد عبقريا وتوفى عملاقا..!!

عرفته فى اللحظة التى عرفت فيها طريقى إلى مصلحة التعاون فى غرفة تقع إلى يسار الصاعد إلى سلم القصر الفاخر المحلاة نقوشه بماء الذهب ومطلاة أبوابه بالمرايا والأهم من ذلك هذا الرمسيس الذى يتصدر مكتبه الغرفة ويقف بالمرصاد لكل قادم .يتصفحه ويستضيفه.

بدأ الشاب أحمد زكى الإمام عمله فى مصلحة التعاون مراجعا لميزانيات الجمعيات التعاونية فى الدرجة السابعة الفنية أولى درجات السلم الوظيفى فى ذلك الحين.

بهذه الصفة صار الرجل مرجعا فى أسماء القرى التى زارها مراجعا وخاصة قرى الصعيد، حتى أسماء رؤساء الجمعيات التى اعتمد ميزانياها على مدى سنوات طويلة ظلت فى ذاكرته كأنها سجل محفوظ.

برز بين كتاب مجلة التعاون التى تشرف على إصدارها مصلحة التعاون ورأس تحريرها الأستاذ عبد اللطيف عامر مدير عام المصلحة كما لم يفعل واحد غيره من شباب مصلحة التعاون.

كانت كتاباته من السطر الأول حتى السطر الأخير فى صميم الموضوع .وكانت تتصف بالموضوعية مع صيغة خاصة تجعل أسلوبه فى الكتابة متينا، وشجاعة فى الرأى أقلمت له استقلالية لا تؤثر فيها الوظيفة، ولا تحجبه صداقة عن قول الحق فى زمان كان الاستقلال فيه بالرأى عن مقتضيات الوظيفة جرما يساءل عليه صاحبه تأديبيا.

رأس أحمد زكى الإمام قسم التعاون الاستهلاكى بمصلحة التعاون، وفى قبالته بذات الغرفة من مبنى مجمع التحرير زميله وصديقه المهندس عبد المقصود عزت رئيس قسم التعاون الإسكانى، وصاحب مشروع مدينة التعاون فى شاعر الهرم بالجيزة، وسكرتير عام المؤسسة العامة التعاونية الزراعية فيما بعد، وواحد من أبناء الدفعة الشهيرة التى يتصدرها المهندس سيد مرعى بين خريجى كلية الزراعة وأحد الذين تعلموا فلسفة التعاون على يد المغفور له

الدكتور إبراهيم رشاد أول من درس التعاون فى كلية الزراعة إلى جانب عمله فى رئاسة قسم التعاون بوزارة الزراعة عقب عودته من بعثته فى إنجلترا وضمن جيل من الرواد قاد جهدهم ووجه فكرهم هذا الرجل العظيم الدكتور رشاد.

كتبت يوما ما ـ أداعب الأستاذ الإمام ـ مقالا فى مجلة الاتحاد التعاونى بالفيوم عنوانه" التعاون الاستهلاكى كذب ونفاق"، وقبل أن ينقضى على وصول المجلة إليه ساعة واحدة كان قد كتب لى ردا بلغ من العنف مبلغه، وكأنما أسد يذود عن عرينه، نشرته فى العدد التالى مع التقدير والاحترام، ثم يشاء القدر أن أصبح أول رئيس للاتحاد التعاونى الاستهلاكى فى مصر وأول رئيس للجمعية التعاونى العامة الاستهلاكية، وأول من ربط هذا الاتحاد بالاتحاد التعاونى العربى الذى كنت قد دعوت إلى إنشائه فى بغداد، ثم بالحلف التعاونى الدولى، ثم بهذا الربط القوى بين الحركة التعاونية الاستهلاكية فى مصر وفى كثير من دول أوروبا الشرقية، الدول التى كانت أول من مد يده إلى الحركة التعاونية فى البلاد العربية ولا أدرى اليوم ماذا سيكون مآل هذا الارتباط بعد أن هجرت هذه الموجه من الدول النمط الاشتراكى الذى كانت تؤمن به وتدعو إليه.

عندما تولى السيد كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة وزارة الشئون الاجتماعية والعمل بدا له كما يبدو لكثير من الوزراء أن يطوف بمصالح الوزارة لتفقد أنشطتها والتعرف على قياداتها.

وبينما كان الوزير يطوف بأقسام مصلحة التعاون بمجمع التحرير يتقدم مسيرته الأستاذ عبد اللطيف عامر مدير عام المصلحة، تأهب كل رؤساء الأقسام لهذا الاستقبال وأعد كل منهم لهذا اللقاء عدته، كان أحد هؤلاء رئيس قسم التعاون الاستهلاكى "أحمد زكى الإمام" الذى وقف على باب مكتبه فى استقبال الوزير، ولكن حدثت مفاجأة، فقد قاد مدير عام المصلحة الوزير إلى المكاتب والأقسام التالية متخطيا مكتب الأستاذ الإمام، فما كان من الأستاذ زكى الإمام إلا أن وقف فى وجه الركب ومنعه أن يتحرك، ومد يده إلى يد الوزير ليعود القهقرى مضيفه خطى كان قد خطاها ليسبقه إلى مكتبه فى ذهول من الحاضرين وتسمر مدير عام المصلحة واختلت موازينه، وبدأ "أحمد زكى الإمام" يشرح أنشطة القسم الذى يتولى رئاسته، والمهام التى يتولاها، ثم تطرق من ذلك إلى الحديث عن التعاون، تاريخه

ومبادئه وأهدافه وصوره فإذا بالوزير يؤخذ بهذا الحديث، أعنى بهذه المحاضرة وينقل أحمد زكى الإمام من مجرد موظف يرأس قسم التعاون الاستهلاكى إلى مشعل يضئ للوزير طريقه ويزلزل الأرض تحت أقدام المدير العام فإذا هى تميد، تظل صورة أحمد زكى الإمام فى رأس وفكر ووجدان الوزير كمال الدين حسين حتى أسلمه بهذه الصورة إلى خلفه السيد حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة ــ هو الآخر ــ ونائب رئيس الجمهورية فيما بعد، والمسئول عن الجهاز المركزى للمحاسبات فى النهاية.

من هنا انتقل أحمد زكى الإمام إلى الجهاز المركزى للمحاسبات قريبا من السيد حسين الشافعى ليصبح المدير العام للإدارة العامة لتقييم الأداء بدرجة وكيل وزارة، ولو أن زكى الإمام مارس الصبر والأناة والتريث إلى أن نشأت درجات الوكيل الأول التى لم تنشأ إلا بعد تسوية معاشه قبل الستين، لنال هذا المنصب بجدارة وشرف، ولكنه تخلى عنه إلى الأمم المتحدة.

هذا هو الرجل الذى أصطحب الأستاذ محمد إمام الجمال رئيس الاتحاد التعاونى بمركز ميت غمر كما أصطحبه هذا الأخير بحيث ظهرا فى المجتمع التعاونى توأمين أو ما هو أكثر، أحدهما يدعم الثانى داخل الجهاز الرسمى والآخر يدعم الأول داخل القطاع الشعبى، بحيث لم يعد واضحا تماما أى الرجلين رجل السلطة وأيهما رجل الشعب فقد اختلط الرجلان وصار الاثنان كما لو ولدا لأب واحد وأم واحدة فى عالم التعاون الفسيح.

من أجل ذلك كان التخطيط مشتركا بين الرجلين، وكان الرجلان من أنصار الدكتور إبراهيم رشاد فكرا وعملا وبالنقيض لم يكونا مع خلفه الأستاذ عبد اللطيف عامر على وفاق.

حدث أن صدر أحد أعداد مجلة التعاون وكنت عضوا فى لجنتها الإدارية ــ فأشر رئيس التحرير على مقال الأستاذ الإمام "يمنح عشرة إعداد من المجلة" وأشر على مقالى يمنح مائة وخمسون قرشا وكان هذا هو أعلى رقم يمنح لكاتب مقال وغضب الأستاذ الأمام من هذه المقابلة وقال لقد دق عبد اللطيف بك عامر أسفينا فى صلتى بالأستاذ الصديق زكى الإمام دون أن يدرى.

إن المؤتمرات التعاونية التى نسبت الدعوى فيها إلى الأستاذ محمد الجمال، آن الأوان لأن يعرف الناس اليوم أن الأستاذ الإمام كان شريكا بحق النصف فيها، بل إن الأبحاث الـتى أعدت فى هذه المؤتمرات كان أكثرها من صنعه، وإن يكن لى نصيب لا تنكره الوثـائق فى الإعداد لهذه المؤتمرات والدعوة إليها وإعداد ترتيباتها وتدوين البعض من أبحاثها.

هذه المؤتمرات التى توجها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بحضوره فى السـنوات ٥٥، ٥٦، ١٩٥٧ ورأسها السيد حسين الشافعى الذى ينبغى عند تدوين تاريخ أخصـب حقبة للتعاون حافلة بالنشاط والجهد الشعبى، أن يوضع حسين الشافعى على رأس قائمـة الشرف التى ينبغى أن تعلن وأن توضع فى أبرز مكان من منابرنا التعاونية.

إن نظام الائتمان الزراعى التعاونى فى عهد رجلين هما، السيد حسين الشافعى وزيـرا والمهندس سيد مرعى رئيسا لبنك التسليف الزراعى والتعاونى ما كان يقدر لـه أن يطبـق بالأسلوب الناجح الذى برز به وأصبح تاريخا بغير جهود رجال ثلاثة هم أحمد زكى الإمـام أول مدير لإدارة الائتمان والتعاون ومحمد الجمال وأحمد محمد أبو الغار مدير الإدارة العامـة للائتمان بالبنك وكان الأولان عضوين بمجلس إدارة البنك فى ذات الوقت ابتداء بتطبيـق التجربة فى مراكز ميت غمر بالدقهلية (محمد الجمال) وكوم حمادة بالبحيرة (المهندس محمـد فخرى مهنا) والمنيا (الأستاذ عامر محمد عامر) وهؤلاء كانوا فرسان لجنة الائتمان المشـكلة لمتابعة التنفيذ.

ولقد ظل أحمد زكى الإمام العلم المرفوع فوق سارية المعـاهد العاليـة للخدمـة الاجتماعية، فقد كان رئيس مجلس إدارة المعهد الأول وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعيـة ويعرف للأستاذ الإمام قدره وكتب الأستاذ زكى الإمام وبخاصة كتاب التعاون بين الفكـر والتطبيق، وسام على صدر الحركة التعاونية.

لقد ألف الأستاذ الإمام أول كتاب بعنوان "التعاون الاسـتهلاكى" وأول كتـاب بعنوان "التعاون الزراعى" الأول بغلافه الأزرق والثانى بغلافه البنى الداكن أصدرهما لـه الاتحاد التعاونى لمركز ميت غمر برئاسة الأستاذ محمد الجمال، لم يسبقه فى هذا المعنى سـوى الدكتور إبراهيم رشاد الذى أصدر قبله بسنوات عدة كتابه الأول فى التعاون الاسـتهلاكى

عاونه فى إعداده الأستاذ عبد اللطيف عامر، والآخر فى التعاون الزراعى أعـده وأصـدره ليكون مرجعا لطلابه فى كلية الزراعة.

ولنشاط الأستاذ الإمام فى دبلوم إدارة الجمعيات التعاونية بالدراسات العليا بكلية التجارة بجامعة عين شمس أثر أى أثر، أنه المحاضر الوحيد الذى تضبط ساعتك عند حضوره مع بداية المحاضرة وتضبطها عليه مع نهايتها، كانت أنفاس الطلاب تتعلق بكل كلمة تصدر من فمه فهو الأستاذ وهو المعلم.

أمنية زكى الإمام التى لم تتحقق أن يصبح أستاذا محاضرا فى السنة الأولى بالمعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية يخاطب عقول الآلاف من الطالبات والطلبة، ولينشر كتبه عليهم فى أوسع نطاق، ومات الرجل وهذا الحلم لم يتحقق وصدق فيه قول الشاعر

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

الأستاذ أحمد زكى الإمام هو أفضل وأذكى من شهدته منابر مراكز التدريب التعاونى أخص منها المركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية، أنه الفارس المدعو للفروسية فى هذا المضمار من كل أوجه النشاط التعاونى فى مصر.

وهو المترجم الفذ الذى لا يشق له فى ميدان الترجمة غبار.

وعندما كان يترجم للأستاذ كلاوس بايرلاين مدير مؤسسة فريد ريش إيبرت كنت ترى انفعالات المدير الألمانى ترتسم على وجه أحمد زكى الإمام وهو يترجم وكأنه هو صاحب الحديث.

إن دور أحمد زكى الإمام فى حسن أداء مؤسسة فريد ريش إيبرت الألمانية يمثل خمسين بالمائة من جهد هذه المؤسسة فى تعاونها مع الاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى وأنا على هذا شاهد.

أحمد زكى الإمام اختير قبل بلوغ سن الستين ليكون خبيرا تعاونيا لدى الأمم المتحدة وكان مقره عمان، وإذا أردت أن تعرف الكثير من سلوكيات الإمام فعليك بعمان وقادتها تسمع العجب المطرب..!!

أن الأستاذ الإمام علامة واضحة على طريق الحركة التعاونية تحسبه عندما تلقاه فى حلته الزرقاء وقميصه المخطط بالأبيض والأزرق ورباط عنقه الذى يأخذ مكانه السوى فوق

صدره وتحت ردائه، وفى بشرة وجهة ذات السمرة الحبيبة ـــ كأنه رافد من روافد النيـــل العظيم قادم من الحبشة لتوه، أو كأنه زعيم أفريقى قادم من خط الاستواء، مع إشعاع مـــن الذكاء تبرق به عيناه ويكشف عن موهبته.

زكي الإمام معتز بنفسه إلى درجة فوق الاعتزاز بالنفس، وهو يعرف لنفسه قدرهـــا بين الآخرين، بل بين النابهين، وهو ناقد أشبه فى نقده من كرباج سودانى يلهب به الظـــهر، وهو حاد الطبع وحاد اللسان وحاد الذكاء وحاد المنطق.

ولكنه لأمر ما فى طبعه لا يحب المواجهة، إذ هو يلقاك كأحسن ما يكون اللقاء وفيـه منك غصة.

متزوج وله ابنتان متزوجتان لا يخلو حديث له من الحديث عنهما نبوغـــا وذكـــاء وفطنة، أنه بهما جد فخور.

علاقته بشقيقه فارس السينما المصرية ومخرج الروائع الأستاذ حسن الإمام ـــ لم تكن تمثل من حديثه إلا ما يقتضيه حديث الشقيق عن الشقيق، إنه بعيد كل البعد عـــن عقـــد مصاهرة تربط بين إحدى ابنتيه بولد من أبناء أخيه، لا أدرى للمهنة، أم لبعد الشقة فى الميول والاهتمامات بين الأول والآخر، مكتبته منتظمة كأحسن ما يكون التنظيم، ورأسه أيضـــا منظم ربما أكثر من مكتبته!!

يستطيع أحمد زكى الإمام من خلال مكتبته وذاكرته أن يكتب لك بحثا أو كتابـــا فى أى موضوع تشاء ما دام تعاونيا، ربما خلال يوم أو يومين، وإذا عهدت إليه بإعداد ترجمـــة لكتاب فإنه يتوفر على الكتاب ترجمة وطبعا وتصحيحا للبروفات، يقيم فى المطبعة كما لـــو كان راقدا على فراشه الوثير.

هل أخذ الأستاذ أحمد زكى الإمام حظه من الدنيا من خلال كل هذا الفيـــض مـــن العلم؟

أغلب الظن أن الرجل كان كغيره من المتطلعين يهفو إلى منصب الوزير، وفى هذا المبدأ كـلنا يتحدث ويكتب غير أنى كنت لهذه الدعوة بالمرصاد، فالتعاون هو جهد لكـــل الـــوزارات وليست وزارة واحدة، وإلا انقلبت هذه الوزارة إلى مجلس وزراء آخر .وأهمس الآن فى أذن البعض من أصدقائى .لو أن أحدا منهم أعطى لتخصصه الدقيق كالمحاسبة أو إدارة الأعمـــال

قسطا من العناية بمثل ما أعطى للتعاون إذن لدانت له الـــوزارة أى وزارة مـــن وزارات التخصص كما دانت لغيره، إلا أن تكون التعاون ولكنهم لا يصدقون حديثى!! ..

بملء الفم أحيى روح أحمد زكى الإمام، وبملء القلب أناجيه، وبسن من قلمي أكتب عنه، فإذا كنت قد أحسنت فهذا قصدى وإن كنت قد قصرت فربما كان الزحام يحيط بى من كل جانب أن أكتب فى أكثر من ميدان.

وفى النهاية حسبى أن أكون قد أوفيت على بعض الغاية فإن كنت لم أحسن الكتابـــة فحسبى أن أحسن القراءة، فى أبحاث أخى زكى الإمام ومؤلفاته ومقالاتــــه فى الصحافـــة التعاونية وآثاره التى ما زالت تستقر فى الذهن، وتجد لها مكانا سويا فى الذاكرة.

حسبى أن أقرا فى كتاب الله العظيم القاهر فوق عباده "اقرأ باسم ربك الذى خلـــق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم".

وعندما صعدت روحه إلى بارئها حسبت أننى لن أجد لى مكانا فى السرادق الفسيح الذى أقامته أسرته فى ساحة مسجد عمر مكرم ولكنى على النقيض وجـــدت المقـــاعد فى انتظاري لا يشغل منها شاغل إلا الأوفياء من أعضاء أسرة صحف التعاون ولفيف من أقاربه وأصهاره، وهكذا يمضى العمالقة إلى طريق الخلود بين خطين من العقوق والجحود وسقطت من عينى دمعة، لا من أجله ولكن من أجلى حين ينتظرنى نفس المصير!!

محمد إمام الجمال

قلب الأسد فى الحركة التعاونية

قاد الحركة التعاونية بين الخمسينيات والستينيات وأزاحته عن مكان الصدارة عوامل الحقد والكراهية والحسد، وتمزق مع تمزق الحركة التعاونية سنة ١٩٦٠،

اسمه محمد إمام الجمال، ولد فى قرية ميت يعيش مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، حصل على شهادة كفاءة المعلمين من المنصورة، والتحق للعمل بوزارة الشئون الاجتماعية، ومن هنا اكتسب خبرة العمل التطوعى والخدمة العامة.

استقال محمد الجمال واشتغل بالزراعة، وعاون والده الشيخ إمام الجمال فى مصنع النسيج اليدوى الذى يملكه فى القرية وكان يحصل لتغذيته بخيوط الغزل على تصاريح من وزارة التموين، تكاد بالكاد تكفى لتغطية احتياجات المنسج، وكان الأستاذ حسن نافع هو المسئول لأمر ما وبصفة ما عن توزيع هذه التصاريح.

أسس جمعية تعاونية زراعية فى قرية ميت يعيش وتولى رئاستها، ومن هذه القرية انطلق لتأسيس الاتحاد التعاونى الإقليمى لمركز ميت غمر، وبعدما صدر القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦، وكان عضوا فى اللجنة التى أعدت هذا المشروع حيث التقينا، وتنفيذا لهذا القانون صدر قرار وزارى بأن تنشأ الاتحادات الإقليمية على مستوى المحافظات وترتب على ذلك إدماج اتحادات ميت غمر وكان يرأسه محمد الجمال والسنبلاوين ــ ويرأسه الدكتور إبراهيم رشاد، والمنصورة ويرأسه حسن الشهاوى المحامى فى اتحاد واحد هو اتحاد الدقهلية تولى رئاسته لأول مرة الأستاذ حسن نافع ــ وكيل أعمال دائرة بحرى المليونير الشهير الذى كان يملك عمارة بحرى بميدان التحرير بالقاهرة حيث كان يتردد عليه الأستاذ محمد الجمال وكانت بينهما صداقة.

تولى الجمال بعد قليل من الوقت رئاسة الاتحاد التعاونى بالدقهلية فقد كان بنشاطه وحسن إطلاعه مؤهلا لهذا المنصب.

كان محمد الجمال ثاني من أصدر مجلة تعاونية إقليمية "عن اتحاد ميت غمر" باسم الشعلة التعاونية بعد مجلة صوت التعاون التي سبق أن أصدرها اتحاد الفيوم التي توليت رئاسة تحريرها.

كان الدكتور إبراهيم رشاد قد أصدر عن اتحاد السنبلاوين وديرب نجم مجلة الرسالة حتى تولى رئاسة تحريرها وتولى إدارة التحرير الأستاذ إبراهيم المثقف.

وترتب على إدماج الاتحادات الثلاثة في اتحاد واحد على مستوى المحافظة توقف مجلات اتحادات المراكز الملغاة عن الصدور.

ودعا محمد الجمال إلى إنشاء لجنة عامة للاتحادات التعاونية أسفر عن الأنشطة الآتية:

أولا :المؤتمر التعاوني العام:

الذى كان يعلن فيه الرئيس جمال عبد الناصر سياسة الدولة على مدى ثلاث سنوات متعاقبة من فوق منبر قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة حيث كان يتولى رئاسة اللجنة ورئاسة المؤتمر السيد حسين الشافعي وزير الشئون الاجتماعية والعمل ـ عضو مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢.

وكان محمد الجمال المحرك لكل القيادات التعاونية ومحور أنشطتها في لجان المؤتمر وكان يعرف كيف يدفع كل هذه القيادات لتقديم أبحاث جادة من خلال اللجان، وكان للأستاذ أحمد زكي الإمام مدير التعاون الاستهلاكي بمصلحة التعاون فضل كبير في تنظيم جهود محمد الجمال والبلوغ إلى غايتها في لجان المؤتمر وفي تنظيمه.

وكان لمحمد الجمال صلة وثيقة بالاتحادات التعاونية الإقليمية، لم يكن يعنى بمعرفة رؤسائها فحسب ولكنه كان يستقطب كذلك المرشدين التعاونيين الذين يشكلون عصب الحياة في هذه الاتحادات الإقليمية، يعرفهم بالاسم ويعقد معهم الصلات مباشرة من خلف ظهر رؤساء الاتحادات التعاونية، نظم المؤتمرات الإقليمية وتابع توصياتها في إطار الاتحادات العامة، الطريف أن محمد الجمال بلغ من حرصه على نجاح المؤتمرات العامة التعاونية أنه كان يجتمع بهؤلاء المرشدين في قاعة المؤتمر قبل الافتتاح بساعات ليتلو عليهم خطاب الافتتاح الذى يلقيه السيد حسين الشافعي رئيس المؤتمر وهو عادة من إنشاء وجهد مشترك بين الجمال وزكي الإمام ـ وكلما وصل إلى مقطع معين يقول، هنا تصفيق، وعندما يصل إلى

مقطع آخر، هنا هتاف بكذا وكذا، والطريف كذلك أن هؤلاء المرشدين التعاونيين كـــانوا يوزعون أنفسهم ـــ تحت إشرافه ـــ فى أطراف القاعة حتى إذا ما بدأ رئيس المؤتمر فى إلقـــاء كلمته كان التصفيق وكان الهتاف المعد فى الوقت المناسب، وكان لهذا التنظيم أثره فى نجـاح المؤتمر!! ..

ولقد كان أعضاء اللجنة العامة للمؤتمر يتقدمهم السيد حسين الشافعى يتوجهون إلى مجلس الوزراء حيث كان يستقبلهم فى قاعة المجلس الرئيس جمال عبد الناصر وكان أول لقاء لنا بالرئيس وهو يرتدى الزى الكاكى الذى قاد به الثورة ليلة ٢٣ يوليـــو ســنة ١٩٥٢ وحرص الرئيس على أن تلتقط له صورة وهو يتوسطنا مرة فى قاعة مجلس الوزراء ومـرة فى الصالون الملحق بصالة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة قبل افتتاح المؤتمر.

ثانيا :اللجنة العامة للمؤتمر:

ويرجع إليها الفضل فى تأسيس المركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية وقام المـــهندس محمد فخرى مهنا رئيس اتحاد البحيرة بتقديم أحد المقاولين للجنة حيث أتم البناء مقابل عشرة آلاف جنيه ولم ينج فخرى مهنا الذى يتمتع فى كل سنى حياته بالذمة والشرف والصدق من همزات الهمازين ولمزات اللمازين.

وكان أساس المبالغ المخصصة لبناء المركز ناتجه من ثمن وأرباح الأقمشة الهندية الـتى وردت هدية من الهند ووزعت على التعاونيين بسعر منخفض بواسطة الجمعيـــات العامـــة بالمحافظات.

وشكل لإدارة هذا المركز لجنة قوامها:

١ ـــ أحمد عبد اللاه رئيس اتحاد الإسكندرية.

٢ ـــ محمد الجمال رئيس اتحاد الدقهلية.

٣ ـــ شمس الدين خفاجى رئيس اتحاد الفيوم.

وتعاقب على إدارة المركز من التعاونيين:

١ ـــ الأستاذ محمود فهمى الحادقة.

٢ ـــ الأستاذ عبد اللطيف فهمى عامر.

٣ ـــ الأستاذ أمين عامر عمارة.

من وكلاء وزارة الشئون الاجتماعية السابقين أو من قيادات العمل التعاونى فى المجال الرسمى.

كان محمد الجمال قد وضع يده فعلا على الحركة التعاونية الموحدة، كان يستقبل فى أى مكان من أنحاء الجمهورية استقبال الفاتحين سيان من إدارات التعاون بالمحافظات أو من رؤساء الاتحادات الإقليمية أنفسهم، أو حتى من موظفى الاتحادات التعاونية الذين كان يعرفهم الواحد تلو الآخر.

كان نفوذ الجمال قد بلغ حدا يستطيع منه أن يوجه أى قيادة تعاونية الوجهة التى يريد، كان أيضا يستطيع أن يحرك أى موظف على أى مستوى من موقعه بأية محافظة إلى موقع أفضل أو أقل يستجيب له أى مسئول فى وزارة الشئون الاجتماعية.

كانت ثقة السيد حسين الشافعى فيه بغير حدود، وكان لذلك يستطيع أن يستصدر قرارا بحل مجلس إدارة الجمعية التعاونية للاتجار بالجملة ويولى غيرهم فى قرار تعيين مجلس مؤقت وهذا حدث فعلا.

كان يستطيع أن يستصدر قرارا بحل مجلس إدارة اتحاد إقليمى أو أى جمعية كبرى.

ثالثا :اللجنة العامة للاتحادات التعاونية:

عهد إليها الحلول محل مصلحة التعاون فى إصدار مجلة التعاون التى تصدر على مستوى الجمهورية، وشكلت لهذه المجلة التى رأس تحريرها محمد الجمال لجنة للإدارة والتحرير على النحو التالى:

١ ــ محمد الجمال

٢ ــ شمس الدين خفاجى

٣ ــ محمد أبو الفضل الجيزاوى

اللجنة العامة يعزى إليها الجهد الأكبر فى إعداد القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ والقرارات الوزارية المنفذة له.

كانت اللجنة برئاسة الأستاذ عبد المنعم الشافعى الوكيل الدائم لوزارة الشئون الاجتماعية واشترك فى عضويتها ممثلون عن الوزارة وعن المجلس القومى للإنتاج والمجلس القومى للخدمات وبعض رؤساء الاتحادات التعاونية من رجال القانون أذكر منهم عبد

الحليم الجندى المحامى رئيس اتحاد بنى سويف وشمس الدين خفاجى المحامى رئيس اتحاد الفيوم ومحمد أبو الفضل الجيزاوى المحامى رئيس اتحاد الجيزة، ولكن محمد الجمال كان فارسها.

الجمعية التعاونية للاتجار بالجملة:

الجمعية التعاونية للاتجار كان الداعى إلى تأسيسها الأستاذ عبد اللطيف عامر مدير مصلحة التعاون ولكن المحرك لهذا التأسيس كان محمد الجمال يقود قافلة كل الاتحادات التعاونية بالمحافظات.

وعندما حدد مدير عام مصلحة التعاون يوم جمعة لعقد الجمعية العمومية للمؤسسين فى دار مصلحة التعاون بشارع الجامع الإسماعيلى فوجئ الأعضاء بباب القصر موصدا فى وجوههم بالسلاسل الحديدية بأمر من وزير الشئون الاجتماعية أبو سيف راضى فاتجه الأعضاء فى موكب مهيب يتقدمهم الأستاذ عبد الله فكرى أباظه رئيس الجمعية التعاونية الاستهلاكية لمحافظة القاهرة ووكيل وزارة التجارة السابق إلى مبنى الاتحاد الثقافى بجاردن سيتى المشمول برئاسته وعقدت الجمعية العمومية وتمت الانتخابات وأسفرت عن اختيار الأستاذ عبد الله فكرى أباظه رئيسا وشكلت لجنة للسكرتارية العامة من عضوين هما:

١ ــ محمد الجمال

٢ ــ شمس الدين خفاجى

واختير الأستاذ حسين عجمى السيد ممثل الإسكندرية فى مجلس الإدارة ورئيس جمعية الشهداء مديرا عاما للجمعية فاستقال من المجلس وحل آخر محله.

لقد بدأت هذه الجمعية برأس مال ناتج عن تصفية الجمعيات العامة بالمحافظات ومقداره ٣٧ ألف جنيه، وعندما صدر قرار بحلها وتأميم أموالها سنة ١٩٦١ فى هجمة التأميم الاشتراكى المعروفة ــ كانت أموالها قد قاربت على مليون جنيه ولكن الحكومة أمرت اتحاد القاهرة المكلف بتصفية الجمعية، بأن يسلم أسطول سيارات النقل الذى يتبعها إلى شركة قطاع عام نظير جنيه واحد هو قيمة الأسطول الدفترية، كما أمرت بتسليم المخازن والفروع المنتشرة فى المحافظات والمراكز نظير جنيه واحد أيضا، وما زالت الحركة التعاونية المصرية الاستهلاكية تبحث الآن عن وسيلة لاسترداد قيمة هذه الأموال المغتصبة ــ

يؤسفنى أن أقرر أننى كنت واحدا من المسئولين عن اتحاد القاهرة الذى تلقى ونفذ الأوامر — وإلا..؟ ! والباقى مفهوم بالضرورة.

مرت الجمعية التعاونية للاتجار بالجملة بأحداث جسام منذ مولدها حتى أن وزير الشئون الاجتماعية أبطل انعقاد جمعيتها العمومية التأسيسية وما ترتب عليه من انتخاب مجلس الإدارة، ولكن سرعان ما سقطت الحكومة وجاءت حكومة جديدة أسندت وزارة الشئون الاجتماعية إلى العالم الجليل مدير جامعة القاهرة السابق، الدكتور أحمد زكى "الذى أصدر فيما بعد من الكويت مجلة العربى المعروفة" فأعلن مشروعية اجتماع الجمعية العمومية وسحب قرار الوزير السابق.

كانت الجمعية قد حصلت على توكيل من الجمعية التعاونية للبترول لفتح محطات بنزين لتوزيع منتجات الجمعية فى قرى مصر شمالها وجنوبها.

كانت الجمعية قد حصلت على حصة من الحديد والأسمنت توزعها على التعاونيات من خلال فروعها ومخازنها.

كانت الجمعية تتعاقد مع مضارب الأرز فى المنصورة للحصول على كامل إنتاجها معدا للتوزيع على التعاونيات الزراعية والاستهلاكية.

كذلك فيما بعد يمكن أن نسجل الأحداث الخطيرة التى مرت بها الجمعية وكان أساس هذه الأحداث الانقسام الخطير الذى تردت فيه القيادات التعاونية وفتحت الباب للحكومة كى تتدخل.

افتتاح المركز الثقافى التعاونى:

كنا نجتمع — الجمال وأنا — تارة فى مربضه بالتراس الذى يطل على ميدان الأوبرا من كازينو بديعة مصابنى حيث يلتقى بالتعاونيين من كل فج عميق، وتارة فى مقصورة خشبية بجزيرة الشاى بحديقة الحيوان حيث لا يشغلنا البط العائم على صفحة الماء عن أداء مهمتنا، كنا نخطط للحركة التعاونية بوجه خاص لإنشاء اتحاد تعاونى عام يجمع الاتحادات التعاونية الإقليمية ويتحدث باسم الحركة بديلا عن اللجنة العامة للمؤتمر العام للتعاون التى أنشأناها، وقلما اجتمعنا فى عزبة خفاجى بالفيوم.

وعندما تحدد موعد للسيد كمال الدين حسين وزير الشئون الاجتماعية والعمل ـــ قبل ولاية السيد حسين الشافعي لافتتاح المركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية كان مقررا أن يلقى الأستاذ الجمال كلمة لجنة الإدارة باسم الاتحادات التعاونية الإقليمية فى مطلع الحفل ولكن لم يظهر الأستاذ الجمال فقمت بإلقاء كلمة باسم اللجنة نددت فيها بالوزارة التى أنشأت الاتحاد العام للعمال ـــ وحركتهم ما زالت وليدة ولم تعاون فى إنشاء اتحاد تعاونى عام ـــ وحركتنا انقضى عليها أكثر من نصف قرن.

علمت بعد الاحتفال أن الأستاذ الجمال امتنع عن الحضور احتجاجا على دعوة الوزير بواسطة مدير عام مصلحة التعاون وكان محقا.

محمد الجمال ساهم مع زميله الأستاذ أحمد الدمرداش تونى فى تأسيس النوادى الريفية فى قرى مصر كما ساهما فى إنشاء اتحاد الأندية الريفية ومقره شقة فاخرة فى شارع قصر النيل حيث كان ملتقانا أيضا.

محمد الجمال كان يطوف بمحافظات الجمهورية مدنها وقراها ولا توجد قيادة تعاونية لم يضع يده فى يدها وكل قيادات وزارة الشئون الاجتماعية فى القاهرة والمحافظات.

وقد اتخذ محمد الجمال مقرا للجنة العامة للاتحادات التعاونية فى برج من أبراج القاهرة يقع فى جاردن سيتى فى شارع كمال الدين صلاح يسمى برج الزهراء بالطابق الأول، ومن هذا المقر كان يصدر مجلة التعاون بعد أن نقل مسئوليتها من وزارة الشئون الاجتماعية وإن كانت هذه المجلة قد توقفت عن الصدور بعد بضعة أعداد أصدرها من هذا الموقع.

نظام الائتمان الزراعى التعاونى:

لقد كان لمحمد الجمال الجهد الأكبر فى تطبيق نظام الائتمان الزراعى التعاونى سنة ١٩٥٧ أيام كان المهندس سيد مرعى رئيس مجلس إدارة بنك التسليف الزراعى والتعاونى والسيد حسين الشافعى وزير الشئون الاجتماعية وكان أحمد زكى الإمام مدير الإدارة العامة للائتمان بالوزارة بينما كان الأستاذ أحمد أبو الغار مديرا للإدارة العامة للائتمان بالبنك وكان إلى جانب هذا الفريق بضع رجال أذكر منهم:

١ ــ محمد فخرى مهنا رئيس اتحاد البحيرة فقد بدأ التجربة فى مراكز ثلاثة منها مركز كوم حمادة.

٢ ــ عامر محمد عامر رئيس اتحاد المنيا حيث نفذت التجربة الأولى فى مركز المنيا.

٣ ــ محمد الجمال ممثلا لاتحاد الدقهلية حيث طبقت التجربة الأولى فى مركز ميت غمر.

وتجربة الائتمان لها تاريخ يروى وأقدر الناس على روايته تفصيلا الأخ الجليل الأستاذ أحمد أبو الغار.

بنك التعاون:

محمد الجمال هو المحرك لإنشاء بنك التعاون وكان وراء الجهود التى بذلت لتأسيسه حتى قام على قدميه ونشر نظامه فى الجريدة الرسمية.

فلما اتجهت الدولة إلى تحويل بنك التسليف تدريجيا إلى بنك تعاونى كان محمد الجمال أيضا وراء الجهود التى بذلت لهذا التحويل.

كان طبيعيا لذلك أن ينتخب محمد الجمال عضوا بمجلس إدارة البنك بعد سقوط مجلس الإدارة الأول الذى فرضت الحكومة السعدية قسرا ــ ممثلى التعاونيين الثلاثة فى البنك ــ على التعاونيين بما أدى إلى نقل الأستاذ عبد اللطيف عامر من مكانه مديرا لمصلحة التعاون إلى وظيفة مفتش بوزارة المالية لأنه قال "لا" لهذا القهر والتعنت.

من هم هؤلاء الفرسان الثلاثة الذين فرضهم الحزب السعدى، أنهم السادة سيد مرعى ومصطفى الشوربجى ومحمد شاهين.

محمد الجمال نسب إليه زورا أنه يسارى النزعة، كانت مقالاته تئن بالآم الفلاحين والمضيعين فى الأرض، كذلك كانت خطبه، وفى مرة جاءنى وهو يلهث قلت خيرا:

قال :صدر قار باعتقالى وذهبوا إلى ميت يعيش للبحث عنى.

قلت :أذهب الآن على الفور إلى والد السيد زكريا محيى الدين وزير الداخلية ليستفسر لك عن صحة الخبر من الوزير.

وكان محمد الجمال يسكن فى شقة بالعمارة رقم ٥ شارع يشبك بالعباسية وكانت أسرة السيد زكريا محيى الدين تسكن فى الدور الأعلى وكانت بين الأسرتين مودة فتم الاتصال على الفور.

قال السيد زكريا محيى الدين لمحدثه :أننا نعتقل حاليا الإخوان المسلمين وليس تنظيما آخر فأين كان محمد الجمال من الإخوان المسلمين!

وعلم محمد الجمال أنه كان هناك بين المعلمين فى ميت يعيش من يحمل نفس الاسم وكان هو المطلوب يومها وليس محمد الجمال يسارى النزعة.

كان محمد الجمال هو المايسترو الذى يوزع الأدوار على القيادات التعاونية وكان صاحب الحق فى الترشيح لمجلس إدارة البنك وجمعية البترول وأيضا جمعية الجملة.

فعندما تخلى السيد حسين الشافعى عن السلطة بانتقالها فى وزارة الشئون الاجتماعية إلى الوزير التنفيذى السيد محمد توفيق عبد الفتاح وجد محمد الجمال نفسه فى مهب الريح تتقاذفه الأنواء والعواصف ولم يجد إلى جانبه واحدا من أقارب الوزراء الذين أحاط بهم نفسه طوال فترة المجد والطموح ووجدوا أنفسهم كلا منهم يبحث عن طريق.

وعندما قدم الأستاذ الجمال إلى محكمة الجنح متهما بمخالفة القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ كانت اللجنة العامة للمؤتمر التعاونى قد توقفت وصفيت أعمالها وأموالها، ومن قبلها تم تجميع الاتحادات الإقليمية التى كان يسيطر على بعضها، ووقف فى دهشة لا يجد من حوله إلا الفراغ القاتل.

أصدر اتحاد ميت غمر كتابين أحدهما عن التعاون الاستهلاكى والآخر عن التعاون الزراعى وقام بتوزيعهما على الاتحادات التعاونية وكان الكتابان من تأليف الأستاذ أحمد زكى الإمام.

وفى صباح يوم مشرق التقى الأستاذ الجمال بالدكتور عباس عمار مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة ووزير الشئون الاجتماعية السابق فقدم له كتابا فضحك الدكتور عمار وقال هذا الرجل لا ألتقى به إلا على كتاب أو بحث أو مجلة وهكذا كان محمد الجمال لا يقر ولا يهدأ.

محمد الجمال أسطورة حقيقية، ونجم لمع فى سماء التعاون نحو عشرين عام، ولكن المنافسة بين المشير عبد الحكيم عامر والسيد حسين الشافعى ــ الذى ملأ محمد الجمال شوارع القاهرة بلافتات تحمل كلمات مأثورة باسمه فى مناسبات عدة منها مناسبة انعقاد المؤتمر التعاونى ومنها المناسبة السنوية لتحصيل معونة الشتاء، قيل إن ذلك أوغر صدر المشير

عامر فولى مدير مكتبه السيد /محمد توفيق عبد الفتاح وزيرا تنفيذيا للقطر المصرى للشئون الاجتماعية وكلفه بتعقب محمد الجمال الرجل الأول فى الصف المحيط بالسيد حسين الشافعى فقدم محمد الجمال إلى المحاكمة أمام محكمة جنح ميت غمر متهما أمامها بأنه كان يحصل على مصاريف السيارة التى يملكها من اتحاد ميت غمر مرة، ومن حساب اللجنة العامة للمؤتمر مرة أخرى عن نفس الفترة، وأنه كان يقيد ثمن الولائم التى كان يستضيف فيها بعض القيادات التعاونية على حساب اللجنة إلى آخر قائمة الاتهامات الفارغة التى أسندت إليه بالجملة.

ولم تجد المحكمة بدا من الحكم على محمد الجمال بغرامة قدرها خمسون جنيها تطبيقا للقانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٦٥ حيث يقضى القانون فى هذه المخالفات بالحبس والغرامة أو بإحدى هاتين العقوبتين فقضت المحكمة بالغرامة وأمام محكمة الجنح المستأنفه حصل على البراءة، ومن أسف أنه كان من بين من كلف بإعداد تقارير التفتيش ضد محمد الجمال فى هذه القضية بعض زملائه من قيادات مصلحة التعاون.

ملاحظة :موضوع ما بين المشير عامر والسيد حسين الشافعى منقول بدون تحريف وبإيجاز عن صديقى المرحوم حسن الشافعى فى طريقنا بسيارته إلى مدينة قويسنا!! ..

وفى سنة ١٩٦٠ صدر القانون رقم ٢٦٧ لسنة ١٩٦٠ بالمؤسسات العامة التعاونية وبمقتضى هذا القانون أنشئت بقرار جمهورى مؤسسة عامة تعاونية استهلاكية وثانية إنتاجية وثالثة زراعية ورابعة إسكانية، وفجأة لم يجد محمد الجمال مكانا له فى هذا الخضم الهائل من التمزق وكلفنى المهندس سيد مرعى وزير الزراعة والإصلاح الزراعى المركزى ورئيس المؤسسة العامة التعاونية الزراعية وكنت مستشارا لها ــ بإعداد قرار وزارى بتجميد الاتحادات التعاونية الإقليمية ــ وغالبية العضوية بها للجمعيات الزراعية وصدر هذا القرار الذى شاركنى فى صنعه بتكليف من الوزير الشيخ محمد أبو نصير رئيس اتحاد القليوبية.

وبتجميد الاتحادات الإقليمية تجمد نشاط محمد الجمال بعد أن أصابه الحكم القاضى بالغرامة شيئا من الإحباط العميق.

وشيئا فشيئا آن للشمعة التى تحمل هذا الاسم أن تذوب وتذوب حتى إذا ما توهج نورها فى النهاية انطفأت فجأة، ولم يجد محمد الجمال بين القيادات التى صنعها وعلمها من يرثيه!! ..

باع محمد الجمال بضعة أفدنه من الأرض الخصبة التى كان يملكها عن أبيه ميراثا فى ميت يعيش واشترى بها وبزاد العمر حوالى الخمسين فدانا من أراضى الاستصلاح فى محافظة البحيرة وأوى ــ على ظهره ــ إلى فراشه يستعيد الذكريات الحلوة والذكريات المرة ويشكو فعل السنين.

وللحق فقد أعانه صديقه الوفى محمود فهمى محمد رئيس جمعية البترول على إنشاء محطة بنزين على مشارف دمنهور أدارها أخوه الأصغر.

وللتاريخ نسجل أن رجلين أثنين وقفا إلى جانبه فى المحنة، محمود فهمى ومحمد فخرى مهنا، متعهما الله بالصحة وأطال بقاءهما، علامتان مضيئتان على طريق الحياة الموحش.

كان محمد الجمال يعانى الأمرين:

المر الأول داء السكر اللعين والمر الثانى داء الضغط العالى، وكان يتعذب فى كبرياء.

ويوما ما وأنا جالس فى جروبى عدلى أطل من وراء زجاج النافذة المطلة بدورها على الحديقة، وجدتنى وجها لوجه مع محمد الجمال.

يقف تجاهى ويشد ابتسامة باهتة من بين شفتيه ويضع علامات الارتياح على وجهه وقلما تراه مبتسما.

سألنى عن أحوالى ثم استدرك وقال أنا أعرف عنك كل شئ، من بعيد، ولكن كيف حال أبنائك أو أطفالك ــ كما كان يسميهم قبل اللقاء بسنين، وسألته عن أبنه الوحيد "إمام" قال لقد لحقت به لعنة التعاون فأقعدته عن مواصلة تعليمه العالى كما حلت بأبيه فأورثته المرض والفاقة (إمام محمد الجمال حاليا أحد رجال الأعمال الناجحين).

واتجه محمد الجمال وهو يشد على يدى ناحية الباب الآخر لمحل جروبى الذى يفتح على شارع عبد الخالق ثروت وذاب مع الزحام وقد اغرورقت عيناه بدمعة أبى كبرياؤه أن يجففها، فسقطت على الأرض تكوى مكانها كما جمر نار يتأجج.

بهذه الدموع ودعنى وكان هو الوداع الأخير، لفارس كان قدره أن يقود القافلة التعاونية حيث أراد، ثم كان قدره بعد نضال السنين وكفاح الأيام أن يسقط حول الخمسين، أسقطته الضوارى عن موقعه حقدا ومرارة وحسدا، وفقدت صديقا عف اللسان، لا يعرف كيف يضرب من الخلف ولا يشد بيديه إلى وراء، ويلهث الرجل من فرط ما أورثه المرض اللعين شدة النهجان، كان هذا قدره.

ومضى الفارس الشجاع ومضى قطار العمر.

خذوا عنى هذه العبرة:

أنى أؤمن، ومر الأيام يؤكد إيمانى أن الحاكم يفتح أمام القائد الشعبى أبواب المجد الذى يستحق وضعه منها فى أعز مكان طالما سبح بحمده ومشى فى قافلته.

فإذا استقل برأيه أو استقل بجهده حتى صار ملء السمع وملء البصر، أخذه أخذ عزيز مقتدر، فإذا أخذه لم يفلته، ولم يمهله.

محمد الجمال واحد من هؤلاء ولكن ليس أخرهم ..عجبى!! ..

وعندما دعوت إلى الاحتفال بالعيد الماسى للتعاون بمبنى الاتحاد الاشتراكى بكورنيش النيل نادى الدكتور محمد عبد الغنى على اسم الشهيد محمد الجمال فتقدم فى ثقة وفى تواضع ابنه الوحيد إمام محمد الجمال وصعد إلى المنصة ليصافح السيد الدكتور فؤاد محيى الدين رئيس مجلس الوزراء يحيط به كل وزراء التعاون بينما تصدح موسيقى كلية الشرطة بالقاعة المجاورة وهو يشد على يده ويسلمه شهادة تقدير تحمل فى صدرها اسم فارس التعاون محمد الجمال، وتحمل فى ذيلها توقيع الداعى إلى هذا الاحتفال التاريخى العظيم وأعد كل هذه الشهادات التى منحت أولاها إلى اسم المرحوم عمر لطفى ومنحت ثانيتهما إلى اسم المرحوم محمد الجمال، هذا الداعى صاحب التوقيع هو "شمس الدين خفاجى".

شمعة أخرى تذوب وتذوب حتى إذا ما توهج نورها توشك أن ترحل، فلا يجد من يقول فيه كلمة رثاء!!..

إلى الرائد الشهيد .. محمد الجمال فى ذكراه .. وكلنا شهيد .. !!

يا خليلى قلت بعدا لليلى … ولسعدى وخدها الارجوانى
ولهند وبثين ولبنى … وبلابل الدوح والكروان
ولشمس البكور والضحك الحلو … وورد الخدود والبستان
ولكرز الشفاه تقطر شهدا … ولنهود التفاح والرمان
قد سئمت النفاق والكلم المعسول … وسم اللئيم فى الآذان
قذفتنى القوافى والبحور لعمرى … بين ليل الدجى وصبح الأمانى
جعلتنى أصيح من كل قلبى … فجر الظلم فى الحشا أحزانى
أنا ند لنده فكأنا … فى صبانا وفى الضحى صنوان
الصراع الصراع فى طلعة الفجر … وفى غسق المسا وفى كل آن
شمعة تتحدى ظلام الليالى … وضياء يصارع الحدثان
ليت شعرى أهكذا نتخلى … عن وضوح الرؤى وصدق المعانى
أم كذا يصدق القول فينا … أسد فى اللقا وفى الصولجان
أسد فى العرين يزار حتى … هز من صوته عروش المكان
إنما الموت فى شرود المعانى … إنما العيش فى طموح الأمانى
أطلق العدل والوفاء لسانى … حطم الظلم والجحود كيانى

الشموخ الشــــــموخ ما زال فينا شامخا قاهرا صـــــروف الزمان
أيها الأخــــــوان منى ومنه أه لو تعلمــــــان ما قد دهانى
وخز الخنجـــــر اللعين كلانا وتصـــــدى لنا خبيث اللسان
قد غـــــدوت لا أكتب الشعر ولا أستطيع سبــــــك المعانى
قد غـــــدوت لا أجيد القوافى وتداعت من ضيقــــــها أوزانى
المصاب المصـــــاب قد شرد الفكر وأعمـــــــى بصائر الوجدان
هدمـــــوا بالحقد صرحا مشيدا فنعانى من حقـــــدهم ما نعانى
باع كل ضمـــــيره بقليل وأقل القليــــــل .. بالرنان
ما دروا أنـــــهم موات لعمرى ليس كل الأمــــوات فى أكفان
الشهـــــيدان عند ربك أحياء بجنة الخلد والصـــــفا يرزقان
زلـــــزل الله عرش كسرى بليل ثبت الله بالرضـــــا إيمانى
يا خليلى والقصـــــيد هباء قد تخـــــلى عن ورده شيطانى
يا خليلى أرجعـــــانى لليلى وأملآ الكأس مدامـــــا أرجعانى
يا خليلى أغمســـــانى بكأسى عادنى الشـــــوق للصبا أغمسانى
أنا إن كنـــــت فى المشيب ولكن عزف النيل والهـــــوى ألحانى

شـــــين

محمد رشاد عبد الله

غصن الزيتون فى الحركة التعاونية

ولد الأستاذ محمد رشاد فى بلبيس من أعمال محافظة الشرقية سنة ١٩٣٧، وأبلغ ما يوصف به هو ما يتصف به أهل الشرقية عامة من طيبة القلب وحسن المقصد.

أتم محمد رشاد دراسته الثانوية فى مدرسة بلبيس ومنها إلى القاهرة طالبـا فى كليـة الآداب بجامعة القاهرة حيث توجه بفطريته وحسن تقديره إلى دراسة الفلسفة.

وحين تخرج الأستاذ رشاد عين بمراقبة العلاقات العامة بالإصلاح الزراعى مختارا مـن أستاذه الكبير محمد صبيح، عملا سويا فى إصدار المجلة الزراعية التى تولاها فيما بعد زميلـه الأستاذ عز الدين كامل، كما عملا سويا فى إصدار جريدة التعاون الأسبوعية منذ أبريل سنة ١٩٥٩ حين كنت يومها مستشارا للإصلاح الزراعى ويجمعنا جميعا بناء واحـد فى قصـر عابدين.

وبرزت جهود محمد رشاد الصحفية من خلال فكره الثاقب وقلمه العف وأسـلوبه السهل وحسن اختياره للموضوع، استعان الأستاذ محمد رشاد بالأسلوب العلمى فى الدراسة والبحث، وأحسن استخدام الأرقام وطوعها للموضوع أو المقال.

وبسرعة فائقة احتل مكانه سكرتيرا للتحرير، كان بحق العصا السحرية التى يتوكـأ عليها أستاذه محمد صبيح وكان القلادة فى العقد الفريد الذى يزين به رئيس التحرير صدره.

وبسرعة فائقة كذلك احتل مكانه مديرا للتحرير ثم نائبا لرئيس التحرير فلما قـدر لأستاذه أن يرحل كان هو الخلف الطبيعى فى رئاسة التحرير.

واتخذ الأستاذ رشاد طريقه إلى العمل التعاونى من خلال النشاط السياسـى فكـان المستشار الدائم لأمانة الفلاحين وللجنة التعاون التى زاملته فيها بالاتحاد الاشتراكى العربى.

وحصل الأستاذ رشاد ضمن دفعة العمالقة على دبلوم الدراسات العليـا فى إدارة الجمعيات التعاونية من كلية التجارة بجامعة عين شمس حيث يسعده أن يقول أن من أسـباب سعادته الالتقاء بى وبأستاذه الآخر الدكتور كمال أبو الخير على مائدة الدراسة والمحـاضرة،

ومن شيمته أنه يعتز ضمن ما يعتز به من المؤلفات التعاونية بكتاب لى درسه فى الدبلوم عنوانه "التعاون فكر وقانون".

ووقع الاختيار على الأستاذ رشاد شريكا فى صنع القرار بالاتحادات التعاونية المركزية والصحيح أننى زكيت ترشيحه لعضوية الاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى لدى الوزير الأستاذ ناصف طاحون، الذى يعرفه جيدا ويقدره حسن قدره فاستجاب لى فيه وفى عضوين آخرين من ترشيحى وهذا لا يقلل من قدره، إذا لم كون المبادرة قد جاءت من السيد الوزير ما دامت الآراء قد تلاقت عند أمر واحد.

كما رشحته ــ وأنا فخور بذلك ــ عضوا بمجلس إدارة الاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى وليس صحيحا كذلك ما قام لديه من الاعتقاد بأننى أعددت مشروع قانون يحظر الجمع بين عضوية الاتحاد الإسكانى لمن كان عضوا فى اتحاد آخر فالمشروع ينص على أنه يشترط فيمن يرشح لعضوية مجلس إدارة الاتحاد الإسكانى ألا يكون عضوا فى أى اتحاد آخر على نفس المستوى، وفرق بين أن يشمل الحظر الجمع بالانتخاب وأن يشمل الحظر الجمع بالتعيين الذى لا سلطان لأحد عليه!!..

وللتاريخ فقد كان المقصود باقتراح الحظر ممثل محافظة نائية بالذات الذى ناصبنى الخصومة بغير مقتضى لأننى شكوت أعباءه الثقيلة فى غير جدوى أو مردود.

وقد وقع الاختيار ــ بمبادرة من وزير الزراعة ــ على الأستاذ رشاد عضوا بمجلس إدارة الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى ويكاد يكون الأستاذ رشاد هو العضو الدائم بين المعينين فى الاتحاد الزراعى.

وكثيرا ما كانت الاتحادات الثلاثة الكبرى تبادر إلى ضم الأستاذ رشاد لوفودها المسافرة إلى اجتماعات الحلف التعاونى الدولى ولكنه عند الجمع كان ينحاز للجانب الزراعى، فاهتماماته الأولى بطبيعة عمله لهذا القطاع.

والجهد الذى بذله الأستاذ رشاد فى نجاح مؤتمر الفلاحين الذى دعا إليه الأخ عبد الحميد غازى أمين الفلاحين حينذاك بالسهر حتى مطلع الفجر فى بيت الأمين أمر يشرفنى أن التاريخ لن ينسى جهدنا المشترك فى أعماله.

وللأستاذ رشاد فضل كبير فى حل مشاكل الدار عندما كان المهندس سيد مرعى أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى العربى فالرجل تجمعه بالأستاذ صبيح والأستاذ رشاد محبة ومودة انطلقت من الدار إلى حظيرة الصحف القومية التى يرعاها الاتحاد الاشتراكى العربى ومن بعده مجلس الشورى.

والأستاذ رشاد عضو فى المجلس الأعلى للصحافة وله فى أعمال هذا المجلس رصيد يذكر فيشكر.

وعندما كنت عضوا فى شعبة الإدارة المحلية فى المجالس القومية المتخصصة كلفنى الدكتور عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة بتشكيل لجنة أقوم برئاستها من بعض الخبراء والعلماء لإعداد تقرير عن التعاون لم أجد خيرا من الأستاذ رشاد والدكتور يحيى زهران والدكتور حسين حجازى والمستشار أحمد خفاجى ليكتمل بهم تشكيل اللجنة.

وكان نصيب الأستاذ رشاد من هذا التقرير الكتابة الأنيقة عن تجربة التعاون فى ألمانيا كما شهدها بنفسه عند حصوله على الدبلوم من هناك وتجربة التعاون فى الأردن حيث اختصها بزيارة طويلة.

والأستاذ رشاد هو العنصر المشترك فى جميع الوفود التى زارت البلاد العربية وكان له فى الندوة الثقافية التى عقدت فى الكويت بحث حصل وحده على الإعجاب الكامل.

وعندما خلت رئاسة دار التعاون ــ وقد ناضل من أجل أن تكون الرئاسة لأحد أبناء الدار ــ بدأ فى مرحلة جديدة من الإصدارات أبرزها كتاب التعاون الذى أسنده إلى الأخ الأستاذ سعيد نور الدين والمجلة الزراعية وجريدة السياسى المصرى فى صورتها الجديدة ويرأس تحريرها الزميل الأستاذ سلامة أبو زيد الذى التقيت به فى أوائل الستينيات مندوبا للجريدة فى الإصلاح الزراعى فصعد إلى القمة درجة فدرجة.

كما شهدت الدار المخصصة للتحرير فى جاردن سيتى تطورا هاما فى الشكل وفى المضمون فأنشأ مكتبة التعاون فى واجهة المبنى وأنشأ قاعة محمد صبيح التى تزدان بين الحين والآخر بالندوات التى تقعد بها ويؤمها الوزراء والعلماء والقادة.

ويستضيف الأستاذ رشاد الندوات التى تقعدها الجمعية العربية للعلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين ويصر على أن تتحمل الدار مسئوليتها المالية.

والأستاذ رشاد هو المشرف على تحرير الصحف العلمية التعاونية دون منازع.

والأستاذ رشاد متزوج وله من زيجته بنين وبنات حفظهم الله له وحفظه لهم.

وخلاصة ما يقال فى الأستاذ محمد رشاد أنه المشارك الصادق فى الأبوة الروحية للحركة التعاونية.

ومن أجل ذلك كرمه الأستاذ الدكتور يوسف والى بتجديد عضويته فى الاتحاد العلم للتعاونيات.

كما كرمه الرئيس محمد حسنى مبارك فى يوم الإعلاميين فى يونيه سنة ١٩٩٧ بمنحه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى بوصفه المتحدث أمام الرئيس فى كل لقاء لهما عن الحركة التعاونية وشد الاهتمام إليها.

وقد سبق ترشيح الأستاذ رشاد كعضو فى الاتحاد العام للتعاونيات للحصول على نوط الامتياز من الطبقة الأولى ــ الذى شرفت بالحصول عليه ــ ولكنه ناشد المسئولين عن التكريم نقله إلى أحد أساتذته مؤثرا على نفسه وفاء منه وبرا.

والأستاذ محمد رشاد كما المستشار أحمد خفاجى هما الوحيدان اللذان يجمعان بين عضوية جمعيتين تعاونيتين علميتين استثناء من القاعدة فكلاهما عضو فى الجمعية المصرية للدراسات التعاونية وكلاهما عضو فى الجمعية العربية للعلماء والقادة الإعلاميين التعاونيين التى اختارته سكرتيرا عاما لها.

وللتاريخ أيضا فإن الأستاذ رشاد من المؤسسين للحزب الوطنى الديمقراطى وكان يشهد الاحتفال السنوى بذكرى هذا الميلاد مدعوا من الرئيس الراحل محمد أنور السادات.

وقد بادرت القيادات والاتحادات التعاونية إلى تكريم الأستاذ محمد رشاد بمناسبة الحصول على تكريم الرئيس فى حفل أقيم مؤخرا فى فندق سفير بالدقى فنال بذلك الحسنيين التكريم الرسمى والتكريم الشعبى.

وعندما بلغ الأستاذ رشاد سن الستين ارتفعت أكف الضراعة إلى مجلس الشـــورى والمجلس الأعلى للصحافة وكل المسئولين أن يجددوا له العمل رئيسا لدار التعـاون ويقينـــا سيقبل هذا الرجاء وستكون هذه الاستجابة بمثابة أمل يتجدد فى ضمير الحركة التعاونية.

تحية من كل قلب مخلص فى صدر كل تعاونى يحب وطنه أن يحفظ على مصر أســتاذا وإنسانا ومعلما وطنيا وقوميا صادق العهد اسمه (محمد رشاد) أو غصن الزيتون فى يد الحركة التعاونية.

المستشار أحمد شمس الدين خفاجى

أستاذ وخبير التشريع التعاونى

أو الرجل بلا خصوم

اعتدت أن أقدم قيادات الحركة التعاونية من خلال التعريف بتاريخهم وبأمجادهم وبدورهم المتميز فى قيادة الحركة التعاونية.

واليوم نبدأ ـــ وبدون ترتيب مقصود ـــ بالتعريف ببعض القيادات العلمية والتشريعية فى مجال الدراسة والبحث فى ميدان التعاون الفسيح، عسى أن نكون بذلك قد أتينا على بعض الواجب نحو هؤلاء القادة من وجهة نظر محايدة وموضوعية.

ولد المستشار أحمد خفاجى فى ٢٣ أغسطس ١٩٤٢ بمدينة الفيوم، والتحق بالمدرسة الأولية حيث حفظ بعض سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأتقن من خلال أساتذة أفاضل قواعد وتطبيقات اللغة العربية، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية الأميرية وفى سنة ١٩٥٤ انتقل مع والده إلى القاهرة تلميذا فى مدرسة الأورمان الإعدادية ثم مدرسة الأورمان الثانوية، فى هذه المدرسة الأخيرة، وفى السن المبكرة قاد طابور الصباح خطيبا، ومن هنا عرف طريقة إلى الميكروفون، وأصدر مجلة المدرسة، ذات المجلة التى كان يصدرها المغفور له مصطفى كامل باشا زعيم مصر الوطنى وأسس لإصدار هذه المجلة أسرة بعنوان أسرة مصطفى كامل التى تولى رئاستها.

وعندما آن الأوان للتخصص انقسم الأساتذة إلى فريقين، فريق القسم العلمى ويطالب بهذا الطالب ليلتحق بالقسم العلمى وفريق القسم الأدبى ويطالب به ضمن طلاب القسم الأدبى، وانتقى هو القسم الأدبى كأديب فكان من أبرز طلاب هذا القسم، وهذا هو النبوغ المبكر الذى صحبه منذ نشأته الأولى وأمام هذه الثلاجة وقف لبيع المثلجات ويوفر لنفسه مصروفه اليومى، ومن هنا بدأت حياته التعاونية.

لقد احتمل أحمد خفاجى فى صباه غياب والده المتواصل فى السجن السياسى والمعتقل.

وفى كلية الحقوق بجامعة القاهرة استقر طالبا يهوى القانون كما يهوى الفنان الموسيقى أو الرسم، وفى هذه الكلية أوقف نشاطه على الدراسة غير أنه فى ساحة المحكمة التى كان يعقدها الأستاذ الدكتور فتحى سرور كان يختار له الأستاذ دائما مقعد القاضى ليجلس عليه وليفصل بالرأى القانونى فيما يثور بين زميليه ممثل الاتهام وممثل الدفاع.

تخرج الطالب أحمد خفاجى فى كلية الحقوق سنة ١٩٦٣ وكان ترتيبه الخامس بين دفعته بفارق ثلاث درجات عن الطالب الأول يعتقد من يقرأ خط أحمد خفاجى أن هذه الدرجات الثلاث ربما كانت وأكثر منها ضحية هذا الخط.

حصل على تقدير جيد جدا الأمر الذى أهله للالتحاق بالجهة التى يتمنى الالتحاق بها أعنى مجلس الدولة وحصل على ثلاث دبلومات عالية فى القانون والقانون الإدارى والشريعة الإسلامية وعمل بالمجلس أول ما عمل فى إدارة فتوى المالية والاقتصاد والتموين تحت رئاسة أستاذه المستشار ياقوت العشماوى الذى منحه تقدير امتياز كما نص على ذلك فى تقرير التعريف به لشغل منصب نائب رئيس المجلس والذى أعده أستاذه الجليل المستشار يحيى عبد الفتاح سليم البشرى رئيس محكمة القضاء الإدارى الأشهر.

فى مجال التشريعات التعاونية:

بدأ نشاطه فى الإعداد للتشريعات التعاونية لا أقول معاونا لوالده ولكن أقول ندا له على الصف الواحد وكانت له جهود معروفة عندما كان والده مستشارا للاتحاد الاشتراكى العربى لشئون التعاون حيث اعترف له بهذه الجهود فى وضع مسودة التشريع التعاونى الموحد الأستاذ عبد الرحمن الشاذلى وزير التموين الذى كان رئيسا للجنة بينما كان أبوه مقررا لها، ولعل هذا هو السبب فى أن السيد عبد الرحمن الشاذلى أوفده مرة إلى بعثة قصيرة فى تشيكوسلوفاكيا حصل منها على دبلوم فى التعاون ثم دفع به ممثلا لمصر فى مؤتمر دولى عقد فى موسكو.

ومن خلال هاتين المهمتين صقل معلوماته التعاونية على أساس من العلم والتطبيق ثم اشترك فى إعداد مشروع قانون التعاون الاستهلاكى رقم ١٠٩ لسنة ١٩٧٥ تحت مظلة السيد عبد الرحمن الشاذلى وزير التموين بالنسبة للقانون الأول والسيد الدكتور فؤاد محيى الدين وزير الإدارة المحلية وقتذاك بالنسبة للقانون الثانى حيث كافأه هذا الوزير العملاق

بتعيينه عضوا فى أول مجلس إدارة بالتعيين بالاتحاد التعاونى الإنتاجى زميلا لكثيرين من الأفاضل بينهم الراحل والعالم الأستاذ أحمد زكى الإمام والراحل الجليل الأستاذ سيد زكى الذى سمعته يقول فى أكثر من مناسبة أنه تعلم ضمن من تعلم عليهم على الأستاذ محمد رشاد والأستاذ أحمد خفاجى، وهذا تواضع الفضلاء.

وفى المجلات التعاونية ـ صوت التعاون وبرج التعاون والتعاون الإنتاجى برزت أنشطته فى نشر الفكر والتشريع التعاونى.

وفى مجال التطبيق التعاونى:

وفى مجال التطبيق التعاونى اشترك المستشار أحمد خفاجى فى تأسيس جمعية الدقى والعجوزة للتعاون الاستهلاكى وجمعية الإسكان الشعبى التعاونى وشغل عضوية مجلس الإدارة فى الجمعيتين، ومن خلال الجمعية الأخيرة احتل مركزا مرموقا فى مجلس إدارة الجمعية التعاونية الاتحادية لمحافظة الجيزة.

واختار المهندس عبد الرحمن لبيب عندما كان رئيسا للهيئة العامة لتعاونيات البناء والإسكان المستشار أحمد خفاجى مستشارا للهيئة.

وفى عهده وبجهوده المشتركة صدر القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨١ بإصدار قانون التعاون الإسكانى.

ومن بين الأحياء الذين يشهدون بأن جميع القرارات الوزارية المنظمة للتعاون الإسكانى بما فى ذلك النظام الخاص بلجنتى الخطة والنظم الداخلية لوحدات البنيان التعاونى كان الخط الأول فيها بقلم المستشار أحمد خفاجى والسيد المهندس فتحى أبو الغار حين كان رئيسا لقطاع التعاون بالهيئة والسيد كمال بدوى حين كان عضوا بمجلس الشعب.

لكل هذه الاعتبارات كان المستشار أحمد خفاجى يدعى فى مجلس الشعب إلى لجنة الإسكان فى حينه وإلى لجنة الصناعة فى حينه وإلى اللجنة الاقتصادية فى حينه لاستطلاع رأيه فى التشريعات التعاونية الثلاثة الإسكانى والاستهلاكى والإنتاجى.

وكان الأستاذ المستشار محمد الجمل رئيس مجلس الدولة السابق الذى كان وقتها مستشارا لمجلس الشعب والأستاذ المغفور له الدكتور جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب

يبديان اهتمامات واضحة بالآراء والأفكار التي تنساب بسهولة وعمق من المستشار أحمد خفاجي ندا لأبيه في هذه اللجان.

وفي التدريب والتعليم والتأليف التعاوني:

وفي مجال التدريب التعاوني ارتفع صوت المستشار أحمد خفاجي في جنبات مراكز التدريب في شتى فروع التعاون بالتعاون مع مؤسسة فريد ريش أيبرت حينا ومراكز التنمية التعاونية والمركز الثقافي التعاوني بالقاهرة حينا والمركز التعاوني الثقافي بالإسكندرية حينا آخر، ثم هو الضيف الدائم على موائد التدريب للقيادات العليا في الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة.

وفي مجال التعليم التعاوني وقع عليه الاختيار خلفا لأبيه بعد اعتزاله أستاذا للتشريعات التعاونية بالمعهد العالي للدراسات التعاونية والإدارية وبالدراسات العليا لكلية التجارة بجامعة عين شمس اصطفاه الدكتور ـ كمال حمدي أبو الخير ليؤدي هذا الواجب العلمي والقومي استفادة من جهوده في إعداد التشريعات التعاونية وفي شرحها وتطبيقاتها.

أصدر المستشار أحمد خفاجي ١٤ مرجعا في التشريعات وفي الفكر التعاوني وفي مبادئ التعاون في ضوء ما انتهت إليه قرارات الحلف التعاوني الدولي وما زال يواصل العطاء في المعهد والجامعة.

ومن مظاهر التكريم كان المستشار أحمد خفاجي ضمن وفد مصر إلى مؤتمر الاتحاد التعاوني العربي الذي شارك في إعداد مشروع نظامه الداخلي وحصل من أجل ذلك في احتفال عقد بدولة الكويت على ميدالية التفوق الذهبية وشهادة تقدير للجهد الظاهر الذي قام به في إنماء الحركة التعاونية العربية كما كان محلا للتكريم مرة أخرى في بغداد عاصمة الرشيد وما زالت اتصالاته وصلاته بالقيادات العربية التعاونية قائمة.

كما حصل المستشار أحمد خفاجي في حفل العيد الماسي للتعاون على شهادة التقدير عن التشريع التعاوني وسلمها إليه المغفور لها الدكتور فؤاد محيي الدين رئيس مجلس الوزراء.

وفي مجلس الدولة:

كل هذه الجهود التعاونية التي أوردتها في تلخيص حقيقي لجهوده التي يمكن للمتابع أن يسجلها بإفاضة ولكن نشاط المستشار أحمد خفاجي الحقيقي هو ما أنجزه من خلال دوره

فى مجلس الدولة فقد طاف بقسم التشريع وبإدارة الفتوى المالية والاقتصاد والتموين، ثم مفوضا للدولة بمحافظة المنيا حيث أنشأ بنفسه مدرسة من كل المشتغلين بالقانون فى المحافظة وفروعها ليحاضرهم فى واجبات الإدارة وأصدر بهذه المناسبة كتبا فى الإدارة العليا وصنع القرار وآخر فى المخالفات التأديبية.

ثم اختير مستشارا للاتحاد العام للتعاونيات تقديرا وتتويجا لجهده وعلمه وفضله، كما اختير مفوضا للدولة لوزارة الداخلية ثم مفوضا للدولة بوزارة الإسكان والتعمير ثم تولى رئاسة إدارة الفتوى للإسكان والتعمير ردحا من الوقت، ثم التحق بقسم التفتيش القضائى بهيئة المفوضين ثم اختير رئيسا للمحكمة الإدارية والتأديبية بأسيوط أولا وبالقاهرة ثانيا ثم وقع عليه الاختيار عضوا بالمحكمة الإدارية العليا وأمينا عاما لمجلس الدولة فى ذات الوقت ثم رئيسا للمحكمة التأديبية لمستوى الإدارة العليا على مستوى الجمهورية وما زالت المبادئ التى أرساها فى هذه المحاكم ونشر ملخصها فى الصحف اليومية دليلا واضحا على حسن التقدير والموازنة والشجاعة فى نفس الوقت.

واليوم وطبقا للأولويات التى تناط بنواب رئيس مجلس الدولة اختير رئيسا لإدارة الفتوى لوزارات التربية والتعليم والتعليم العالى والبحث العلمى والجامعات.

ويشغل فى ذات الوقت منصب المستشار القانونى للاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى وقد سبق أن تولى المستشار أحمد خفاجى فى الاتحاد منصب رئيس لجنة الخطة للمشروعات التعاونية فأرسى قواعد العمل فيها كما اختير مقررا للجنة الخطة للساحل الشمالى وظل على جهاده وجهوده فى اللجنتين سبع سنوات، كما رأس لجنة الفتوى التى تبناها ثم هيئة التحكيم بالاتحاد التى كانت من صنعه.

كما اختير مستشارا للاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى وعضوا بلجنة التعاون بالمجالس القومية المتخصصة وهو الذى أعد مشروع قانون التعاون الموحد بالتعاون مع مؤسسة فريدريش نادمان ومشروع قانون التعاون الإنتاجى بالتعاون مع مؤسسة فريدريش إيبرت الألمانيتين، وما زال العطاء ممتدا رئيسا لمحكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة للعقود الإدارية والتعويضات.

قد يقول البعض أننا تعجلنا الكتابة عن المستشار أحمد خفاجي وهو ما زال حـــول الخمسين ولكن القدر العظيم من الجهد الذى بذله خلال هذه الآجال يتعين أن يدون على أن يكون بأقلام أخرى صريحة وصادقة وموضوعية.

وقد تكون أبنته صافية المتطلعة إلى مقعد فى مدرج بكلية الحقوق هى أحــد هــذه الأقلام، صافية الفتاة الشاعرة التى حصلت من التليفزيون العربى ومن وزير الأوقاف علـــى شهادتى تقدير والأدبية التى كان يكتب والدها باسمها وبتوقيعها المقـــالات فى الصحـــف التعاونية قبل أن تولد.

ومعذرة للمستشار أحمد خفاجي الرجل بدون خصوم إذا كنت قـــد قصـــرت أو أجملت، والله يرضى عليك يا إبنى.

مدام عبد اللاه

تحدثنا عن شخصيتين من سيدات التعاون هما رئيسه جمعية ربات البيوت بالقاهرة ورئيسة جمعية ربات البيوت بالجيزة وقلنا أن الجمعيتين قد أغلقتا لتوقف النشاط التعاوني للسيدتين ولا أذكر في نطاق دائرة ذاكرتي أن جمعيات نشأت تحت عنوان ربات البيوت في المجال التعاوني في منطقة أخرى إلا إذا أخذنا في الاعتبار الجمعية التعاونية الاستهلاكية التي تقودها السيدة وداد فريد في حي المعادي و التي قادت رئيستها إلى مقعد في مجلس إدارة الاتحاد التعاوني الاستهلاكي لمحافظة القاهرة ومنه إلى مقعد في مجلس إدارة الاتحاد التعاوني الاستهلاكي المركزي ومن خلاله تمكنت من السفر إلى الخارج ضمن الوفود التي رأسها وقادها رئيسها وقائدها الأستاذ الدكتور أحمد عبد الظاهر حيث أجازت تمثيل الحركة التعاونية المصرية في المؤتمرات.

أما مدام عبد اللاه فهي علامة بارزة على النشاط التعاوني بالإسكندرية كانت تقيم مع زوجها السيد أحمد عبد اللاه بمترل يملكه بحي الحضرة فقد كان زوجها رئيسا للاتحاد التعاوني بالإسكندرية ومديرا عاما للجمعية الزراعية المشار إليها مع آخر من كبار المنتجين يدعى الحاج الجياش كان هذا البيت منتدى للحركة التعاونية المصرية حيث يترل في ضيافته القادة.

ولهذه الأسرة أبن هو الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد اللاه رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب ونائب رئيس جامعة الإسكندرية أما الابنة فكانت زهرة من زهرات المجتمع المحافظ بالإسكندرية وكنت أراهما بين الحين والآخر في سن الزهور، وقد اشتغلت مدام عبد اللاه بالتعاون الزراعي في مجال الثروة الحيوانية وإنتاج الألبان وتسويقه كما اشتغلت في توريد أعلاف الحيوان بالإصلاح الزراعي حين كنت التقى بها كمستشار للإصلاح الزراعي بين الحين والآخر بقصر عابدين وكان التنافس قائما في مجال النشاط الاجتماعي بينها وبين السيدة الفاضلة زاهية مرزوق، وفي وزارة الشئون الاجتماعية المشرفة على التعاون حينذاك ولكنه تنافس شريف كانت مدام عبد اللاه السيدة الوحيدة التي نالت تقدير الحفل الذي أقيم بمناسبة العيد الماسي للحركة التعاونية وشهده الدكتور فؤاد محيي

الدين رئيس الوزراء مع الوزراء المعنيين وقادة التعاون وقمت كأمين عام للمؤتمر بتوزيع شهادة التقدير والميدالية الفضية المنقوش عليها صورة عمر لطفى إلى ابنها البار الدكتور محمد عبد اللاه فى حفل أقيم فى اليوم التالى بمقر المركز الزراعى الدولى بالدقى شهده قادة التعاون فى البلاد العربية.

لم يكن نشاط مدام عبد اللاه وقف على الإسكندرية كمحافظة وكلنها بسطت يديها على الحركة التعاونية ككل حيث أشرفت على شراء مساحة من الأراضى الرملية القريبة من شاطئ سيدى بشر بجنيهين للذراع الواحد حين تجاوز ثمن الذراع الآن عشرة آلاف جنيه ثم أقامت معسكرا صيفيا للتعاونيين عبارة عن فناء يعلوه علم مصر الذى رفعته بنفسها أول مرة فى حضور القيادات التعاونية ثم يحاط هذا الفناء بكبائن صغيرة من الخشب والحصير أشبه بما كانت عليه كبائن رأس البر يتصدر المكان مطعم ملحق به مطبخ وتجاوره من الناحية البحرية زاوية للصلاة وإن كان هذا المصيف قد تحول فيما بعد إلى المركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية الذى يحج إليه التعاونيون من شتى أوجه النشاط لتلقى التدريب على أيدى كبار التعاونيين نذكر منهم الأساتذة عبد اللطيف عامر ومحمود فهمى وأحمد أبو الغار وأحمد زكى الإمام والدكتور جابر جاد عبد الرحمن والدكتور كمال أبو الخير والدكتور صلاح العبد والمستشار شمس الدين خفاجى.

وتكونت لجنة لإدارة هذا المركز ويشرفنى اليوم أن أقول أن مدام عبد اللاه كانت عنصرا هاما فى اللجنة الإدارية التى شكلت من بعض رؤساء الاتحادات التعاونية وهم السيد أحمد عبد اللاه والأستاذ محمد إمام الجمال والمهندس فخرى مهنا وشمس الدين خفاجى، وكانت مدام عبد اللاه سيدة الموقف فى تنظيم حفل افتتاح هذا المركز الذى شهده السيد كمال الدين حسين وقادتنى الظروف لأن أتحدث باسم هذه اللجنة أمام السيد الوزير والسيد الأستاذ عبد اللطيف فهمى عامر وكيل الوزارة لشئون التعاون.

وعرضت فى كلمتى لأهمية تشكيل اتحاد عام للتعاون باعتباره أقدم من الحركة النقابية العمالية والتى تكون لها بالفعل اتحاد عام.

وكل حفلات التكريم والندوات التى أقيمت فى الإسكندرية سواء فى هذا المركز أو فى فندق بوريفاج كان وراء نجاحها السيدة الفاضلة مدام عبد اللاه وقد امتد هذا النشاط

حتى بعد أن انتقلت أسرتها إلى مقرها الجديد فى قصر الملك أحمد فؤاد بعد أن رحل عن مصر. حيث خصص لقيادات التعاون ـــ يتصدرهم سيد المنشاوى ـــ استراحة دائمة بهذا القصر.

لقد مرت الأسرة الكريمة بمحنة فى ظل التطبيق الخاطئ للاشتراكية ولكن الأســــرة خرجت من المحنة بسلام بفضل تدخل السيد عبد الناصر حسين والد جمال عبد الناصر.

الشهيد أحمد يونس

و٢٩ أبريل ١٩٨٢ عيد التعاونيين فى مصر

منذ سنوات بعيدة حدث إضراب بين صفوف العمال فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية وقدم البوليس ــ كالعادة عددا من قيادات العمال المضربين إلى المحاكمة بتهمة التخريب والقتل.

وفى يوم حزين حكمت المحكمة بناء على شهادة قائد البوليس بالإعدام شنقا على عدد من القيادات العمالية.

وفى يوم حزين آخر قيل إن السماء يومها تلبدت وأنها ذرفت قطرات من الدمع حزنا وأسى حين نفذ فى هؤلاء المتهمين حكم الإعدام شنقا فى أكبر ميادين شيكاغو حيث تجمع الألوف من أبناء المدينة يتصدرهم العمال ليلقوا على قادقم النظرة الأخيرة.

وانقضت سنوات طويلة ومرض قائد البوليس، وبينما هو على فراش المرض يعانى سكرات الموت جئ له بالقسيس ليدلى باعترافاته..

قال الرجل لقد كانت هذه التهم الموجهة إلى العمال الذين حكم بإدانتهم ونفذ فيهم حكم الإعدام من تدبير البوليس وأن الذين وقعوا صرعى الرصاص كانوا من ضحايا البوليس وأن شهادته التى أدت بهؤلاء العمال الأبرياء إلى الموت كانت شهادة الزور!! ..

عندما طالب الشعب يتقدمهم العمال بفتح ملف القضية وإعادة المحاكمة من جديد حيث قضت المحكمة فى يوم مشرق ببراءة المتهمين الذين كانوا يومها عظاما نخرة توشك أن تصير ترابا.

كان ذلك فى يوم أول مايو ومنذ ذلك التاريخ اتخذ عمال العالم يوم أول مايو عيدا لهم حين ظهرت براءتهم بالرغم مما أسفرت عنه المشانق.

لم يكن عيد أول مايو مصرحا بالاحتفال به فى مصر قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ اعتقادا من السلطات أن هذا العيد من مظاهر الشيوعية الوافدة من الشرق، ولم يكن هؤلاء يدركون أن البراءة التى حصل عليها عمال شيكاغو هى براءة لعمال الدنيا بأسرها.

وأن الإنسانية لا تتجزأ وأن عمال العالم، يد تبنى ويد تحمل السلاح.

لقد أصبح عيد أول مايو فى مصر يوما يدلى فيه رئيس الجمهورية ببيان شامل عن سياسة الدولة وتصرف فيه المكافآت لكل العاملين على السواء.

وإذا كان باتستا زعيم نقابة بولندا المستقلة المحظور نشاطها قد أحدث فى صفوف عمال العالم المقهورين حدثا غير مسبوق، فإن النقابة المحظور نشاطها تزداد اليوم نشاطا وقوة، وأنه لا يصح إلا الصحيح.

أقول قولى هذا لانتهى إلى أن اليوم الذى يجب أن يتخذ عيدا للتعاونيين هو اليوم المشرق البهيج الذى أعلنت فيه محكمة جنايات مصر الحكم ببراءة قادة الاتحاد التعاونى الزراعى المصرى.

لقد صدر الحكم وكان بعض المتهمين قد فاضت أرواحهم إلى بارئها تشكو ظلم الإنسان ومع ذلك فإن الاحتفال بيوم براءة هؤلاء مع الآخرين منهم هو عيدنا الذى يتعين أن يكون عيد التعاونيين جميعا.

لقد سبق أن قلت فى حفل لتكريم الأخ الأستاذ محمد إدريس بمناسبة انتخابه رئيسا لاتحاد الفلاحين الأفارقة أن الذين اتهموا وقضت المحكمة ببراءة ساحتهم هم فى المرتبة الأولى من الشرف يأتى بعدهم الذين لم يتهموا أصلا ولم تعرض صحائفهم على منصة القضاء.

إن كثيرين من الذين يسعدون بحريتهم ويفرحون ويمرحون ويضربون الأرض مرحا قد يكون من بينهم أشقى الأشقياء وأخر الناس خطرا على المجتمع، وإلا فما هو دليل براءتهم إلى قول القائل أن الناس كلهم أبرياء حتى تثبت إدانتهم.

والآن أنى أسأل:

أين الذى أوصى بحل الاتحاد التعاونى الزراعى الآن، ألم يعد خبرا بعد عين.

أين الذى أعلن بأعلى صوته فى جلسة صاخبة من جلسات مجلس الشعب قرار الحل، ألم يعد هشيما تذروه الرياح.

أين الذين أمسكوا بخناجرهم المسمومة وكالوا الطعنات للاتحاد التعاونى الزراعى فور حله وكانوا يرفلون فى حلل الأبهة بأموال هذا الاتحاد، ألم يتلقوا على وجوههم وأقفيتهم الصفعات عندما عاد الاتحاد البطل سيرته الأولى..؟!!

ثم أين الجلادون من الصحفيين الذين اعتادوا الكتابة تحت توقيعات مزيفة للتشفى زلفى وقربى حتى بعد أن أوصلوا الأبرياء إلى ساحات القضاء .ألم ينالوا جزاءهم احتقار الصحفيين الشرفاء، وسخط التعاونيين بالملايين وإلى يوم القيامة..؟؟

أننى أقول لكل هؤلاء وقد كتبت فى ذلك من قبل فى جريدة التعاون .إبان المحنة أن الباطل زائل والحق ابلج .أنه أيها السادة لا يصح إلا الصحيح!! ..

ووفاء لك يا صديقى أحمد يونس على رأس الشهداء أكتب هذه الكلمة.

ويبقى أن يتلقى التعاونيون الشرفاء هذا الاقتراح بالسعادة والبهجة والتأييد، وإلا فإن عيد التعاونيين فى يوم البراءة سيفرض نفسه!! ..

محمد إدريس

رجل التعاون الزراعى فى مصر

محمد أحمد إدريس رئيس الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى ورئيس اتحاد الفلاحين الأفارقة يعتبر واحدا من أبرز رموز الحركة التعاونية والفلاحية فى النصف الثانى من القرن العشرين.

وقد عايش محمد إدريس الحركة التعاونية الزراعية فى مصر منذ نعومة أظفاره وساهم بجهده وعرقه فى إثراء الحركة التعاونية فى الخمسينيات والستينيات وعاش سنوات النكسة الأولى للحركة التعاونية الزراعية فى عام ١٩٦٠ والنكسة الثانية عام ١٩٧٦ وكان واحدا من القيادات التى تصدت لقرار حل الاتحاد التعاونى وحشد الجهود من أجل إزالة آثار هذه الأزمة حتى تظل الحركة التعاونية والزراعية واقفة فى مواجهة الأنواء التى تعرضت لها.

هذه الخبرات الممتدة عمقت لديه الإحساس بالوطنية الخالصة وعدد من سمات شخصيته فمع كونه فلاحا مستنيرا فهو أيضا منظرا بارعا فى رصد الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية وطرحها فيملك ثقافة الباحث وخبرة العالم وذلك بفضل خبراته الواسعة فى التطبيق الميدانى وهى خبرات تكونت بدأب شديد وعمل شاق متواصل واستطاع بوطنيته الجياشة وشخصيته القوية وعلاقاته العديدة أن ينتخب نائبا أول للاتحاد الدولى للمنتجين الزراعيين ونائبا للجنة الزراعة بالحلف التعاونى الدولى ورئيسا للجنة الفلاحين الأفارقة لأربع دورات متتالية بإجماع المنظمات الأفريقية وعضوا بنادى الفلاحين بالمملكة المتحدة وجمعية البحوث التعاونية فى بروكسل بجانب رئاسته للاتحاد التعاونى الزراعى المركزى وعضويته بالاتحاد العام للتعاونيات.

وقد قلده الرئيس محمد حسنى مبارك نوط الامتياز

ولد الأستاذ محمد إدريس فى جزيرة شندويل فى سوهاج فى ٦ أغسطس سنة ١٩٣١ ومتزوج وله خمس بنات متزوجات كلهن خريجات كلية التجارة جامعة القاهرة ويعملن محاسبات بالبنوك.

وحصل الأستاذ محمد أحمد حسين إدريس على دبلوم الدراسات التجارية العليا سنة ١٩٥٣ ودبلوم إجادة اللغة الإنجليزية جامعة كمبريدج سنة ١٩٨٥.

وبدأ حياته رئيسا لجمعية تعاونية زراعية سنة ١٩٥٦ ورئيسا لجمعية عزبة إدريس سنة ١٩٥٩ وسكرتيرا مساعدا للاتحاد التعاوني الإقليمي بالجيزة سنة ١٩٥٦ ورئيسا للجمعية التعاونية الزراعية لمحافظة الجيزة بين سنة ١٩٦٣ و ١٩٧٤ وعضوا بمجلس إدارة الجمعية العامة للبطاطس سنة ١٩٧١.

ومن الناحية السياسية اختير عضوا بالمكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى العربى سنة ١٩٦٤ وأمينا عاما مساعدا لأمانة الفلاحين سنة ١٩٦٦ وعضوا باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى سنة ١٩٧١ ويتولى حاليا رئاسة شعبة التعاون بالحزب الوطنى الديمقراطى منذ سنة ١٩٩١.

التقيت بالأستاذ محمد إدريس على مراحل المرحلة الأولى وهو السكرتير المساعد للاتحاد التعاونى الإقليمى لمحافظة الجيزة سنة ١٩٦٢ حيث عاون فى توزيع أول طبعة لكتاب تعاونى صدر لى اختص به الجمعيات التعاونية بالمحافظة وفى المرحلة الثانية أمينا مساعدا للجنة الفلاحين بالاتحاد الاشتراكى العربى ثم اتصل بنا النشاط عندما كنت مستشارا للجنة التعاون بالاتحاد الاشتراكى العربى ثم اتصل بنا النشاط عندما كنت مستشارا للجنة التعاون بالاتحاد الاشتراكى العربى واستفدت من خبرته العملية فى إعداد أول مشروع لقانون التعاون الزراعى ثم تواصل اللقاء إلى أن التقينا على عضوية مجلس إدارة الاتحاد العام للتعاونيات ومن خلال نشاط هذا الاتحاد التقينا فى اجتماعات اللجنة المركزية للحلف التعاونى الدولى وعندما تحددت سنة للتعاون الإسكانى تحت شعار مأوى لكل من لا مأوى له شرفنى بترجمة خطابى فى الحلف إلى اللغة الإنجليزية وإلقائه ببراعة وهو يقف إلى جانبى يساندنى ويشد من أزرى وقد سعدت بتلبية دعوته الكريمة فى أكثر من مناسبة لتناول العشاء على هامش اجتماعات الحلف حيث برع فى تناول الحديث باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

والأستاذ إدريس متحدث لبق وحصيلته من اللغة العربية وأمثالها بارعة وقد بلغ قمة السياسة والكياسة عندما بعث برسالة من سوريا إلى مجلس إدارة الاتحاد العام للتعاونيات

يعلن فيها عدم تمسكه برئاسة الاتحاد إيثارا لزميله وصديقه الدكتور أحمد عبد الظاهر .و.
زال الود متصلا.

الدكتور فخرى شوشه

كالعنوان يكتب آخر ويقرأ أولا

خير الكلام ما قل ودل...

هذا هو أسلوب الكتابة عن الدكتور فخرى شوشه.. تخرج فى كلية الزراعة بجامعة عين شمس والتحق بالمعهد العالى للدراسات التعاونية.. ومن هذه الركيزة التعاونية إلى كلية التعاون بموسكو.. وقد أتيح لى فى إحدى المرتين اللتين زرت خلالهما موسكو التعرف على مناهج هذه الكلية كما تعرفت على بعض الدارسين ممن أوفدتهم إليها وزارة التموين.

لم يقبل الدكتور فخرى شوشه أثناء دراسته باستيعاب مقرر الإلحاد الذى كان يدرس هنالك وأتيت عليه فى زيارتى الثانية إلى موسكو كمطلب مصرى وعربى وإسلامى... كما لم يقبل الدكتور فخرى شوشه بالغلواء فى مقررات الاشتراكية التى تعبر حقيقة عن مفهوم الشيوعية.. احتفظ الدكتور فخرى شوشه بالاشتراكية الإسلامية فى قلبه وفى وجدانه.

اختير الدكتور فخرى شوشه.. وهو من أبناء دمياط الحبيبة عميدا للمعهد العالى للتعاون الزراعى.. وفى عهده نما هذا المعهد نموا مضطردا يتمثل ذلك فى الآتى:

أولا: إنشاء المدرجات:

ثانيا: تأسيس الجمعية التعاونية الاستهلاكية كنموذج حى وتطبيقى للطلاب.. وهذا ليس بالأمر الهين.

ثالثا: إنشاء قسم الدراسات العليا واختيار أكفأ العناصر ــ بدون تحيز ــ للتدريس فى دبلومات هذا القسم وشرف لى أننى كنت واحدا من هؤلاء الذين وقع عليهم الاختيار.

ويضاف للدكتور فخرى شوشه أنه أسس الجمعية المصرية للعلميين التعاونيين.. والذى ينظر إلى قائمة أعضاء هذه الجمعية يدرك مقدار الوعى العلمى وحسن الاختيار لدى الدكتور العميد ــ غير أنه لم ينجح ــ لأسباب خارجة عن إرادته ــ فى نقل تبعية المعهد من جمعية خريجى المعاهد الزراعية إلى هذه الجمعية المثلى.

وزيارات الدكتور فخرى شوشه للخارج كانت لدعم الاتصالات التعاونية بكل من المعهد والجمعية.

وعقد الصلة مع الحركة التعاونية بالمغرب الشقيق كانت فى ذاتها مثلا يحتذى.

والربط بين المعهد وبين الجامعات الأمريكية الرفيعة القدر أمر يحكى قصة انتشار الدكتور فخرى شوشه على المستوى الدولى. وحصول الدكتور فخرى على الدكتوراه الفخرية ودرجة الزميل من كلية التعاون بموسكو تقدير علمى يحسب لجانب مصر.

أكتب هذه الكلمة لحظة تخلى الدكتور عن موقعه عميدا للمعهد العالى للتعاون الزراعى يعوضه عن هذا التخلى اختياره عضوا بمجلس إدارة الاتحاد العام للتعاونيات ليثرى لجنة التدريب وسائر لجانه الأخرى..

أيها التعاونيون.. حيوا معى الدكتور فخرى شوشه..!!

الدكتور أحمد عبد الظاهر عثمان

من تواضع لله ..رفعه

ولد فى قرية من قرى مركز سمالوط محافظة المنيا فى ١٩٣٦/١١/١٧ وتدرج فى الدراسة إلى أن حصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس سنة ١٩٦٣، ماجستير فى القانون العام والعلوم الجنائية ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٧٤، أسس الجمعية التعاونية الاستهلاكية للعاملين بوزارة القوى العاملة التى كان يعمل بها متقلدا وظائفها القيادية، واختير رئيسا لهذه الجمعية، وهى من الجمعيات القلائل فى دور الحكومة التى ما زالت تؤتى ثمارها وتمد خدماتها إلى خارج دارها.

ومن خلال هذه الجمعية رشح عضوا فى مجلس إدارة الاتحاد التعاونى الإقليمى لمحافظة القاهرة فى عام ١٩٧٧ وحصل على أكثر الأصوات بين الفائزين.

وفى أول انعقاد لمجلس إدارة الاتحاد اختير ـ بغير منازع ـ سكرتيرا للاتحاد خلفا للمستشار شمس الدين خفاجى الذى تجدد اختياره رئيسا.

ويعتز الدكتور أحمد عبد الظاهر بأنه الخليفة الأمين للمستشار شمس الدين خفاجى تواضعا ووفاء فى المناصب الآتية:

ـ رئيس مجلس إدارة الجمعية التعاونية للسياحة بالقاهرة.

ـ رئيس الاتحاد التعاونى لمحافظة القاهرة.

ـ رئيس الاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى.

ـ نائب رئيس الاتحاد العام للتعاونيات.

ـ ممثل مصر فى مجلس إدارة الاتحاد التعاونى العربى.

ـ ممثل الاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى فى عضوية اللجنة المركزية للحلف التعاونى الدولى.

ـ رئيس تحرير مجلة صوت التعاون.

ـ أستاذ التشريعات التعاونية فى المعهد العالى للتعاون الزراعى.

ـــ كما يعتز الدكتور أحمد عبد الظاهر بأنه الخليفة الوفى للمغفور له الأستاذ الجليل سيد زكى عبد الهادى فى المناصب الآتية:

*رئيس الاتحاد العام للتعاونيات فى مصر.

*أمين عام الاتحاد التعاونى العربى.

ويعتز الدكتور أحمد عبد الظاهر بأنه التلميذ المتواضع فى أكاديمية شمس الدين خفاجى وهـذا أيضا من مفاخر شمس الدين خفاجى.

وفى جميع المناصب التى تولاها الدكتور عبد الظاهر باشر مهمته بالأمانـة المطلقـة والذمة والصدق عن وعى كامل بما يفعل وتواضع ووفاء.

واكتسب أحمد عبد الظاهر حب وصادقة واحترام كل الزملاء الذين التفوا حولـه، وتجدد انتخابه فى جميع المواقع دورة تلو دوره وحقق نجاحا كبيرا فى توفيق العلاقة بين مؤسسة فريد ريش ناومان وبين حركة التعاون فى مصر بغير حساسيات.

وفى مجال التعاون الدولى صاحب الحلف التعاونى عضوا فى جميع عواصم الدول الـتى عقد فيها، كما امتد خط سيره إلى جميع عواصم الدول العربية كلما كان انعقـاد الاتحـاد التعاونى العربى أو ندوة أو لقاء.

وعقد الدكتور أحمد عبد الظاهر عدة اتفاقيات تجارية وسياحية أبرزها مع الاتحـاد السوفيتى السابق، وروسيا الاتحادية، ورومانيا، وبلغاريا، والمجر، وإيطاليـا، والكويـت، والعراق، والإمارات العربية.

وفى مجال العلم أثرى مجلة صوت التعاون وسائر المجلات التعاونية بمقالاته وأبحاثه.

كما توج نشاطه العلمى بالحصول على الدكتوراه من جامعة صوفيا ببلغاريا فى ٣٠ مايو سنة ١٩٩٦.

أما فى مجال النشاط النقابى:

فقد تدرج من مستوى اللجان النقابية إلى مستوى النقابة العامة فأصبح رئيسا للنقابة العامة للخدمات الإدارية والاجتماعية ومنها إلى عضوية مجلس إدارة الاتحاد العام لنقابـات عمال مصر عضوا تأسيسيا مساعدا للصندوق.

كما حقق الربط والتنسيق بين الحركة التعاونية والحركة النقابية خلال اللقاءات التى دعا إليها أو شارك فيها أو الاتفاقات التى أبرمها بين الجانبين.

من أجل ذلك استحق أن يمنح نوط الامتياز من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وما زال الربط والتنسيق يجرى فى هذا المجال اعتبارا بأن التاريخ يؤكد أن مصدر الحركة التعاونية فى نشأتها بين صفوف عمال النسيج فى بلدة روتشديل بمقاطعة لانكشير بالمملكة المتحدة.

وقد استطاع الدكتور أحمد عبد الظاهر أن يؤسس بدوره مؤسسة فى مجال العمل والتعاون ارتضى خلالها بالعديد ممن اتخذوا مواقعهم إلى جانبه فى مصاف القيادة.

وهو شديد الحرص على الانتفاع والاستفادة بشباب العلماء فى التعاون.

وإذا كان الدكتور أحمد عبد الظاهر يجمع بين صفات العلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين فهو عضو فى الجمعية العمومية لمؤسسة دار التعاون كما وقع عليه الاختيار ضمن مؤسسى الجمعية العربية للعلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين وأحد نواب الرئيس فيها. حيث شارك بصفاته الثلاث فى أنشطتها المختلفة.

ومؤخرا اختير عضوا بلجنة التعاون بالمجالس القومية المتخصصة.

وفى ٢٣ يونية سنة ١٩٩٦ الموافق لميلاد المستشار شمس الدين خفاجى الثامن والسبعين احتفلت الجمعية بتكريم الأستاذ الدكتور أحمد عبد الظاهر فى كوكبة من القيادات التعاونية وعلماء التعاون ضمن الاحتفال بكوكبة من الخريجين بينهم الدكتور محمد توفيق عمر الحاصل على الدكتوراه وكل من الأستاذ مجدى القاضى والأستاذ محمود صلاح أمين الحاصلين على دبلوم الدراسات العليا من المعهد العالى للتعاون الزراعى

المهندس حسن شبانة، للتاريخ

الجيل الجديد من القيادات التعاونية لا يعرفون الجهد الكبير الذى بذله المهندس حسن محمد شبانه عندما كان وكيل أول وزارة التموين ومشرفا على قطاع التوزيع ومفوضا باختصاصات الوزير بالنسبة للتعاون الاستهلاكى.

كان ذلك هو العصر الذهبى للتعاون يعرف ذلك من المخضرمين رؤساء الجمعيات "الحيتان" كما كان يطلق عليها، جمعيات الحاج كمال بدوى والأستاذ محمد خليل حافظ والأستاذ أحمد طه.

وباعتبارى رئيس الاتحاد التعاونى الاستهلاكى فى ذلك العصر فلم نكن فى الحركة التعاونية نحس بقبضة الحكومة القوية، لأن التوجيه والإرشاد والمعاونة كانت شعار وسمة العصر الذى نطلق عليه "عصر حسن شبانه" أبن وكيل الأزهر الشريف.

وفى رحلاتنا إلى أوروبا وبالأخص إلى ألمانيا والمجر كان مهندس الاتفاقات التى عقدت مع الحركة التعاونية هناك بل كان فى أكثر الأحيان المترافع الأول عن قضايا التعاون المصرى أمام المسئولين عن مؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية عندما كانت العلاقة بيننا وبينها تتعثر وكان هو فى ذلك الوقت رئيس ومنظم العلاقات المشتركة مع ممثلى هذه المؤسسة فى مصر. كذلك كانت رحلاتنا إلى كل شبر من أرض مصر من الإسكندرية حتى أسوان والأقصر وأرمنت ونجع حمادى رحلات ممتعة تجمع بين العمل الشاق والممتع فى نفس الوقت.

وفى التعاون الإسكانى حيث ارتبط جهده بهذا القطاع رئيسا لجمعيتين ونائبا للرئيس فى الاتحاد الإسكانى المركزى، أن ذلك يمثل شرفا لى كرئيس للاتحاد وكلما حزب الأمر واختلط الفكر خرج هو فى صراحة وشجاعة وحكمة بالرأى الصائب وفى رئاسته للجمعية الاتحادية لبناء المساكن بالقاهرة حيث يدير نصف عدد الجمعيات الإسكانية على مستوى الجمهورية اتسمت اجتماعات الجمعية "بالمتعة" وبالدروس المستفادة فى ذات الوقت وكان أحدث ما صدر عنه من نشاط ملحوظ هذا المعرض المتميز الذى أقامته الجمعية فى فندق هيلتون رمسيس منذ شهرين وكان هذا المعرض أسلوبا حكيما لتنظيم مسار الرأى لدى السيد الوزير عن الإيمان بالتعاون من واقع الاختيار المحايد للجمعيات الممتازة المشاركة فى

هذا المعرض ومعه كل من وزير التعمير والإسكان والمهندس وصفى مباشر رئيس الاتحـــــاد حيث تم "تسييس" الموقف، هذه هى تحية موجزة للرجل الذى وضع يدا علــــى التعــاون الاستهلاكى ويدا على التعاون الإسكانى وكلها أيادى بيضاء من غير سوء أمـــــا دوره فى الرقابة الإدارية فكان دورا مشرفا. هذا هو الرجل صاحب المواقف الإنسانية.

المقاتل اللواء طنطاوى

تبين أن بيننا فى الحركة التعاونية مقاتلا أو محاربا أو قائدا أبلى بلاء حسنا فى مركز القيادة العامة للقوات المسلحة فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ وهو يتنكر بيننا فى الزى المدنى وهو الذى شغل منصب اللواء أو الجنرال بالقوات المسلحة لمدة سبع سنوات وهى مدة غير مسبوقة إلا بين الأفذاذ قضى منها ٦ سنوات فى مركز متابعة ودعم التخطيط للمعركة فهو شريك بين الفرقاء فى تحقيق النصر وقد كوفئ اللواء محمد طنطاوى السيد بعد المعركة باختياره مديرا لكلية القادة والأركان وفى رحلاتنا سويا إلى حيث يعقد الحلف التعاونى الدولى كان يستقبلنا ويحيط بنا ويهيئ لنا فرصة الحياة الطيبة رجال أشداء أقوياء علماء من أبناء وتلامذة اللواء طنطاوى فى مكتب الملحق العسكرى المصرى فى كل مكان وكم كنت سعيدا عندما شهدت بنفسى هؤلاء الأشداء الأقوياء العلماء وهم يحيطون باللواء محمد طنطاوى أينما توجهنا فقد كشفت مجلة أكتوبر فى عددين متتالين وفى حديث صادق وأمين عن دور اللواء طنطاوى فى حرب أكتوبر وفى تحقيق النصر ذلك كان طبيعيا أن يقع عليه الاختيار فى الحلف التعاونى الدولى واحدا من نواب الرئيس فى لجنة الإسكان الدولية كما كان جديرا باختيار فى الاتحاد العام للتعاونيات فى مصر فى مجالات التخطيط ورسم السياسات ويستطيع الاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى أن يفخر ضمن قياداته بأن يكون اللواء طنطاوى من بين هذه القيادات.

وأننى لفخور الآن أن أذكر بالسعادة والرضا دورى فى اختيار وترشيح اللواء طنطاوى نائبا لرئيس الاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى ومسئولا عن الشئون المالية وعن الجمعيات ذات الطابع العسكرى وهو مؤهل لذلك باعتباره مؤسسا ورئيسا لإحدى كبريات الجمعيات التعاونية للبناء والإسكان وصاحب أكبر قرية سياحية تعاونية فى الساحل الشمالى وأنا سعيد الآن حين اخترته يوما ليتسلم كأس التعاونى المثالى.

إن دور هذا القائد فى حرب أكتوبر لا يعادله إلا دور قائد آخر فى سلاح المهندسين عندما أقام قواعد الصواريخ تحت وابل من الضرب المكثف من طيران إسرائيل ذلك هو اللواء وصفى عبد الله مباشر.

محمد حسن السباعى

يشق طريقه.. ويهرول عليه..!!

من بين أبنائى النابهين فى حقل الحركة التعاونية الأستاذ محمد حسن السباعى رئيس الاتحاد التعاونى الإنتاجى المركزى، وهو من مواليد السنة التى حصلت فيها على ليسانس الحقوق أى عام ١٩٤٠.

حصل على بكالوريوس المعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية عام ١٩٧٠ بتقدير عام جيد جدا، ثم حصل على دبلوم معهد التخطيط القومى بتقدير عام جيد جدا أيضا كان من بين تلاميذى الذين أعتز بهم فى معهد التعاون ثم عشت تجربته التعاونية على مر السنوات.

لقد كان يحضر معى الكثير من الندوات كشبل فى بداية خطواته الطموحة نحو القمة فكنت ألمح فى عينيه ومضات الذكاء وأجد فى تصميمه على المضى قدما على طريق النجاح لمحات الحماس.

اختير سنة ١٩٧٥ كمسئول عن الحرفيين على مستوى الجمهورية ورئيس لشعبة الحرفيين وفى ذات العام عملت مستشارا لجهاز الصناعات الحرفية والتعاون الإنتاجى مشارك معى فى إعداد مشروع قانون التعاون الإنتاجى رقم ١١٠ لسنة ١٩٧٥.

وقد انتقاه الأستاذ الدكتور كمال أبو الخير منذ سنة ١٩٧٤ حتى سنة ١٩٧٦ لتدريس مشكلات التعاون غير الزراعية ومشكلات الحرفيين لطلبة البكالوريوس بالمعهد العالى للدراسات التعاونية والإدارية.

وفى سنة ١٩٨١ عمل مستشارا للاتحاد التعاونى الإنتاجى المركزى، وفى سنة ١٩٨٥ اختير مديرا عاما لهذا الاتحاد، وفى سنة ١٩٩١ اختير عضوا باللجنة العليا لمشروع نشر الصناعات الحرفية.

ألقى محاضرات عن التعاون الإنتاجى بكل من معهد الإدارة المحلية ومعهد تنمية المجتمعات المحلية ومؤسسة فريدريش ناومان الألمانية ومؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية ومؤسسة هانز ستايدل الألمانية أيضا.

وفى المجال العربى شاركنى سنة ١٩٧٠ أعمال لجنة خبراء التعاون بالقاهرة حول موضوع التعليم والتدريب، وفى سنة ١٩٧٤ مثل مصر فى المؤتمر العام الأول للجمعيات الحرفية بدمشق، وفى سنة ١٩٧٥ شارك فى أعمال لجان التكامل مع السودان بالقاهرة وسنة ١٩٧٦ مثل مصر فى لجنة خبراء التعاون العربى بجامعة الدول العربية, وفى سنة ١٩٧٦ حتى سنة ١٩٨١ عمل مستشارا للتعاونيات بالمملكة العربية السعودية حيث قام بالعمل على تطوير الجمعيات القائمة ونشر الجمعيات فى مختلف أنحاء المملكة وحاضر فى البرامج التدريبية هناك.

وفى سنة ١٩٨٥ شارك فى أعمال المؤتمر التعاونى العلمى العربى الأول فى بغداد ببحث حول موضوع التعليم والتدريب والتثقيف التعاونى الإنتاجى الحرفى، وفى سنة ١٩٨٩ اختير مستشارا لمنظمة العمل الدولية فى بغداد وفى سنة ١٩٩٠ شارك فى مؤتمر تقييم التعاونيات بالمغرب كما أعد دراسة حول دور الصناعات الصغيرة فى التنمية الحرفية فى الوطن العربى بتكليف من منظمة العمل العربية وفى سنة ١٩٩٣ زار لبنان لإجراء مباحثات رسمية مع وزير التعاونيات اللبنانية فى بيروت وفى سنة ١٩٩٥ زار فلسطين (غزة) لعقد المؤتمر الأول للتعاونيات الإنتاجية المصرية الفلسطينية وفى سنة ١٩٩٦ زار المغرب لحضور المؤتمر التعاونى العربى وفى سنة ١٩٩٧ زار الكويت لحضور المؤتمر التعاونى العربى وحضر اجتماعات اللجنة المصرية المغربية العليا فى الرباط.

وفى المجال الدولى قام برحلات فى مهام تعاونية إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والمجر وإنجلترا وفرنسا وسويسرا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا وتايلاند وماليزيا وسنغافورة ورومانيا وأسبانيا وإيطاليا واليابان وتركيا والصين.

وفى عام ١٩٩٧ قام بعضوية الوفد المصرى المرافق للسيد الدكتور رئيس مجلس الوزراء لزيارة كل من سنغافورة وماليزيا والصين، وقام بجولة أفريقية ضمن وفد مصر برئاسة وزير الخارجية.

ولقد ارتقى الأستاذ محمد حسن السباعى سلم الحركة التعاونية فى مصر إلى ما يقرب من القمة حيث اختير نائبا لرئيس الاتحاد العام للتعاونيات ومقررا للجنة التدريب بهذا الاتحاد بوصفه رئيسا للاتحاد التعاونى الإنتاجى المركزى خلفا لأستاذه المغفور له الأستاذ

سيد زكى الرئيس الأول للاتحاد وعلى المستوى الدولى اختير نائبا لرئيس المنظمة الدوليـــة للتعاونيات الإنتاجية التابعة للحلف التعاونى الدولى.

ويحق لى وللدكتور كمال أبو الخير وللأستاذ أحمد محمد أبو الغار أن يفخروا كلمـــا ارتقى واحد من أذكى تلاميذهم سلم المجد فى مجال التعاون الفسيح. ولا زال الطريق أمامه ممتدا..

محمود بسيونى عميرة

صحفى صاحب رأى

أشعر بسعادة غامرة وأنا أتناول صديقى محمود بسيونى بكلمات أرجو أن تكـــون معبرة عن إحساسى الطيب نحوه كصحفى اشتركنا سويا فى دار عريقة هى دار مؤسســـة التعاون.

أذكر كيف التحق محمود بسيونى بمؤسسة دار التعـــاون... حضـــر إلى الـــدار فى مستهل عهدها ليلتقى برائدها ورئيسها ومحررها الأول الأستاذ الراحل محمد صبيح.

لم تكن بينهما صلة ولا وساطة.. ولكن لا شك أن الذى دفع بالأســـتاذ بســـيونى للالتقاء بالأستاذ الكبير محمد صبيح عوامل كثيرة ينفرد بها محمد صبيح نفســـه.. الرجـــل الذى ضرب على بابه كثيرون وهم مؤمنون أن الباب سوف يفتح.

أذكر على سبيل المثال كيف استضافت الدار كلا من الأستاذ الكبير أنيس منصـــور حين أوصدت السلطة فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى وجهه باب الكتابـــة.. فأوكل إليه مهمة إصدار نشرة لها قيمة عن المعرض الزراعى الصناعى الذى كان قائمـــا فى ذلك الحين فكان لهذه النشرة الوليدة دوى وصدى وأهمية وقيمة.. ثم استضاف الأســـتاذ عباس أحمد الإعلامى الكبير عندما أصابه فى عمله ما أصاب الأستاذ أنيس منصور من أجل ذلك استقبل الأستاذ محمد صبيح الشاب اليافع الذى جاء وهو خارج لتوه مـــن المعتقـــل الطويل بتهمة جمع التبرعات لأسر المعتقلين فتلقاه الرجل الكبير وتبناه.. وتدريجيا وصـــل الشاب الصادق بفضل صدقه وشجاعته إلى منصب رئيس تحرير المجلة الزراعية الـــتى مـــا زالت تصدر تحت لوائه حتى اليوم.

حدث أن اختار المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الزراعة والرى رجلين فـاضلين للتوجه إلى باريس ممثلين للاتحاد التعاونى الزراعى خلال فترة حله جورا.. فكان الرجـــلان هما الدكتور كمال حمدى أبو الخير والأستاذ محمود بسيونى والدكتور كمال أبو الخير كعهدنا به يؤثر على نفسه.. ولكن محمود بسيونى أمسك بيد الدكتور كمال إيثارا له هو الآخـــر ليعلن بها ترشيحه نائبا لرئيس اللجنة الزراعية بالحلف التعاونى الدولى الذى كان منعقـــدا

حينذاك فى باريس.. وانتخب الدكتور كمال بالإجماع تكريما لمصر أولا وتقديرا لقدره ثانيا نائبا لرئيس هذه اللجنة.. إلى أن عاد المنصب إلى الأستاذ محمد إدريس تحقيقا للشرعية بعد عودة الاتحاد للحياة.

ثم اتصل الأستاذ محمود بسيونى بالحلف التعاونى الدولى ممثلا لمؤسسة دار التعـــاون فيما بعد فكان العنوان الطيب على المؤسسة التى أوفدته فارتفع صوته مدويا وقويا فى كـــل لجان الحلف.. وارتفع صوته أكثر وأكثر فى لجنة الإعلام التى انضم إليها.. فأثرى نشـــاطها واكتسب من خلال نشاطه صدى بين رؤساء الحلف المتعاقبين أذكر منهم مستر سكســـينو الهندى الجنسية كما انعقدت صداقة بينه وبين الدكتور أولمان مديـــر الحلـــف للصحافـــة والإعلان والنشر الإنجليزى الجنسية.

الأستاذ بسيونى له صوت مسموع بقدر قيمة الرأى الذى اعتاد أن يبديه.. يحـــدث هذا فى المجلس الأعلى للصحافة كما يحدث عادة فى الندوات والمؤتمرات التى يحضرهـــا.. كذلك فى الاحتفالات بعيد الإعلاميين التى يشهدها السيد رئيس الجمهورية حيث اعتـــاد الرئيس أن يسمع من أقصى القاعة صوتا ينادى بالتعاون.

والأستاذ بسيونى لم يكن له نصيب فى عضوية وحدات البنيان التعاونى من القـــاعدة إلى القمة.. ولذلك يشارك بالرأى ولا يشارك بالتطبيق ولا أدرى هل يحسب ذلك لـــه أم عليه وإن كنت أحس فى نبرات صوته عند بلوغ الحديث هذا المنعطف فى نشاطه بشىء من المرارة تنبئ عن رأيه.

إن مقالات وأبحاث وعرض الأستاذ بسيونى عن اجتماعات الحلف التعاونى الـــدولى لو أنها ضمت فى مجلد واحد لأثرت المساحة العريضة من المعرفة لدى الكثيرين ليس الجيـــل المعاصر وحده ولكن الأجيال المقبلة وبوجه خاص ما استحدثه الحلف من التنظيم الجديد فى بنيانه واستبدال مبادئ التعاون المعروفة بالهوية التعاونية.

التقينا فى حقبة واحدة فى أكثر من لقاء فى الحلف التعاونى الدولى فى سويسرا كما فى ألمانيا كما فى فنلندا كما فى تركيا على ما تعى ذاكرتى.

وفى هلسنكى أنبأته بنيتى فى إسناد الإشراف على مجلة صوت التعاون فى إصدارها الجديد وعندما التقيت بعدها فى القاهرة وفى اتحاد القاهرة الذى تصدر عنه المجلة. أوفينا بالعهد أن العهد كان مسئولا.

وللحقيقة والتاريخ فإن الذى دعانى إلى اجترار ذاكرتى والترجمة للرجال الشجعان الذين قادوا مسيرة التعاون على مدى ستين عاما عشتها تعاونيا.. كان هو نفسه الأستاذ محمود بسيونى الذى أفسح صدر مجلة صوت التعاون كشريط للذكريات حتى بعد أن خلفنى الدكتور أحمد عبد الظاهر على رئاسة الاتحاد وبالتالى على رئاسة تحرير المجلة.

والأستاذ محمود بسيونى الذى تجاوز عمره حد العمل الصحفى الرسمى ما زال فى نشاط الشباب وحكمة الشيوخ يواصل بتفوق رحلته فى رئاسة تحرير المجلة الزراعية التى تصدر عن مؤسسة دار التعاون.

والأستاذ بسيونى حريص فى مجلة صوت التعاون وفى المجلة الزراعية على أن يتناول بالتحليل والتعليق والنقد الحر الموضوعات السياسية التى تدور فى الساحة.. إنه يرفض أن تذهب آراؤه الحرة أدراج الرياح.. كما يكره أن تبقى هذه الآراء حبيسة الأدراج..

من أجل ذلك كان طبيعيا وبديهيا أن يجد له مكانا فى مجلس إدارة المؤسسة التى شارك فى دعمها ورفع رايتها.

الأستاذ بسيونى ولد فى مدينة طنطا محافظة الغربية فى ١٩٣٤/١٢/٩ فهو من بوج القوس ــ تخرج فى كلية الآداب قسم التاريخ ــ متزوج بسيدة فاضلة وله منها ابنتان جامعيتان ولم يكن ختام أعماله بل كان إشارة لهذه الأعمال وسام العلوم والفنون الذى منحه إياه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى عيد الإعلاميين بتاريخ ١٩٩٤/٥/٣١.

والأستاذ بسيونى محاضر نابغة يشد الانتباه وبوجه خاص فى محاضراته عن العلاقات الإنسانية التى دعوته لإلقائها فى المركز الثقافى التعاونى بالإسكندرية بين قيادات الفلاحين كما فى المركز الثقافى التعاونى بالقاهرة الملحق بالاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى.

وللاستفادة من كل هذه الخبرات والانتفاع بكل هذه القيم فقد دعوته للمشاركة فى تأسيس الجمعية العربية للعلماء والقادة والإعلاميين التعاونيين كما كان من توفيق الله انتخابه عضوا بمجلس الإدارة.

وكما تلتقى الأرواح المطمئنة بعضها ببعض كذلك التقى الأستاذ بسيونى بأستاذه الدكتور إبراهيم رشاد وكانت كتاباته عن الرجل خير ما قدم به إبراهيم رشاد العملاق لأجيال الحاضر والمستقبل..

من كتابات الأستاذ بسيونى الشجاعة
فى صوت التعاون مايو ١٩٩٠

كلمة حق
هذا الرائد وهذه الذكريات

بعد أن قدم الرائد التعاونى الكبير المستشار شمس الدين خفاجى (استقالته) من رئاسة مجلس إدارة الاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى المصرى التى آثر أن تكون بيده لا بيد (عمرو).. طبقا لحساباته الشخصية التى اختلفت معه فيها كما سبق أن اختلفت معه فى بعض أساليب الأداء وحسابات التوازنات التى أرهقه كثيرا الحرص عليها.

وفى معظم الأحيان لم يكن الذنب ذنبه بل ذنب الذين فرضوا على رجل فى مثل مكانته وعمره وتاريخه ونضاله وسجله التعاونى العميق العريض الطويل العظيم المشرف ألا يستطيع أن يواصل مسيرته وأن يحتفظ بمكانه القيادى الذى هو أهل له ولا شك.. إلا فى ظل توازنات وحسابات واعتبارات معقدة هو يدرك مداها ولقد تحمل الرجل الكثير من أجل ذلك.. وكنت أفضل له ألا يتحمل هذا النوع من العبء فما أقسى أن يضيع وقت الرواد فى صراعات دنيا أو حسابات توازنات أو أن يجد الرائد خلالها نفسه ممزقا بين ما يعتقد أنه يجب أن يكون لأنه الحق أو لأنه الأفضل أو بين ما هو كائن لأنه واقع مفروض من الأسهل التعامل معه..

ويكفى أنه كما كان صاحب دور لا ينكر فى العمل المشترك مع جيل الرواد من مدرسة الدكتور إبراهيم رشاد فى إنشاء التعاونيات المحلية الشعبية والاتحادات الإقليمية..

فإنه صاحب الفضل الأكبر فى إنشاء الاتحادات التعاونية المركزية وخاصة الاستهلاكى والإسكانى وكذلك الاتحاد العام التى اكتمل بها بنياننا التعاونى المصرى لأول مرة فى التاريخ..

وهو أستاذ التشريع التعاونى غير منازع دوره فى تأسيس وإدارة معاهد الدراسات التعاونية والمحاضرة فيها يضاف إليه ويحسب له.. ودوره الوطنى قبل وبعد الثورة يحكى صفحة من صفحات الجهاد الوطنى الذى أدين بسببه بالعيب فى الذات الملكية كصحفى عتيد..

إن كتب المستشار نبراس ومقالاته يقين وأسلوبه فى الكتابة متين.. حديثه ممتع وخطابه مقنع، ولصوته رنين.. وغاية القول فيه... "ظاهرة لا تتكرر.."

فلماذا إذن كل ما حدث .. عجبا!!

دكتور براك ناصر النون

أحد القيادات التعاونية العربية، كرس جهوده في مجال العمل الشعبي والتعـــاوني وآمـــن بالتعاون كنظام لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وعمل فى اطاره منـــــذ عشـــرين عاماً،حيث ساهم في تأسيس الجمعية التعاونية للثروة الحيوانية في عام ١٩٨١، كما ســاهم ايضاً في تأسيس إتحاد الجمعيات التعاونية الزراعية بدولة الكويت في عام ١٩٨٢، وظـــل يتدرج في قيادة الجمعية والأتحاد إلي أن أصبح رئيساً للجمعية والاتحاد في عام ١٩٨٨ولمدة تتجاوز العشر سنوات .

شارك في كافة فاعليات الحركة التعاونية الكويتية خلال الثمانينات والتسعينات وكان لـــه دور بارز في تأسيس الجمعية التعاونية المشتركة للإنتاج والتسويق عام ١٩٨٤ وعضويـــة مجلس إدارتها، كما شارك في المؤتمرات التعاونية المحلية والعربية والدولية التي عقدت خـلال تلك الحقبه مما دفع قيادات الحرك التعاونية العربية الي إختياره أميناً عاماً مساعداً للاتحـــاد التعاوني العربي لدورات متعدده ومتتالية وكانت جهوده ونشاطاته واضحه ومحـــل تقديـــر الجميع الذين أجمعوا في المؤتمر الذي عقد في سوريا عام ١٩٩٥ على إختياره لقيادة الاتحـاد التعاوني العربي، ولاينسى له إصراره على أن يتولى قيادة العمل التعـــاوني العـــربي أحـــد القيادات التعاونية المصرية تقديراً لدور مصر الريادي ومواقفها المشرفة في مساندة الحـــق الكويتي خلال فترة الغزو العراقي للكويت، وقيامه بالتنازل عن منصب الامين العام لممثـــل مصر في الاتحاد التعاوني العربي.

ولقد ساهم في اكتساب الكويت لعضوية الحلف التعاوني الدولي وشارك في كافة فعالياتـــه باعتباره ممثلاً لدولة الكويت وعضواً باللجنة المركزية للحلف منذ عـــام ١٩٩٠، وإدانـــة الحلف ولأول مرة في تاريخه للاحتلال العراقي ومطالبته بالانسحاب من الكويت دون قيـــد او شرط وعودة الشرعية الكويتية.

واستمرت مسيرة العطاء في اطار العمل التعاوني والعمل الوطني حيث سعى مـــن خـــلال علاقاته الوثيقه بالحركة التعاونية المصرية وقياداتها الى إنشاء مقر مؤقت للحركة التعامونيـــة الكويتية بالقاهرة خلال فترة الاحتلال وتولى رئاسته واستطاع خلال المؤتمرات والنـــدوات التي عقدها والنشرات التي وزعها على وسائل الاعلام والوفود الشعبية التي شارك بهـــا ان يبرز قضية بلاده العادلة .

وعلى صعيد اخر فقد اشتغل بالعمل السياسي وحمل مع زملائه هموم المواطـــن الكويـــتي، وسعى لخدمة المواطنين مما اكسبه ثقة وتقدير الشعب الكويتي واختياره عضوا بمجلس الامه عام ١٩٨٥ وعضوا بالمجلس الاعلى للمحافظات عام ١٩٨٩ ثم اختير مؤخـــرا في عـــام ١٩٩٩ عضوا بالمجلس الاعلى للتخطيط والذي يترأسه سمو الشيخ سعد العبد الله الســـالم الصباح ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء .

وفي اطار متوازي مع نشاطه في مجال العمل السياسي والتعاوني فقد اتجه نحو تدعيم قدراتـــه العلمية حيث حصل على درجة الماجيستير ثم الدكتوراه في العلوم الاقتصادية واستطاع من خلال رسالته للدكتوراه ان يحدد و بوضوح امكانيات ووسائل تطوير المنظمات التعاونيـــة والافاق المستقبلية للحركة التعاونية الكويتية كما كانت فترة رئاسته لتحرير مجلة الحصـــاد حافله بالمقالات العلمية المتخصصه فى مجال التعاون واستطاع ان يطور المجلة وان يحقق لهـــا الازدهار والانتشار .

كما شارك في المؤتمرات والندوات التعاونية المحلية والعربية والدولية وقام بإعداد العديد من الدراسات والبحوث وأوراق العمل والتي كانت محل تقدير الوفود المشـــاركة في تلـــك المؤتمرات والندوات وفي هذا الصدد فقد ترأس المؤتمر التعاوني والعلمي العربي الثاني والذي عقد في دولة الكويت عام ١٩٨٨ تحت رعاية سمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء .

وتقديراً لجهوده العلمية المتميزة فقد اختير عضواً بمجلس الامناء بمركز البحوث العربية بدولة الكويت واميناً لشئون التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمركز .

إن جهود د.براك ناصر النون متعددة ومتنوعة ولكنها تصب جميعاً في النهاية في اطار خدمة الكويت والتي تحتل وجدانه وضميره وحاضره ومستقبله .

رشحه المستشار شمس الدين خفاجي رئيس الجمعية العربية للعلماء والقاده والاعلاميين التعاونيين عضواً بمجلس ادارة الجمعية ممثلاً للتعاونيين في الكويت ومراسلاً لها في دول الخليج العربي بعد التعرف عليه وتوثيق الثقه به فى الندوة الثقافية التي عقدت برئاسته بالكويت بوصفه رئيساً للوفد المصري الي هذه الندوة

والدكتور براك ناصر النون صديق ودود طيب العشره حلو المعشر اميناً على عمل وصالح وطنه كما انعقدت الصله بيني وبينه عند دعوة الحركة التعاونية لي لتسليمي درع التعاون بمناسبة الاحتفال بالعيد الفضي للاستقلال كما رافقني ويسر لي أمري عند زيارتي للكويت كرئيس للاتحاد التعاوني الاسكاني المركزي للاشراف على إنتخابات مجلس إدرة الجمعية التعاونية للبناء والاسكان للمصريين في الكويت .

وآخر كلماتي ..أن حمد لله رب العالمين..

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

نقابة السادة الأشراف

ذرية سيدنا وإمامنا محمد صلى الله عليه وسلم

« بيان النسب »

الشريف محمد شمس الدين بن الشريف عبد الحليم بن الشريف حسين بن الشريف رضوان بن الشريف حسين جلبي بن الشريف محمد جلبي الخفاجي بن الشريفة صافية بنت الشريف أحمد بن الشريف محمد من ذرية الشريف نور الدين بن الشريف محمد بن الشريف محمد بن الشريف محمد بن الشريف محمد المغربي الكبير من ذرية سيدي عبد القادر الجيلاني المتصل نسبه بالإمام موسى الجون بن الشريف عبد الله المحض بن الشريف الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

روجع

لجنة تحقيق الأنساب

التوقيع	الاسم
[signature]	الشريف مصطفى كامل محمود شملول
[signature]	الشريف احمد وفقى محمد
[signature]	الشريف صبحى محمد على عيد

١٩٩٦/٤/١٤



الإسم : الشريف محمد شمس الدين عبد الحليم خفاجي

المهنة : محامي "نائب رئيس هيئة قضايا الدولة" سابقا

تاريخ الميلاد : ١٩١٦/٦/٢٧

العنوان : ٤ ش عبد المنعم سند مدينة الأوقاف

نقيب الأشراف

أحمد كامل ياسين الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد حسني مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

منح نوط الامتياز من الطبقة الأولى

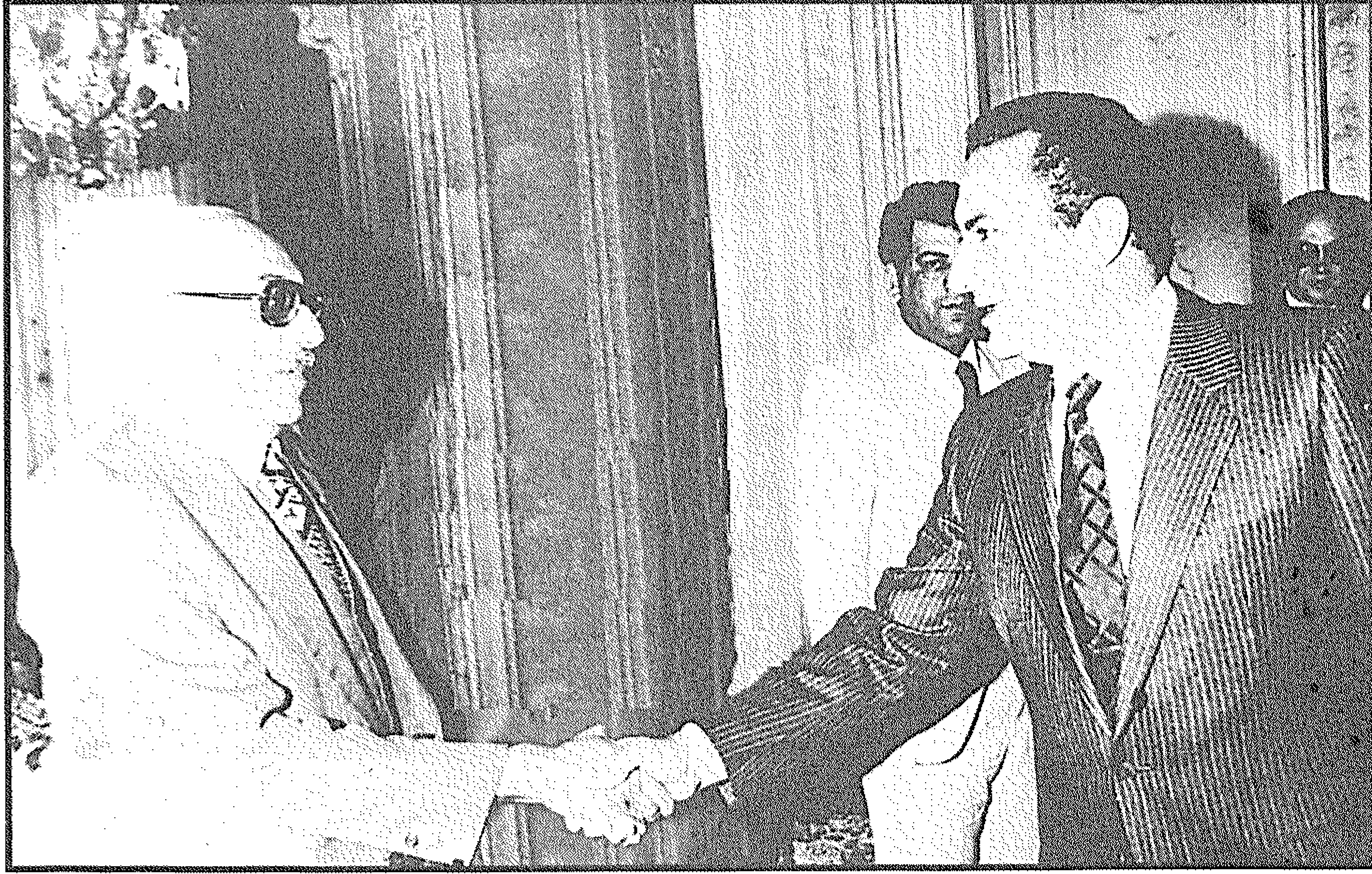
إلى : السيد شمس الدين عبد الحليم خفاجي نائب

رئيس مجلس إدارة الاتحاد العام للتعاونيات

تحريراً بقصر الجمهورية بالقاهرة في ٢ ربيع الأول ١٤٠٩هـ ١٣ أكتوبر ١٩٨٨م

أمين عام رئاسة الجمهورية

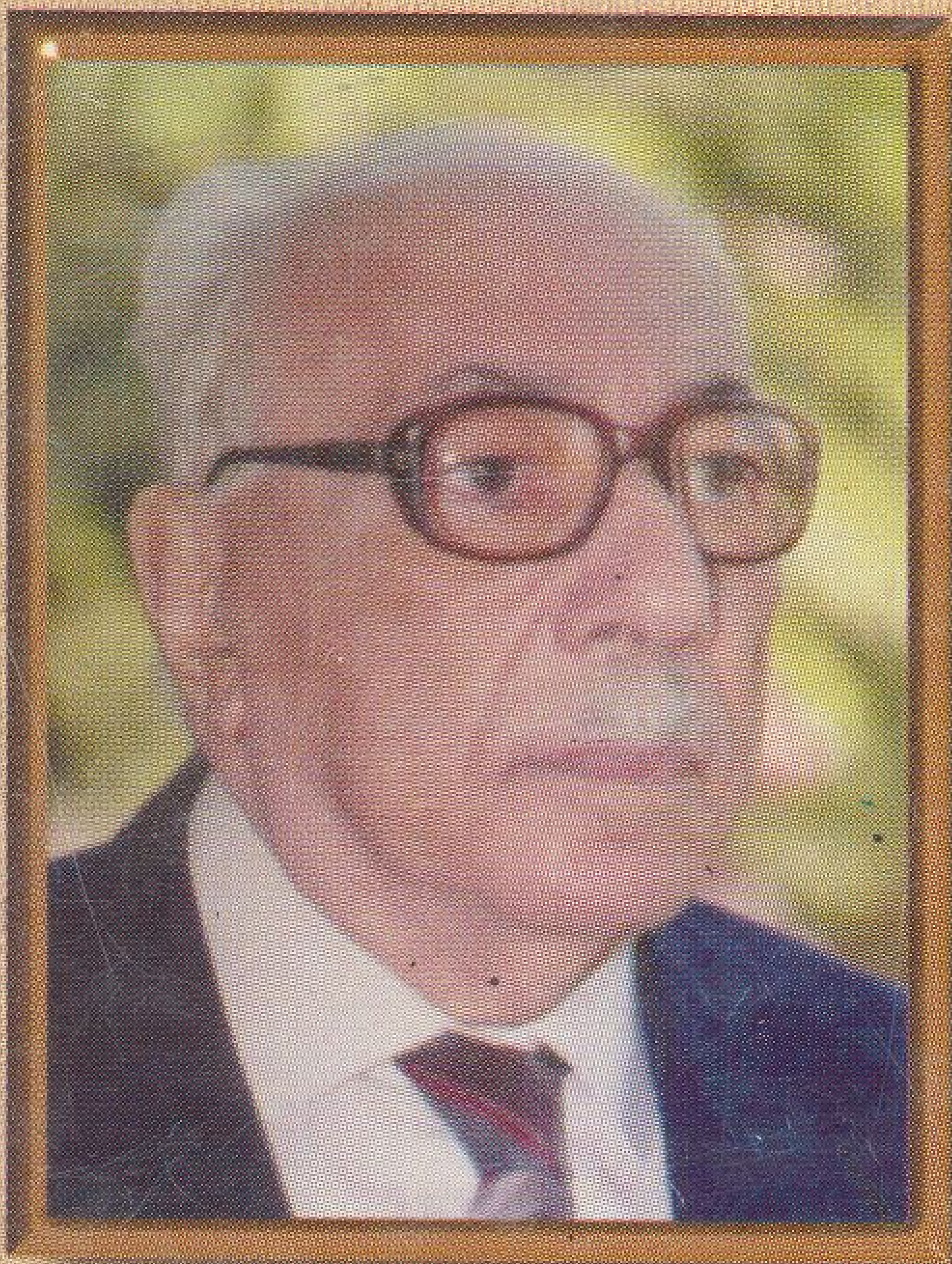
د. زكريا عزمي



السيد الرئيس محمد حسنى مبارك يصافح المستشار شمس الدين خفاجى فى قصر العروبة على رأس وفود الاتحادات التعاونية العربية الوافدة إلى القاهرة للإشتراك فى الاحتفال بالعيد الماسى للتعاون سنة ١٩٨٤



المستشار شمس الدين خفاجى
وكيل هيئة قضايا الدولة



المستشار شمس الدين خفاجى هو عميد التشريع التعاونى فى مصر والعالم العربى....

فهو وراء كل القوانين التعاونية التى صدرت بعد ثورة ٢٣ يوليو إبتداء من القانون ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ إلى قانون الاتحاد العام للتعاونيات.

شارك فى تأسيس وتطوير الاتحاد التعاونى الاستهلاكى لمحافظة القاهرة وأسس الاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى.. والجمعية التعاونية العامة للسلع الاستهلاكية والاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى وتولى رئاسة هذه الوحدات.

له دور بارز فى الإعلام التعاونى.. فهو مؤسس مجلة صوت التعاون التى صدرت فى بدايتها عن الاتحاد التعاونى الإقليمى بالفيوم، ثم عن الاتحاد التعاونى الاستهلاكى بالقاهرة.. وأسس مجلة برج التعاون التى تصدر عن الاتحاد التعاونى الإسكانى المركزى وأسس المطبعة التعاونية كما ساهم مع الكاتب الصحفى والمؤرخ الأستاذ محمد صبيح والمرحوم التعاونى الرائد المهندس محمود فوزى فى تأسيس دار التعاون للطبع والنشر.

إشتغل بالمحاماة بالفيوم فى الفترة من ١٩٤٠ تاريخ تخرجه حتى عام ١٩٥٤ تاريخ تعيينه محام أول بهيئة قضايا الدولة ثم عين مستشارا بها فوكيلا لها وتولى رئاسة أقسام الاستئناف العالى والنقض والقضاء الإدارى ثم عاود الاشتغال بالمحاماة منذ ١٩٧٨ وحتى اليوم.

وله مؤلفات عديدة فى القانون وتاريخ ومبادئ التعاون والتشريعات التعاونية.

ومارس التدريس بالمعاهد التعاونية التى شارك فى تأسيسها وإدارتها أكثر من ربع قرن.

عضو فى نقابات المحامين والصحفيين والأشراف.
حصل على نوط الإمتياز من الطبقة الأولى فى عام ١٩٨٨

١٠ جنيهات

Graphic Design By Abeer Khafagi